

العدد الخامس

سِنَةُ الضِّيَاءِ

مجلة دورية للمرأة المسلمة | جمادى الآخرة ١٤٤٨ هـ

- لا تتكلّفي... ولكن تزَوَّدي
- عمل المرأة... حين يُعالج الخلل بخلل أكبر
- الاستهلاك: من الحاجة إلى الهوية، ومن الوسيلة إلى الغاية
- رصد جرائم النسويات على الإنترنت
- جيل زد والمرأة: قراءة في الجيل الرقمي ومسارات تهذيبه وإرشاده في ضوء الإسلام
- لا أذوق غمضًا حتى ترضى
- فقه الأمومة
- البر يا أختي هو اليقظة!
- الأنوثة بين الفطرة والتشويه
- السودان لا بواكي له!
- العلاقات المحرّمة: بين الغفلة والضياع
- زينب بنت الكمال... مسندة الشام
- الحساسية الزائدة: حين يصبح القلب أكثر تألمًا مما يحتمل الموقف
- مستحضرات العناية بين الإفراط والتفريط
- متلازمة الجلد المُحمَّص
- حديقة داخلية في منزلك: دليل بسيط بلمسات عصرية
- حلا البسكويت ومخلل الليمون (العشار العدني)

ومواضيع أخرى ..

ketaeb.com

للتواصل info@ketaeb.com

ketaeb.com

سِلسِلَةُ الضِّيَاءِ

إليكِ أنتِ أيتها المسلمة

فريـق **المجلـة**

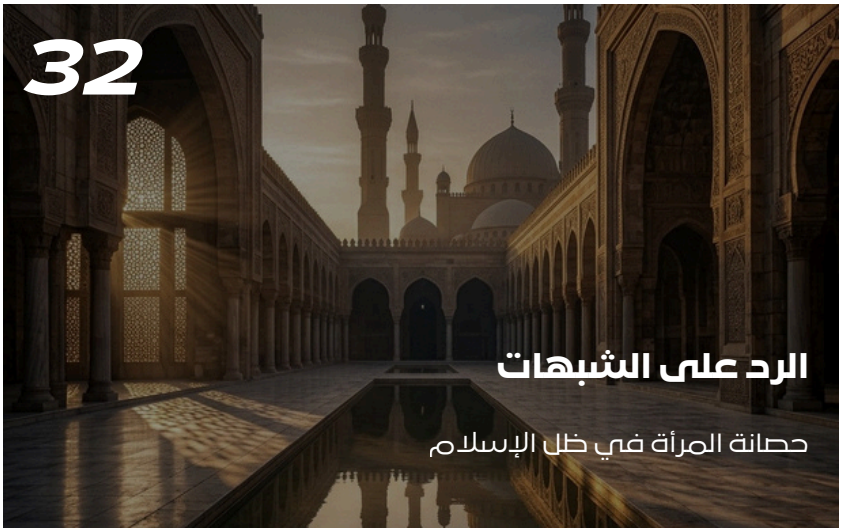
إدارة التحرير
د. ليلى حمدان

تدقيـق
فريق التحرير

تصميم
عبدالرحمن فهد


17
دور المرأة المسلمة
عمل المرأة... حين يُعالج الخلل بخلل أكبر
ألا إن تلك البقعة الصغيرة التي تُسمى بيتًا


63
صناعة الوعي
الاستهلاك: من الحاجة إلى الهوية
"التحرش"


32
الرد على الشبهات
حصانة المرأة في ظل الإسلام


80
رصد الإنترنت
رصد جرائم التسويات على الإنترنت
تصدر الأطفال على الإنترنت... إلى أين؟


157
قدوات أمتي
العُميصاء بنْتُ ملْحانَ


138
الابنة
البر يا أختي هو اليقظة!
الأبوة بين الفطرة والتشويه
الحجاب والجلباب
يوميات زهرة


124
الزوجة
يذنبي وما ظلمني ربي!
لا أذوق غمضًا حتى ترضى


92
المستقبل
أيسر طريق لأعلى درجة
جبل زد والمرأة
ذكاء الأشي والذكاء الاصطناعي


164
الواقع
السودان لا يواكي له!
العلاقات المحرمة
أحكام الطلاق


131
الأم
لأنَّ الأمَّ تصنعُ أمَّة
فقه الأمومة


192
التاريخ
زينب بنت الكمال... مسندة الشام


198
همسات

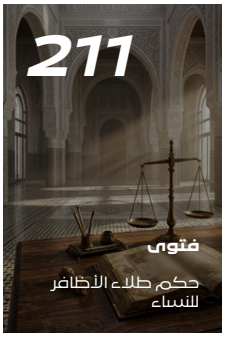

222
إضاءة نفسية
الحساسية الزائدة
التفكير الزائد

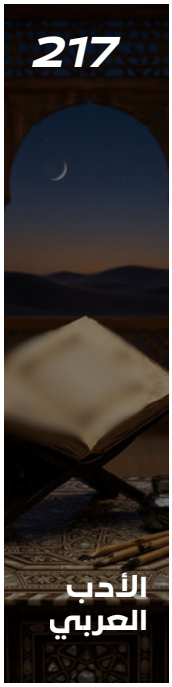

206
زاد
آيةٌ وتفسير
حديثٌ وفوائد
أثرٌ عن سلفنا


245
البيت
حديقة داخلية في منزلك


240
الصحة
متلازمة الجلد المحمَّص
سرطان الثدي


231
الزينة
مستحضرات العناية
بين الإفراط والتفريط


211
فتوى
حكم طلاء الأظافر
للنساء


217
الأدب
العربي


236
وصفة جمال
بشرة ناعمة، مقشّر
القهوة، مقشر فروة
الرأس، وغذاء الشعر


249
حلو ومالح
حلا البسكويت
مخلل الليمون
بطاطس مقرمشة
كرات البسكويت
خلية النحل

هُنَّ الضِّياءُ إذا البَنانُ تكلَّما
وبِعَزمِهِنَّ يُشَقُّ ليلٌ مُظلِمُ

مقدمة العدد

لا تتكلّفي... ولكن تزَوَّدي

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ (ص: 86)

آية قصيرة، لكنها تفتح بابًا واسعًا من الصدق؛ فالإنسان لا يحتاج في سيره إلى الله أن يتزيّن بما ليس فيه، ولا أن يدّعي ما لا يعلم، ولا أن يحمل نفسه صورةً لا تشبهه حتى يحافظ على مكانة صنعها في أعين الناس. وقد ذكر أهل التفسير في معنى ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ معنى التصنع والتحلي بما ليس الإنسان من أهله، ونقل أهل العلم في بيان التكلف أنه يتضمن طلب ما ليس للمرء، أو ادعاء علم ما لا يعلمه.

وهذا المعنى أبعد أثرًا في حياتنا مما يبدو لأول وهلة. فالتكلف ليس بالضرورة كذبة كبيرة أو ادعاءً فاضحًا يستطيع صاحبه أن يكتشفه فورًا؛ بل قد يبدأ من تفاصيل صغيرة تتراكم حتى يصير الإنسان أسير الصورة التي صنعها عن نفسه.

قد يكون كلمة تقولينها في مسألة لا تعرفينها لأنك تستثقلين أن تقولي: "لا أعلم"، أو رأيًا تتبنينه لأن الآخرين يتوقعون منك أن يكون لك رأي في كل شيء، أو صورة مثالية تحاولين المحافظة عليها: المرأة القوية التي لا تتعب، والعاقلة التي لا تخطئ، والمتدينة التي لا تضعف، والزوجة التي لا تُخفق، والأم التي لا تقصر، والداعية التي لا تفتر، والصديقة التي لا تحتاج أحدًا.

ومن هنا يصبح التكلف أثقل من مجرد سلوك مرحلي عابر؛ لأنه يصنع مسافة بين حقيقتك وبين الصورة التي تحرسينها. وكلما اتسعت هذه المسافة، احتجت إلى جهد أكبر حتى يبقى الناس مقتنعين بأنك تلك المرأة التي رسمتِها لهم، بينما تتراجع في الداخل مساحة الصدق والراحة. ولهذا جاء في تعريف التكلف أنه: «فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة»، وجاء في وصف المتكلف أنه يتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم.

وقد يتسلل التكلف إلى حياتنا في صور تبدو في ظاهرها حرصًا على الخير، بينما يجاوز بالإنسان حدَّه إلى ما يشق عليه ويضيّق عليه وعلى من حوله. فقد تتكلف طالبة العلم أن تظهر أذكى وأدق فهمًا وأشد تمسكًا، فتتعامل مع المسائل بحدة لا تحتملها، أو تحمل الأقوال على أضيق وجوهها، أو تستكثر من الاعتراض والتفريع لتثبت رسوخها، بينما قد تغيب عنها حكمة المسألة وسعة الشريعة

ومراعاة اختلاف الأحوال؛ فتتحول إرادة التمسك إلى تضييق، والحرص على الصواب إلى مشقة، ويصبح ما كان ينبغي أن يورثها فقهًا وبصيرة سببًا في أن تثقل على نفسها وعلى غيرها، فيحصل النفور، وسوء الفهم ويتولد الجفاء والقسوة! وأكبر الخسارة أن يتحول لحالة من التنطع تخفت معها البصيرة شيئًا فشيئًا وتبتعد عن الحنيفية السمحة رويدًا رويدًا، وتلك حقيقة الحرمان حقا!

وقد تتكلف المرأة في علاقتها بزوجها حين لا تحتمل أن يكون في العلاقة شيء من النقص الذي لا تنفك عنه الحياة الزوجية؛ فلا تحتمل فتورًا عابرًا، ولا خلافًا يقع بين زوجين، ولا تقصيرًا من زوجها، ولا أيامًا يثقل فيها أحدهما أو يضيق صدره. تريد للعلاقة أن تظل دائمًا هادئة، متفاهمة، ممتلئة بالمودة، خالية من سوء الفهم والاختلاف، وكأن الزواج إذا كان صالحًا فلا ينبغي أن يتعب فيه أحد، ولا يختلف فيه اثنان. فتظل تراقب العلاقة نفسها، وتفزع من كل خلاف، وتعدّ كل تقصير علامة خلل، وكل تعب إنذارًا بأن شيئًا ما قد فسد، حتى تتحول العشرة من سكنٍ تعيشه بما فيها من تفاوت ونقص، إلى مشروعٍ متواصل لصناعة علاقة مثالية لا وجود لها.

والحقيقة أن حسن العشرة لا يعني غياب الخلاف، ولا أن يكون الزوجان في حال من الانسجام الدائم؛ وإنما أن يعرفا كيف يعيشان ما بينهما من اختلاف، وكيف يتجاوزان التقصير، ويعتذران، ويصلحان ما فسد، ويعودان إلى المودة بعد ما يفسد صفوها الكدر.

فليس كل تعب في الزواج علامة فشل، ولا كل خلاف نذيرًا بانهيار العلاقة، ولا كل تقصير يستوجب القلق ومحاولة إصلاح كل شيء في اللحظة نفسها.

وقد يكون من التكلف أن تحمّل المرأة نفسها وزوجها عبء أن تكون علاقتهما دائمًا على الصورة التي رسمتها في ذهنها؛ فتستنزف نفسها في ملاحقة الكمال، بدل أن تتعلم فقه العشرة كما هي: فيها أيام رخاء وأيام ثقل، وقرب وبعد، ورضا وضيق، وإحسان وتقصير، ثم يبقى الأصل أن يتدارك كل منهما الآخر ويُحسن العشرة ما استطاع.

فلا تطاردي زوجك لأصغر التفاصيل ولا تتكلفي تفسيرها بأسوأ تفسير، بعض الوقت أحيانا يعالج أكبر همومك، وتكتشفين مع الوقت أن الأمر لم يكن يستدعي كل هذا الاستنفار.

وتتكلف الأم كذلك في تربية أبنائها حين تتعامل مع الأمومة وكأن عليها أن تصنع أبناءً بلا خطأ، ولا فوضى، ولا عناد، ولا ضعف، ولا تقصير ولا حتى بعض التراب على ثيابهم وأيديهم! فتراقب كل كلمة يقولونها، وكل تصرف يصدر منهم، وكل حركة أثناء لعبهم، وتقارنهم دائمًا بصورة الطفل المثالي الذي رسمته في ذهنها. فتنسى أن التربية بناء طويل، وأن الطفل بشر يتعلم بالتدرج، ويخطئ ثم يتعلم، ويحتاج إلى التوجيه كما يحتاج إلى الرحمة، وأن الأم نفسها ليست مطالبة بأن تؤدي دور الأم

الكاملة في كل لحظة. وهنا قد يتحول الحرص على حسن التربية إلى توتر دائم، ويصبح البيت كله أسيرًا لمعايير لا يمكن أن تتحقق على صورتها التي تخيلتها.

وهكذا قد يتسلل التكلف إلى أبواب كثيرة من حياة المرأة: تتكلف العبادة حتى تحمل نفسها ما لا تطيق، وتتكلّف العلم حتى تتحدث فيما لم تحط به، وتتكلّف القوة حتى لا تسمح لأحد أن يرى تعبها، وتتكلّف الحكمة حتى لا تعترف بخطئها، وتتكلّف الكرم حتى تتجاوز قدرتها، وتتكلّف المثالية حتى تضيق الحياة عليها وعلى من حولها.

وليس الخلل في أن تطمح إلى الأفضل، وإنما في أن تتحول الرغبة في الإصلاح إلى ملاحقة لصورة متخيلة، فتنسى وهي تصلح نفسها أن الشريعة جاءت بالهداية والرحمة واليسر، وأن الإنسان لا يُطالب بأن يكون شيئًا ليس هو، وإنما يُطالب أن يسير إلى الله بما آتاه، ويجاهد نفسه في حدود طاقته، ويعرف قدره وحدود علمه واستطاعته.

ليست كل مجاهدة تكلفًا

لكن هنا ينبغي أن نقف عند فارق دقيق؛ لأن الدعوة إلى ترك التكلف لا تعني ترك مجاهدة النفس، ولا اتخاذ "أنا هكذا" حجةً لكل نقص، ولا جعل العفوية اسمًا آخر للكسل وسوء الخلق.

أن تجبري نفسك على الصبر حين تضيقين، فهذا تربية. وأن تتعلمي حسن الكلام بعدما اعتدت حدة اللسان، فهذا تهذيب. وأن تحملي نفسك على الصلاة والطاعة حين تفتر، فهذا جهاد للنفس. وأن تتعلمي ما تجهلين، وتعتذري إذا أخطأت، وتقاومي عادة سيئة ألفتها، فكل ذلك انتقال حقيقي من حال ناقص إلى حال أصلح، وليس تصنعًا.

أما التكلف فشيء آخر: أن تدّعي الصبر ولا تصبرين، والعلم ولا تعلمين، والقوة وأنت منهكة، وأن تصنعي للناس ظاهرًا لا يطابق حقيقة حالك ثم تنشغلي بالمحافظة عليه. المجاهدة تصلح الحقيقة، أما التكلف فيجمّل الصورة. المجاهدة تجعلك أفضل مما كنت، أما التكلف فيجعلك تبدين للناس أفضل مما أنت عليه.

ولهذا كانت كلمة "لا أعلم" من علامات العلم والصدق لا من علامات النقص. ففي الصحيح أن ابن مسعود رضي الله عنه قال بمعنى واضح: من كان عنده علم فليتكلم به، ومن لم يعلم فليقل: **"الله أعلم"**، ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾. فليس من العلم أن يكون لديك جواب لكل سؤال، وإنما من العلم أن تعرفي حدود علمك.

فلا تخجلي أن تقولي: لا أعلم. ولا تخجلي أن تقولي: أحتاج إلى أن أراجع المسألة. ولا تجيبي في دين

الله لمجرد أن الناس ينتظرون منك جوابًا. وقد تكون هذه الكلمات القليلة أصدق عند الله من كلام طويل لا تملكين علمه.

الرغبة في الصلاح أم الصورة المرهقة؟

ومن أخفى صور التكلف أن تبدأ المرأة بطلب الصلاح، ثم تنتهي -من حيث لا تشعر- إلى طلب صورة الصالحة.

فتصبح خائفة من أن تقول: تعبت. أو: أخطأت. أو: لا أستطيع. أو: لم أفهم. أو: أحتاج إلى مساعدة. وكأن صلاحها مشروط بأن تبدو مكتفية دائمًا، ثابتة دائمًا، عالمة دائمًا، مبتسمة دائمًا.

وهنا تتحول العبادة والتربية إلى امتحان مستمر للأداء، مع أن الشريعة نفسها لم تبن العبودية على ادعاء قدرة ليست للإنسان. قال الله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾، وقال سبحانه: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾. وقد استشهد أهل العلم بهذا المعنى عند الحديث عن التكلف في العبادة والتحذير من أن يحمل الإنسان نفسه ما لا يطيق.

ومن أجمل الشواهد في ذلك قصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، لما بلغ به النبي ﷺ صيام يوم وإفطار يوم، وهو صيام داود عليه السلام، قال عبد الله بن عمرو: «**إني أطيق أفضل من ذلك**»، فقال له النبي ﷺ: «**لا أفضل من ذلك**».. ثم لما كبر عبد الله تمنى لو أنه أخذ بالرخصة التي وجهه إليها النبي ﷺ. فالمقصود ليس أن تكون العبادة قليلة، وإنما أن تكون على هدي، بلا تنطع ولا تحميل للنفس ما يؤدي بها إلى الانقطاع.

ولهذا جاء التحذير النبوي الصريح: «**هلك المتنطعون**». فليس التشدد على النفس في كل شيء علامة على مزيد من الإيمان، كما أن اليسر ليس مرادفًا للضعف. وبين التفريط والتنطع طريق مستقيم: أن تعبدي الله بما شرع، وتجتهدي بقدر استطاعتك، وتزيدي شيئًا فشيئًا، فإذا تعثرت عدت، وإذا فترت استأنفت، وإذا أخطأت تبت.

فلا تحوّلي الالتزام إلى صورة مثالية تعاقبين نفسك كلما عجزت عن المحافظة عليها. لست مطالبة أن تكوني امرأة لا تضعف، وإنما أن تعرفي ماذا تفعلين حين تضعفين. ولست مطالبة ألا تخطئي، وإنما ألا تستكبري على الرجوع. ولست مطالبة بأن تكون عبادتك في كل يوم على الدرجة نفسها، وإنما أن يبقى لك الطريق إلى الله كلما ابتعدت.

وهذا من رحمة الله بعباده أن شرعه لم يُبنَ على التعسير والتشديد، بل فتح لهم أبواب اليسر حيث شرع لهم الرخص، وأحب منهم أن يقبلوها كما يحب منهم أن يؤدوا عزائمه؛ قال النبي ﷺ: "**إن**

الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه" (حديث صحيح). وكان ﷺ إذا خُيِّر بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، كما قالت عائشة رضي الله عنها: **"ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا"**، (متفق عليه)

وليس معنى اليسر أن يتتبع الإنسان الرخص طلبًا للهوى، ولا أن يتخفف من التكاليف كلما شقّت عليه، وإنما أن يعرف أن من تمام الفقه أن يأخذ بالعزيمة حيث تكون العزيمة، وبالرخصة حيث تكون الرخصة، وأن لا يحوّل التدين إلى مشقةٍ زائدة لم يكلّفه الله بها. فليس كل ما تستطيعين فعله يجب أن تفعليه، وليس ترك بعض المشقة تقصيرًا؛ بل قد يكون الأخذ بما وسّع الله به عليكِ هو عين الاتباع وحسن الفقه عن الله ورسوله ﷺ.

لا تتكلّفي القوة

ولعل من أشد الصور حضورًا اليوم صورة «المرأة القوية»؛ تلك التي لا تحتاج، ولا تتردد، ولا تخاف، ولا تطلب يدًا تسندها، ولا تقول يومًا إنها لم تعد تستطيع.

فتتحول القوة من فضيلة إلى قناع.

تقول المرأة: أنا بخير، وهي ليست بخير. وتقول: أستطيع، وقد استنفدت طاقتها. وتقول: لا أحتاج أحدًا، مع أن النفس البشرية خُلقت محتاجة إلى الله ثم إلى ما جعله الله من أسباب العون والأنس والتناصر بين الناس. ولعل هذه المكابرة من أفسد ما ضخته النسوية بين المسلمات، فأوهمتهن أنهن نساء "حديديات"، لسن بحاجة للرجل ويمكنهن الاستغناء عنه وعن احتياجاتهن للسند والرعاية كنساء، فكن عدوات أنفسهن قبل أي أحد آخر.

وليس الإيمان أن لا تتعبي، وإنما أن تعرفي إلى من تلجئين حين تتعبين. وليس الصبر أن لا تتألمي، وإنما أن يمنعك الألم من السخط ولا يمنعك من الاعتراف بأنك تتألمين. ويمكن للمرأة أن تكون قوية ثم تقول: «لقد تعبت». ويمكنها أن تكون صابرة ثم تبكي، وأن تكون صاحبة همة ثم تحتاج إلى الراحة، وأن تكون داعية إلى الخير ثم تحتاج يومًا إلى من يذكرها هي بالخير.

لا تتكلفي صورة المرأة التي لا تنكسر؛ كوني المرأة التي إذا انكسرت عرفت باب ربها. لا تتكلّفي الرزانة حتى تفقدي إنسانيتك. وقد يدخل التكلف أحيانًا من باب يبدو محمودًا: الوقار.

فتظن المرأة أن الرزانة تعني ألا تضحك إلا قليلًا، وألا تمزح مع أهلها، وألا تظهر حاجتها، وأن تزن كل حركة حتى مع أقرب الناس إليها، ثم يصبح من حولها أمام شخصية رسمية أكثر من كونهم أمام إنسانة على طبيعتها يعيشون معها.

لكن الوقار غير العبوس، والحياء غير الانكماش، والرزانة غير التصنع. بل من أجمل الخصال في المؤمنين خصلة السهولة وعدم التكلف، فالصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يعرفون المزاح والبشاشة مع قوة الإيمان، ولذلك كان تصنع الرزانة مع الأقربين مما قد يصنع بينهم جدرانًا من التحفظ والجفاء، والأفضل التعامل بسهولة مع حفظ أدب المروءة وهيبة الحدود.

ومن أجمل ما نُقل في هذا الباب قول مالك بن دينار: «أثقل إخواني عليَّ من يتكلف لي وأتحفظ منه»، ثم ذكر أن أخف الناس على قلبه من يستطيع أن يكون معه كما يكون وحده. والمعنى ليس إسقاط الأدب، بل نعمة أن توجد علاقات لا تضطر فيها إلى مراقبة أدائك في كل لحظة.

كوني مؤدبة، لا متصنعة. رزينة، لا متجمدة. عفيفة، لا منغلقة. قوية بالله، لا منشغلة بإثبات قوتك لكل من حولك.

والتكلف يدخل البيوت أيضًا

ومن أكثر أبواب التكلف وضوحًا ما تفعله المقارنات الاجتماعية بالبيوت.

ترين امرأةً أقامت مناسبة كبيرة، أو قدمت لضيوفها ما لا تملكين ثمنه، أو اشترت ما لا تستطيعين شراءه، فتبدئين في الشعور بأن "البساطة" تقصير، وأن الكرم لا يتحقق إلا بالكثرة، وأن الناس سيقيسون منزلتك بما تضعينه أمامهم.

فتُحمَّل الميزانية ما لا تحتمل، وقد يدخل الدين والهم إلى البيت حتى يبقى أمام الآخرين مشهد جميل يخفي وراءه ثقل كبير..!

وقد ثبت عن عمر رضي الله عنه قوله: «نُهينا عن التكلف»، ونقل أهل العلم أيضًا النهي عن التكلف للضيف ضمن تطبيقات هذا الباب.

فالشريعة تحب الكرم، ولكن الكرم ليس أن تفقري نفسك ليثني عليك الناس، كما أن حسن الضيافة لا يعني أن تتحول كل زيارة إلى اختبار للمكانة الاجتماعية.

إن كان عندك الكثير فأكرمي بما وسع الله عليك، فقد أكرم إبراهيم عليه السلام ضيوفه بعجل سمين، وإن كان عندك القليل فلا تحملي نفسك ما لا تطيقين، فإنما الجود من الموجود.

ثم ليس عيبًا أن يكون بيتك صغيرًا، ولا أن يكون طعامك يسيرًا، ولا أن تقولي: هذا ما تيسر. والمفارقة أن التكلف الذي يراد به حفظ المكانة أمام الناس مع ما يحمله من مظاهر الإسراف المذموم، قد

يسرق من البيت ما هو أثمن من المظهر، يسرق منه راحته ورضاه وبركته.

وصور التكلف الاجتماعي كثيرًا ما تنشأ من المباهاة والخوف من تعيير الناس وشد انتباههم، وقد تقود إلى الديون وإفساد القناعة وزمرة المسرفين، قال الله عز وجل: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: 31]

التكلف في الزينة

وقد يتسلل التكلف حتى إلى زينة المرأة وهيئتها، حين لا تعود تتزين لتظهر جمال ما خلق الله فيها، وإنما تبدأ في التعامل مع خلقتها وكأنها عيب ينبغي إصلاحه، فلا ترضى بشكل أنفها، ولا بملامح وجهها، ولا بطبيعة شعرها، ولا بهيئتها التي خلقها الله عليها، حتى تدخل في دوامة لا تنتهي من التغيير والتحسين والمقارنة.

وما يبدأ أحيانًا من رغبة عابرة في التجمّل قد يتحول إلى تعلق بالصورة، ثم إلى سخط خفي عن الخِلقة، ثم إلى تغييرات تتجاوز الزينة إلى العبث بالهيئة وتغيير ما خلق الله بغير حاجة معتبرة. وهنا لا تعود المشكلة في أن المرأة تحب أن تكون جميلة، فحب الجمال فطرة، وإنما في أن تصبح غير قادرة على رؤية نفسها جميلة إلا بعد أن تعيد تشكيلها وفق صورة صنعتها لها المقاييس والمعايير من حولها.

ومن أشد صور هذا التكلف أن يصبح الإنسان في حرب دائمة مع صورته؛ كلما أصلح شيئًا بحث عن آخر، وكلما بلغ معيارًا ظهر له معيار جديد، حتى لا يبقى للجمال عنده حد، ولا للرضا موضع. فتستنزف المرأة مالها ووقتها وقلبها في ملاحقة صورة لا تستقر، وربما حملها عدم الرضا عن خلقتها على ما لا يحل لها من تغييرها، بعمليات تجميل صنعت من القبح والبشاعة أكثر مما صنعت من الحسن والجمال!

والمؤمنة لا تُطالب بإهمال زينتها، بل عنايتها بزينتها من الإيمان والتأسي بأمهات المؤمنين والصحابيات رضي الله عنهن، وإنما أن تعرف الفرق بين التجمّل الذي يزيدها رضًا بنعمة الله، والتكلف الذي يجعلها لا ترضى عن نفسها إلا بعد أن تتخلى عن شيء من خِلقتها وخُلقها.

من يراك؟ ومن تريدين أن يرضى عنك؟

وراء صور كثيرة من التكلف سؤال واحد: كيف يراني الناس؟

كيف يرون بيتي؟ وكيف يرون مستواي العلمي؟ وهل أبدو متدينة بما يكفي؟ وهل يظنونني قوية؟ هل يرونني كريمة؟ ناجحة؟ مثقفة؟ متزنة؟

ولا إشكال أن يحب الإنسان السمعة الحسنة، لكن الخطر يبدأ عندما تتحول أعين الناس إلى الميزان الذي تقيسين به قيمتك، فتفعلين الأشياء لا لأنها حق أو خير، بل لأن الصورة التي كوّنتِها عن نفسك تحتاج إليها.

وهنا تفيدك بعض الأسئلة الصادقة: لو لم يرني أحد، هل سأفعل هذا؟ لو لم يعرف الناس بهذه الطاعة، هل ستبقى عزيزة عليَّ؟ ولو لم يصفق أحد لهذا الإنجاز، هل سيظل ذا قيمة عندي؟ ولو اختفى الجمهور، فهل سأبقى حريصة على العمل نفسه؟

ليس المقصود من هذه الأسئلة فتح باب الوسوسة في النيات، ولا جلد النفس، وإنما إعادة البوصلة كلما انحرفت. فالعمل الذي لله لا يحتاج دائمًا إلى شاهد من الناس.

ومن أجمل ما يعيد القلب إلى التوازن أن يكون لك شيء لا يعرفه أحد: ركعتان في خلوة، صدقة لم تخبري بها، دعوة في جوف الليل، إحسان لم تصوريه، تراجع عن معصية لم يعلم بها بشر، أو موقف تركتِ فيه شيئًا تحبينه لأن الله لا يحبه. هناك تتعلمين أنك لست محتاجة إلى أن تثبتي نفسك في كل مجلس، لأن أصدق مواضع حياتك قد يكون ما لا يراه الناس أصلًا.

لا تتكلّفي المثالية

المثالية واحدة من أكثر صور التكلف إنهاكًا؛ لأن صاحبتها لا تكتفي بتحسين حياتها، بل تريد حياة لا تسمح بالخلل.

تريد بيتًا مرتبًا دائمًا، وأولادًا هادئين دائمًا، وعبادة لا تفتر، ومزاجًا لا يضيق، وكلامًا موزونًا في كل موقف، وعلاقات بلا أخطاء، وجسدًا في أحسن صورة، وإنتاجًا متواصلًا، ثم يأتي يوم واحد يختل فيه بعضها فتشعر كأن البناء كله انهار.

لكن من قال إن الإنسان يعيش بهذه الصورة؟

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾. فالإنسان خُلق مكابداً للشدائد والمتاعب وهذا يعني أنه معرض للنقص والقصور والإخفاق، ويعني أنه يجاهد ويصلح على قدر استطاعته، لذلك فلا تبحثي عن المثالية بل عن الواقعية، أصلحي نفسك دون أن تحتقريها، وتجاهدينها دون أن تحطميها، وتطلبين ما تستطيعين من الكمال الشرعي دون مطاردة كمال خيالي لا يبلغه بشر.

أنت مطالبة بالسير إلى الله، لا بأن تسيري في كل اتجاه. مطالبة بالتوبة بعد الخطأ، لا بالعصمة من الخطأ. مطالبة بأن تعودي كلما فترت، لا بأن تعيشي عمرًا بلا فتور.

"البساطة" ليست إهمالًا

وهنا قد يقع سوء فهم آخر: إذا كان التكلف مذمومًا، فهل معنى ذلك أن أعيش كما أنا، وأن أترك عيوبي بحجة العفوية؟ هذا لا يصح!

أن تكوني على سجيتك لا يعني أن تقدسي عيوبك. وإذا كنت حادة اللسان، فتعلمي اللين. وإذا كنت عجولة، فتعلمي الأناة. وإذا كنت ضعيفة الهمة، فجاهدي نفسك. وإذا كنت قليلة العلم، فتعلمي. وإذا كنت مقصرة في العبادة، فاقتربي.

لكن افعلي ذلك لتكوني أرضى لله، لا لتصنعي شخصيةً تعجب الناس.

وهنا يختلف الطريق كله. ستتعلمين لأنك تجهلين، لا حتى يقال: عالمة. وستعتذرين لأنك أخطأت، لا لأن الاعتذار يحافظ على صورتك. وستسكتين حين لا تعلمين. وستستريحين عندما تحتاجين إلى الراحة. وستطلبين المساعدة عندما تعجزين. وسترفضين ما لا يناسبك حين تكون الموافقة ظلمًا لك أو لغيرك.

و"البساطة" وسط بين التكلف المفرط والإهمال المفرط؛ فترك التكلف ليس دعوة إلى التسيب، بل إلى الصدق والقناعة والعمل بما يستطيع الإنسان دون ادعاء ما ليس له.

يا أمة الله... هوني على نفسك!

ثم ليس كل باب ينبغي أن تدخليه، ولا كل سؤال يجب أن تجيبي عنه، ولا كل نقاش ينبغي أن تنتصري فيه، ولا كل مناسبة تحتاج إلى بذخ، ولا كل علاقة تستحق أن تستهلك طاقتك، ولا كل صورة تمر أمامك على الشاشة تصلح ميزانًا تحاكمين حياتك إليه.

دعي في حياتك مساحة للبساطة ولا تجعلي خوفك من أن يراك الناس ناقصة يدفعك إلى عمر كامل من التصنع.

وليس المقصود أن تنسحبي من الحياة أو تهجري الطموح أو تخفضي همتك؛ إنما المقصود أن تتخففي مما لم يكلفك الله به، حتى يبقى فيك متسع لما كلفك به حقًا.

فقد يكون بيتك صغيرًا، لكن فيه من المودة ما لا يوجد في بيت أوسع منه. وقد تكون إمكاناتك قليلة، لكن بركة القليل تغني عن كثير أضاعته المباهاة. وقد لا تكونين أعلم النساء، لكنك صادقة في طلب العلم والاستجابة لأمر الله عز وجل. وقد لا تكونين أقواهن، لكنك تعرفين من تستعينين به حين تضعفين. وقد تخطئين، لكنك لا تستكبرين عن الرجوع.

وهذا خير من أن تعيشي في ثوب ليس لك.

فلا تدّعي ما ليس عندك، ولا تتعاطي ما لا تحسنين، ولا تحملي نفسك مؤنة صورة لم يأمرك الله بحراستها. واستحضري قول عمر رضي الله عنه في كلمة جامعة: "نُهينا عن التكلف".

كوني صادقة مع الله، وصادقة مع نفسك، وصادقة مع الناس. واجتهدي في إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح، لكن دعي عنك صناعة تلك المرأة الخيالية التي لا تتعب، ولا تجهل، ولا تخطئ، ولا تحتاج، ولا تتعثر. فلست مطالبة بأن تكوني امرأةً أخرى.

أنت مطالبة بأن تكوني أمة صادقة لله؛ تسيرين إليه بما تستطيعين، وتجاهدين نفسك فيما تستطيعين إصلاحه، وتستغفرينه فيما عجزت عنه أو قصرت فيه، وتعودين كلما ابتعدت.

وهذا طريق لا يحتاج إلى أقنعة، ولا إلى ادعاء، ولا إلى حياة كاملة تُعرض للناس.

إنما يحتاج إلى قلب صادق. وما كان لله، لم يحتج إلى كل هذا التكلف.

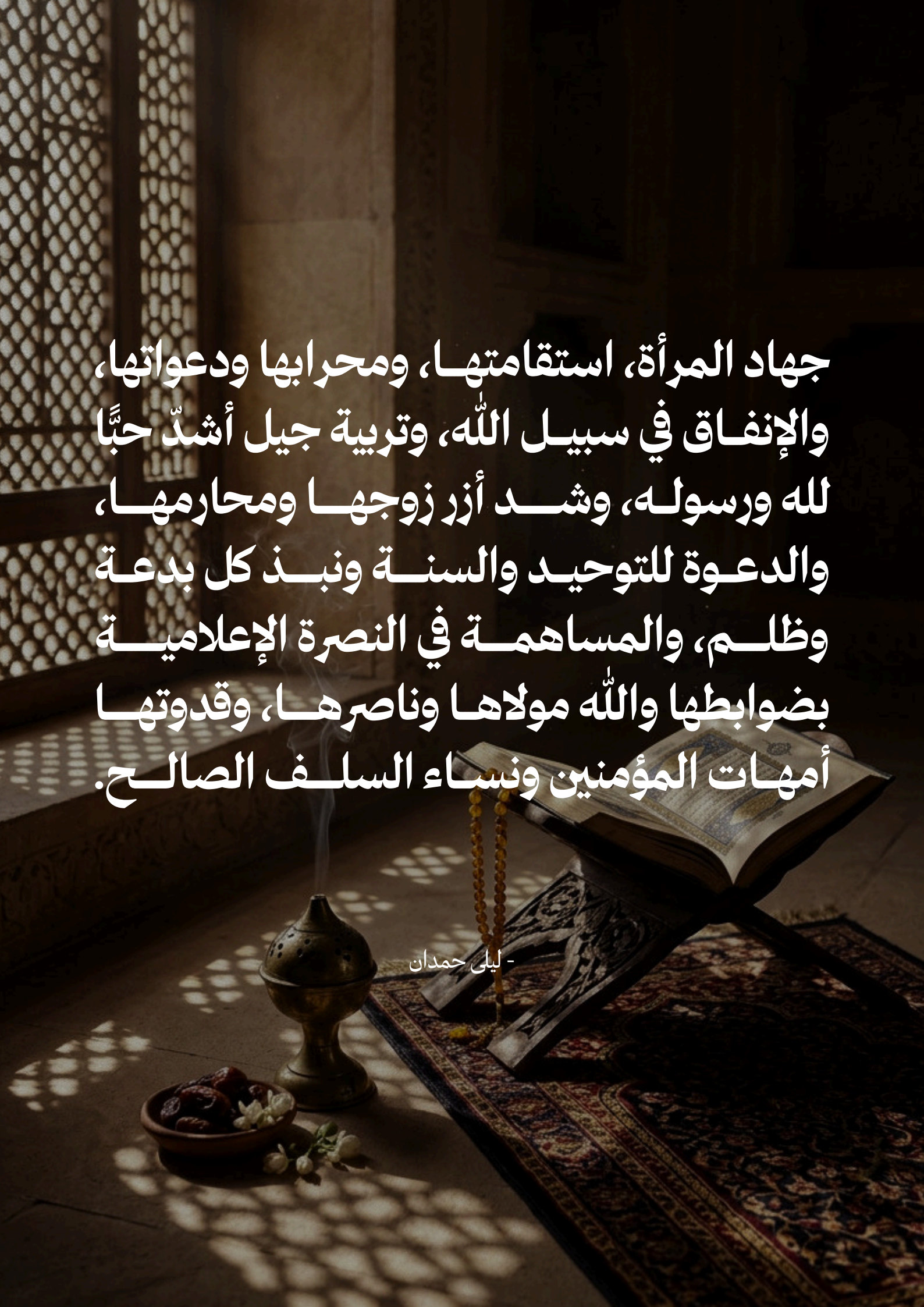
د. ليلى حمدان

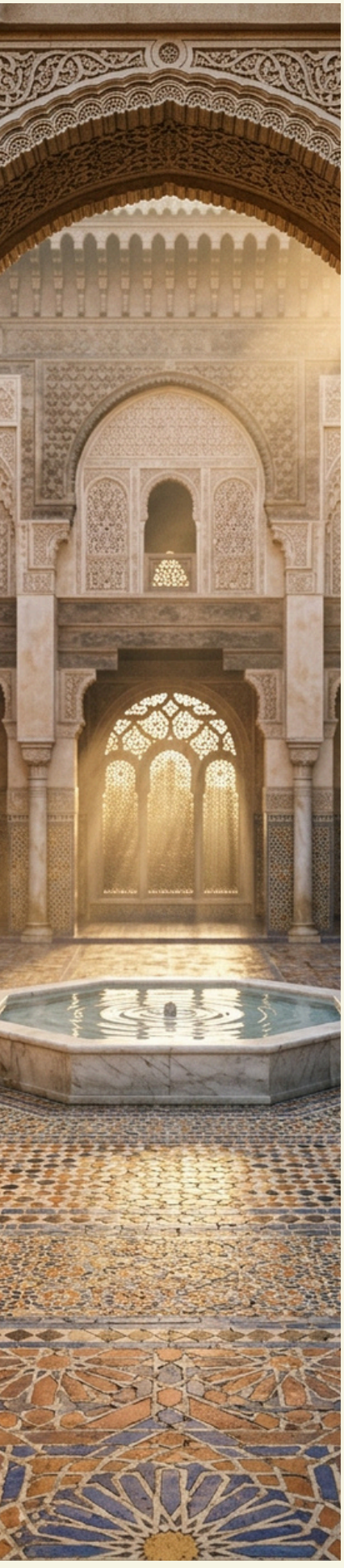


دور المرأة المسلمة

الإسلام لم يُنشئ الصراع
بين الذكر والأنثى، بل أقام
العدل وأحكم البناء

بقلم / بالاك تفيدك


جهاد المرأة، استقامتها، ومحرابها ودعواتها، والإنفاق في سبيل الله، وتربية جيل أشدّ حبًّا لله ورسوله، وشد أزر زوجها ومحارمها، والدعوة للتوحيد والسنة ونبذ كل بدعة وظلم، والمساهمة في النصرة الإعلامية بضوابطها والله مولاها وناصرها، وقدوتها أمهات المؤمنين ونساء السلف الصالح.
- ليلى حمدان



بسم الله الرحمن الرحيم

لم يأتِ الإسلام ليُبقي الصراع قائمًا بين الذكر والأنثى، ولا ليجعل العلاقة بينهما ساحة شدٍّ وجذب، ولا ميدان تنافس على حساب السكينة. جاء الإسلام ليضع حدًّا لفوضى المفاهيم، ويُعيد الأمور إلى ميزانها الصحيح، معلنًا أن العدل لا يكون بالصدام، ولا بالمماثلة القسرية، بل بإعطاء كل ذي حقٍّ حقه، وتكليف كلٍّ بدوره الذي خُلق له.

فالذكر والأنثى في التصور الإسلامي ليسا خصمين، ولا مشروعين متعارضين، بل كيانان متكاملان؛ لكلٍّ منهما موضعه، ولكلٍّ رسالته، ولكلٍّ أثره الذي لا يُغني عنه الآخر.

وحين ساوى الإسلام بينهما في الإنسانية والكرامة والتكليف، لم يُلغِ الفوارق، بل صانها؛ لأن إلغاء الفطرة ظلم، والعدل الحقيقي أن تُراعى الفطرة لا أن تُكسر.

جاء الإسلام فحمَّل الرجل مسؤولية القوامة -لا تفضيلًا أجوف، بل تكليفًا ثقيلًا- وجعل المرأة موضع السكن والسكينة، لا حبسًا ولا تهميشًا، بل رحمةً وحكمة. فلم يكن هذا التقسيم انتقاصًا لأحد، بل حمايةً للنظام الأسري من الاختلال، وضمانًا لاستقرار البيوت، وبناءً متينًا لا يقوم على الصراع بل على التعاون.

غير أن هذا النظام المحكم، حين استقام وثبت، لم يَرُق لأطراف اعتادت الفساد، ولا لمن تقوم مصالحها على تفكيك المجتمعات من داخلها. فوجدوا في الأسرة الإسلامية المتماسكة عائقًا صلبًا أمام مشاريعهم؛ لأنها أسرة لا تتزعزع بسهولة، ولا تُستدرج بالصخب، ولا تنهار بتغيُّر الشعارات.

فكانت محاولاتهم موجَّهةً إلى زرع الصراع بين الذكر والأنثى، وبث الشك بين الزوجين، وتشويه الأدوار، لا طلبًا لعدل حقيقي، بل سعيًا لهدم آخر حصن ثابت. وما كان هجومهم على نظام الأسرة الإسلامي إلا اعترافًا ضمنيًا بقوته؛ فالأنظمة الهشة لا تُحارب، وإنما يُحارب ما يُخيف بثباته ويُقلق بصلابته. لقد أدركوا أن الأسرة حين تُدار بميزان الإسلام، تُخرِّج أجيالًا عصيَّة على التفكك، ثابتة الهوية، صلبة القيم، فكان لا بد في نظرهم



من إفسادها.

ومن هنا نقول، بطمأنينة لا تردد فيها: إن أفضل نظام عرفته البشرية لتنظيم العلاقة بين الذكر والأنثى هو النظام الإسلامي؛ لأنه لم يُبنَ على أهواء البشر، ولا على تجارب ناقصة، بل على علم الخالق سبحانه بخلقه.

نظام أقام العدل دون صراع، ووزع الأدوار دون ظلم، وحفظ الحقوق دون أن يكسر الفطرة، فاستحق أن يكون الأكمل، والأثبت، والأبقى.

عمل المرأة... حين يُعالج الخلل بخلل أكبر



ليست قضية عمل المرأة من القضايا التي يصح اختزالها في سؤال عابر: هل يجوز للمرأة أن تعمل؟

فهذا سؤال فقهي في جانب منه، أما القضية في واقعها فأوسع وأعمق؛ إذ تتداخل فيها العقيدة، والأسرة، والاقتصاد، والتربية، وحال المجتمع، وما استجد من أفكار وأنظمة أعادت تشكيل مفهوم المرأة ووظيفتها في الحياة.

والأصل الذي ينبغي أن يبقى حاضرًا لا يتغير بتغير الأزمنة: أن قرار المرأة في بيتها هو الأصل، وأن قيامها على بيتها وزوجها وأولادها من أجلّ وظائفها وأعظمها أثرًا.

قال الله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ الآية.

وليس هذا تحقيرًا لشأن المرأة، بل هو تنزيل لها في الموضع الذي جعله الله عز وجل أصلًا لها، وإدراك لما أودع الله سبحانه وتعالى في وظيفة البيت من أثر لا تقوم به وظيفة أخرى مهما عظمت.

لكن تقرير الأصل لا يعني إنكار الواقع، كما أن الاعتراف بالواقع لا يعني قلب الأصل.

فالمرأة قد تحتاج إلى العمل، وقد تحتاج إليها الأمة في بعض أبواب العمل، وقد تضطر إلى الخروج لضيق أو فقد أو عجز؛ وهذه أحوال معتبرة شرعًا، ولا يصح أن تُعامل المرأة المحتاجة معاملة المرأة التي خرجت طلبًا للكماليات أو فرارًا من وظيفتها الأولى.

ومن هنا فإن قضية عمل المرأة تحتاج إلى حسن تشخيص قبل إطلاق الأحكام العامة.



أولًا: غزو فكري يعيد تعريف النجاح

من أخطر ما دخل على المرأة المسلمة أن أُعيد تعريف النجاح في ذهنها.

فصارت الوظيفة استقلالًا، والراتب إنجازًا، والخروج من البيت إثباتًا للذات، بينما صُوّرت الأمومة والقيام على البيت في صورة الدور الهامشي الذي لا يليق بالمرأة الطموحة.

وهذه ليست فكرة بريئة.

فحين تُقنع المرأة بأن أعظم ما يمكن أن تكونه هو موظفة، فقد أُسقط من عينها أعظم ما جعل الله عز وجل لها من وظيفة.

وهنا يجب أن يكون الخطاب واضحًا: ليست المرأة أقل قدرًا لأنها لم تعمل خارج بيتها، وليس راتبها هو الذي يمنحها قيمتها.

بل قد تقوم امرأة على بيتها فتربي جيلًا كاملًا، وتسد من الثغور ما لا يسده عشرات الموظفين.

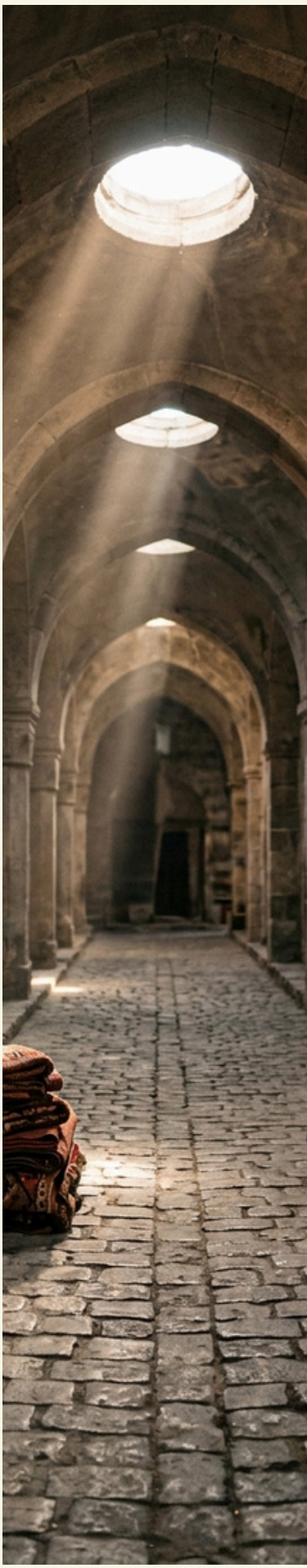
والخلل ليس في أن تعمل المرأة عند الحاجة، وإنما في أن تُقنع بأنها تحتاج إلى العمل لتكون شيئا.

ثانيًا: سوق عمل لا ينظر دائمًا إلى مصلحة الأسرة

ثم جاءت منظومة اقتصادية توسعت في استقطاب النساء، حتى صار خروج المرأة للعمل في بعض البيئات غاية في ذاته، لا استجابة لحاجة حقيقية.

بل قد تُستقطب المرأة في بعض المجالات لأنها أنسب في نظر أصحاب العمل، أو لأن بعض الوظائف بُنيت على وجود النساء، مع ما قد يصاحب ذلك من اختلاط وتبرج ومنافسة في المظهر، حتى أصبح مظهر المرأة أحيانًا جزءًا من رأس مالها الوظيفي!

وهنا يجب أن تعي المرأة المشكلة حتى لا تكون فريسة لمن لا خلاق لهم،



وأن تقوي نفسها ولا تهن وتضعف أمام البهرجات.

وكذلك يحمل المشكلة مؤسسة توظفها، وسوق يستقطبها، ومجتمع يطبع ذلك، ونظام اقتصادي يعيد تشكيل حاجات الناس حتى يصبح الدخل الواحد غير كافٍ، ثم يطالب الأسرة بعد ذلك بأن تتحمل تبعات هذا كله.

فمعالجة قضية عمل المرأة دون النظر إلى السوق الذي يستقطبها معالجة ناقصة.

ثالثًا: أسر دفعت نساءها إلى السوق:

ومن المؤلم أن تكون بعض النساء قد خرجن لا لحاجة شرعية معتبرة، ولا لطموح شخصي فحسب، بل لأن الأسرة نفسها دفعتها إلى ذلك.

زوج يريد راتب زوجته، وأب يعد دخل ابنته مكسبًا للأسرة، وأخ يرى في عمل أخته فرصة لتخفيف نفقات البيت، حتى أصبح بعض الرجال يختارون الزوجة الموظفة طمعًا في مرتبها، لا نظرًا إلى دينها وخلقها.

وهذا انقلاب في الفطرة والمروءة.

فالرجل مأمور بالنفقة، والقوامة تكليف ومسؤولية، وليست بابًا للاستفادة من مال المرأة.

أما المرأة التي أعانها زوجها عند الحاجة، أو أعانت زوجها عند ضيق، فذلك باب من أبواب التعاون والإحسان، لا تحويل النفقة إلى التزام عليها ولا جعل راتبها حقًّا مكتسبًا للأسرة.

رابعًا: نساء أخرجتهن الحاجة

ومع ذلك كله، هناك وجه آخر لا يجوز أن نغفله ونحن نتحدث عن الأصل.

هناك أرملة، ومطلقة، ويتيمة لا معيل لها وزوجة عائلها عاجز أو غائب، وأسرة ضاقت بها السبل ولم تجد من يكفلها. فهؤلاء لهن فقه ومعاملة استثنائية وحدود منضبطة.



وقد جاء القرآن بقصة ابنتي شعيب عليه السلام، فقال: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٣].

فقد خرجتا لحاجة ظاهرة، ولم يكن خروجهما خروج من جعلت السوق ميدانها الطبيعي، بل خروج من حملتها الحاجة، مع بقاء الحياء وعدم مزاحمة الرجال.

وهذا هو الفقه الذي نحتاجه: لا نُبطل الأصل، ولا ننكر الاستثناء.

فمن احتاجت إلى العمل، عملت بما أباح الله تبارك وتعالى مع مراعاة الضوابط الشرعية، والبحث عن أقل الطرق تعرضًا للفتنة، وأقربها إلى صيانة المرأة وبيتها.

خامسًا: عمل تحتاج إليه الأمة

ثم هناك أعمال لا يصح أن ننظر إليها بمنظار الحاجة الفردية وحدها.

فالأمّة تحتاج إلى طبيبات مسلمات، وممرضات، ومعلمات، ومتخصصات في مجالات تحتاج فيها النساء إلى النساء.

وقد يكون قيام المرأة بهذه الأعمال من فروض الكفايات إذا لم يقم بها من يكفي.

فإذا احتاجت المسلمات إلى طبيبة مسلمة تحفظ عليهن خصوصياتهن، فوجودها ثغر من الثغور، وليس مجرد بحث عن وظيفة.

لكن حتى الثغر له أحكامه!

فلا تتحول حاجة المجتمع إلى ذريعة لإسقاط الحجاب، أو لبس الضيق وكشف الذراعين، أو فتح باب الخلوة، أو التساهل في الاختلاط، أو جعل بيئة العمل ميدانًا للتساهل بين العاملين في ميدان الطبابة من الرجال والنساء ورفع الكلفة، والمزاح والتلامس والضحكات، ولا سفر النساء بغير



محرم لأجل ذلك، ولا المبيت خارج المنزل بغير محرم أو وسط غير مأمون، وغير ذلك مما يخالط العمل الطب و المستشفيات من محظورات شرعية؛ فالمصلحة لا تُطلب بمعصية الله عز وجل.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في فتاويه: "والواجب تقوى الله على الطبيب والطبيبة والمريض والمريضة والممرض والممرضة، لا بد من تقوى الله في حق الجميع، كما أن الواجب على الطبيبات والممرضات تقوى الله في ذلك، وأن يكن محتشمات متسترات بعيدات عن أسباب الفتنة، والله الهادي إلى سواء السبيل".

سادسًا: وليس العمل خارج البيت هو الصورة الوحيدة للكسب:
ومن الأخطاء أن يُخيَّل للمرأة أن الكسب لا يكون إلا خلف مكتب أو في مؤسسة.

وقد كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها تعمل بيدها وتتصدق، كما ثبت في الحديث، ولكنه كذلك بهدف "الصدقة، لا الرفاهية".

لا نريد استخدامه تبريرًا لمن تفعله لأجل الكماليات، فتُقصّر تجاه واجباتها وما يسألها الله عنه.

واليوم اتسعت أبواب العمل من المنزل اتساعًا عظيمًا.

فمن استطاعت أن تُعلّم، أو تدرّس، أو تخيط، أو تبيع، أو تكتب، أو تعمل في حرفة مباحة من بيتها، فقد جمعت بين النفع والكسب وصيانة البيت.

وليس هذا انتقاصًا من العمل، بل ترشيد له.

فإذا أمكن تحصيل المقصود من غير خروج، كان ذلك في كثير من الأحوال أقرب إلى مقصود الشريعة في صيانة المرأة والأسرة.

سابعًا: والفراغ ليس علاجُه أن نُخرج المرأة من بيتها:
ومن الحجج التي تُطرح كثيرًا: «ماذا ستفعل المرأة في البيت؟»



والجواب: إن البيت الذي لا يجد فيه الإنسان ما يفعله يحتاج إلى إصلاح، لا إلى وظيفة بالضرورة.

فالمرأة تستطيع أن تملأ وقتها بالعلم، والعبادة، وتربية الأبناء، وصلة الرحم، والحرفة، والتعليم، والعمل من المنزل، والنشاط النافع.

فالفراغ باب خطر، نعم؛ لكن علاجه ليس أن نجعل الوظيفة ضرورة لكل امرأة.

بل أن نربي المرأة على عمارة وقتها بما ينفعها في دينها ودنياها.

المطلوب ليس إخراج المرأة من العمل... بل إعادة العمل إلى موضعه.

إن الخطأ الأكبر هو أن نتعامل مع المسألة بحدّية، وكأن أمامنا خيارين لا غيرهما "إما، أو":

إما امرأة حبيسة البيت ويُسمُّونها عاطلة.

أو امرأة عاملة مستقلة ناجحة.

وهذا تقسيم وتصوّر دخيل على المسلمين، اعتبار الأمومة وشؤون المنزل وحسن التبعل للزوج "عطالة" كانت من أعظم الأفكار الهدّامة التي أوتي الإسلام من قبلها.

فالمرأة قد تكون في بيتها نافعة، وتكون بهذا "على الثغر الحقيقي"، وقد تعمل عند الحاجة، وقد تعمل لحاجة الأمة، وقد تعمل من بيتها، وقد تستغني عن العمل أصلًا لأن زوجًا أو أبًا يقوم بها.

الأحكام لها استثناءات مضبوطة تراعي الأحوال والواقع، فلا تُقلب الأصول وتُغيّر لأجل الواقع!

ولهذا فإن علاج قضية عمل المرأة لا يكون بمهاجمة المرأة وحدها، كما لا



يكون بتسليمها للسوق.

بل يحتاج إلى إصلاح الرجل الذي قصّر في النفقة، والأسرة التي دفعت ابنتها إلى السوق، والسوق الذي استغل المرأة، والتربية التي لم تعرفها بوظيفتها، والمجتمع الذي لم ينشئ بدائل تحفظ المحتاجات.

نحتاج إلى مشاريع أسرية وإسلامية توفر للمرأة المحتاجة فرصًا للكسب من بيتها، وإلى مؤسسات تحفظ المرأة العاملة في المجالات التي تحتاجها الأمة، وإلى وعي يميز بين الحاجة الحقيقية وبين ثقافة الاستهلاك.

فكم من امرأة خرجت للعمل لأنها محتاجة، وكان يمكن أن تبقى في بيتها لو وجدت يدًا تمتد إليها.

وكم من امرأة خرجت لأن راتب الأسرة لم يعد يكفي، وكان يمكن علاج ذلك بسياسة اقتصادية واجتماعية رشيدة.

وكم من امرأة خرجت لأن الفراغ قتلها، وكان يمكن أن تُملأ حياتها بالعلم والعمل النافع.

وكم من امرأة خرجت لأنها صدقت أن البيت وظيفة صغيرة، والعمل خارج البيت هو المجد!

وهنا أصل الداء.

لقد احتجنا في زماننا إلى أن نعيد للمرأة وعيها بوظيفتها الأولى.

فليست القضية أن نغلق أبواب العمل أمام النساء.

القضية أن لا يتحول العمل إلى غاية، ولا الخروج إلى أصل، ولا الراتب إلى معيار قيمة، ولا البيت إلى مرحلة مؤقتة تنتظر المرأة الخلاص منها.

فالمرأة التي تقوم على بيتها ليست امرأة بلا وظيفة.



إنها تقوم بوظيفة تتعلق بها أمة كاملة.

ومن هنا فإن أعظم ما نحتاجه ليس امرأة أكثر خروجًا، وإنما مجتمعًا أكثر فقهًا: يعرف متى تقر المرأة في بيتها، ومتى تحتاج إلى الخروج، ومتى يحتاج إليها الناس، وكيف تُصان إذا خرجت، وكيف تُغنى عن الخروج إذا أمكن.

فالواقع لا يُنكر، لكنه لا يَحكُم الشريعة.

والحاجة لا تُهمل، لكنها لا تُتخذ ذريعة.

والاستثناء يُرخص فيه بقدره، لكنه لا يتحول إلى أصل.

ويبقى الأصل أصلًا:

أن للمرأة وظيفة أولى، وميدانًا أول، وثغرًا عظيمًا؛ بيتها الذي تُحسن فيه التبعل لزوجها، وترعى فيه أجيال الأمة، فالله سائلها عن هذا.

ألا إن تلك البقعة الصغيرة التي تُسمى بيتًا..!



ألا إن تلك البقعة الصغيرة التي تُسمى بيتًا، رياض يرفُل في نعيمها الأبناء، ويؤوب لها الزوج مستجيراً من رمضاء الحياة إلى فيئها.

مشروع ذكريات، تُنقش في بواطن الأطفال فيتأملونها كباراً مستدفئين بذكراها، داعين لأم انعكس جمال روحها على بيتها؛ فغدت تمنح كل ما تلمسه رونقاً، وكل ما تمرّ عليه وضاءةً وعبقاً.

فما غاية الدّور أن تكون مكاناً للنوم ومصدراً للطعام؟ وإلا فالفنادق والمطاعم موجودة... فالمراد أجلّ!

يا جميلة الروح، برّاقة الثنايا، هاتي يدكِ لننطلق في رحلة لعالم الجمال...

أولاً: لأن المطبخ به يبتدئ يومك بعد أداء الفروض وتلاوة الأذكار؛ احرصي على ما يلي:

- **النوافذ:**

بعد كل وقدة للغاز، وفورة للأواني، اتركي النوافذ مفتوحة ليتجدد الهواء، مع مراعاة وجود ستائر؛ لتكون قارورتنا مستورة وعن الشارع محجوبة.

وهذي نقطة جد مهمة؛ لأنها الفيصل بين من تدخلين بيتها فتجدين رائحة الثوم والبصل، وبين من تزورينها فلا تستبين لك ماهية طعامهم من نقاء الهواء عندهم...

- **عيون الغاز:**

أزيليها كل فترة واستعملي السلك المعدني في سبكها؛ لتغدو لامعة. وامسحي الفُرن وأطرافه؛ فنظافة الطعام ودافعية العائلة لذوقه، من نظافة مقدمه والمكان الذي نبع منه.

فكيف يأكل المرء طعاماً طُهي على أرضية غير نظيفة!



- **دفّة الفرم الخشبية:**

ضعيها قليلا بعد استعمالك لها تحت أشعة الشمس؛ لتغادرها رائحة الثوم، ولكي لا يتشرّب خشبُها الماءَ، ولا تختلط نكهة طعام الغد مع نكهة ما قطعتيه البارحة.

- **القلي:**

إن توفرت شرفة صغيرة مغطاة؛ فيفضل أن تقلي الطعام فيها؛ لأن زيت القلي يؤثر على الرفوف فيعلو دبق وزيت ودهنٌ تعسر إزالته.

ولأن رائحة القلي تتشبث بغرف المنزل وبالملابس، وتضرّ رئة الأطفال.

فإن تعسر وجودها، فيا حبّذا وجود شفّاط/اسبلتر/ مروحة صغيرة تأخذ الهواء للخارج بغية التخلص من هذي الروائح.

- ما تأخذين منه ماء للشرب، "فلتر" أو حافظة للمياه، حافظي على نظافتها كلما فرغت قبل تجديدها. اغسليها من الخارج والداخل، ثم ضعيها تحت أشعة الشمس الذهبية قليلا، بعد ذلك أعيدي ملأها بالماء النقي.

- وجود أصيص نباتات اصطناعية، أو خيط من الأوراق الخضراء يضفي حياة وإطاراً للوحتك البهية.

- **سلة قمامة للمطبخ.**

اشطفيها بعد كل مرة تخلصتم فيها من القمامة، ثم ضعيها تحت أشعة الشمس؛

كي لا تتراكم البكتيريا فتكون مصدر للأوبئة والحموضة والنتن.

- **الثلاجة:**

احرصي على عدم وضع الخضر والفواكه بأكياسها؛ فتنسينها أنت ولا يعلم الأولاد ما يوجد لديكم من نِعم؛ فتتعفن وتذوي وتذبل.



اغسليها حال قدومها ووزعيها في الدروج، والصحون الشفافة بترتيب أنيق.
واحرصي على تهوية الغسالة والفرن بعد استعمالهم بترك الباب مفتوحًا قليلا.
أما الممر الذي هو جسر من الباب لتتمة الغرف، فاحرصي على نظافته؛ فهو أول موطئ للأقدام.

فالنظرة الأولية أشد رسوخًا في الذهن... فامسحي أرضيته، وضعي قريبا من متناول يدك معطِّرًا خفيف العبير، أنيس الشذى؛ لترشي منه كلما جاءتك زائرة أو عاد أحد من أهل المنزل؛ فيرتبط في ذاكرتهم شذى منزلك الفواح.

- **أما غرفة الجلوس:**

فاحرصي على مسح الأرائك أو غسل وجوهها إن كانت إزالة وجوهها سهلة، مرة في الشهر على الأقل.

وزعي أصيص زرع منزلية طبيعية في زوايا المنزل، لتهبه اخضرارًا ورونقاً، ولذة للعين وأنسا للفؤاد، وامسحي أوراقها كلما علاها غبار بقطعة قماش مبلولة بماء عذب كقلبك؛ ليتألق سندسها ويزداد لمعانها.
وحافظي على هواء الغرفة بكراً، غير آسن... جددیه كل صباح وفي الظهيرة وقبل النوم؛ كي لا ترقد على جدران بيتك روائح مقرمشات الأطفال...

- احرصي على تغيير ملابس الأولاد فلا يناموا بما كانوا يلبسونه خلال النهار وفيه أثر دربٍ من الشوكولاتة... أو رذاذ من مرق الفاصولياء^^.

- بدلي أغطية الأسرة والوسادات كل أسبوع واغسليها.

كل ما ذكرته أعلاه يهب بيتك ريح مسك، ويباعد بينك وبين الشياطين؛ فالنظافة من الإيمان وضدها من الكفر...

والشيطان يكره وينفر من كل ما وافق وقارب الفطرة... فاجعلي بيتك كما يحب الله الله تبارك وتعالى ويرضاه... على الفطرة، مع تظافر طلب العلم وتلاوة القرآن وذكر الله؛ فتحضره الملائكة.

جعل الله بيتك موئلًا لراحة الأفئدة والأجساد... ودامت روحك عطرة!



الرد على الشبهات

حصانة المرأة في ظل الإسلام

بقلم / سنا برق


"والقرآن بعيد الغور واسع المدى، فكلما أعطيته من نفسك ومن عقلك ومن روحك أعطاك من فتوحه ونفحاته، حتى تنكشف لك علوم وآفاق ما كنت لتصل إليها لولا مدارسة القرآن".
- الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، جمهرة مقالاته 325/1



بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

مما هو معروف ومستقر عقلًا ومنطقًا، أننا كلما ابتعدنا عن الصورة تشوشت الرؤية؛ فقد لا نراها على حقيقتها، وقد نرى منها أجزاءً دون أخرى، فنخطئ الحكم، ويضيع منا الأصل والهدف والمضمون.

وقد نتقاتل أحيانًا حول تفاصيل هي في الحقيقة جزء أصيل من الصورة، لكن بسبب تشوش الرؤية، الذي قد يخالطه هوى، ننكر الأصل ونرتاب فيه، فننتصر للباطل باستماتة؛ تارةً عن حسن قصدٍ دون وعي أو فهم، وتارةً بدافع هوى غالب، وافتياتٍ على العلم والدين.

ومن أكثر القضايا التي كثر فيها القيل والقال، وتقاذفتها أمواج الهوى والجهل والخلط بين الدين والعادات: حجاب المرأة المسلمة، وصيانتها، ومفهوم حضورها في المجتمع.

فلعل في الكلمات القادمة، على قلة البضاعة وقصورها، محاولةً لإزالة بعض اللبس، وتقريب الصورة كما دلت عليها نصوص الوحي، وكما تجلت في خير القرون، دون ادعاء أن كل ما فعله الناس في تلك العصور كان تشريعًا ملزمًا.

وما كان من خطأ فيما يأتي فمن نفسي ومن الشيطان، وما كان من توفيق فمن الله عز وجل وحده، لا شريك له؛ له الفضل كله، والحمد كله، والثناء كله، كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأعوذ بالله عز وجل من الهوى والرياء، والقول على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بغير علم.

البداية لم تكن من الحجاب، بل كانت من الخِدر

الخِدر في اللغة هو السِّتر، ويُطلق على الموضع الذي تستتر فيه المرأة، ومنه قولهم: فتاةٌ في خِدرها؛ أي مصونة مستترة.



ولطالما استوقفني قول أم عطية رضي الله عنها في حديث صلاة العيد:

«كُنَّا نُؤْمَرُ أن نَخْرُجَ يومَ العيدِ، حتى نُخْرِجَ البِكرَ من خِدرِها...»

فهذا النص يرسم لنا صورة لفتاةٍ كانت حياتها الخاصة تتميز بالستر، حتى كان خروج البكر من خدرها أمرًا يُذكر في سياق الحث على شهود الخير العام.

والأهم هنا أن الحديث لا يدل على أن المرأة كانت ممنوعة من الخروج مطلقًا، بل يدل على أن الخروج كان منضبطًا بالغاية والأدب والستر؛ ولهذا أُمرت النساء بالخروج لصلاة العيد، بل أُخرجت البكر من خدرها.

وهنا تتولد أسئلة جديرة بالتأمل:

إذا كان الخِدر رمزًا للستر والصيانة في البيئة الأولى، فكيف نفهم اليوم مفهوم الحجاب؟

وهل الحجاب في الإسلام مجرد قطعة قماش تستر الجسد، أم أنه منظومة أوسع من الحياء، والستر، وغض البصر، وضبط الاختلاط، وصيانة الخصوصية، وحفظ الكرامة؟

وهل أخطأنا حين اختزلنا مفهوم الحجاب في مظهر خارجي، كما أخطأنا حين ألغينا المظهر الخارجي تمامًا وجعلناه مجرد «نية في القلب»؟



لعلنا نحتاج إلى العودة إلى الصورة كاملة، لا إلى جزء منها.

مفهوم أعمق للحجاب

لا يمكن فهم الحجاب في التصور الإسلامي فهمًا دقيقًا إذا اقتطعناه من منظومة الآداب التي أحاط بها الإسلام علاقة الرجل بالمرأة.

فالإسلام لم يلقِ مسؤولية العفة على المرأة وحدها، ولم يجعل الرجل خارج دائرة التكليف؛ بل خاطب الرجال أولًا بغض البصر وحفظ الفروج، ثم خاطب النساء كذلك.

قال تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[النور: 30].

ثم قال سبحانه:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾

[النور: 31].

وهذا مهم جدًا؛ لأن الحديث عن صيانة المرأة في الإسلام لا ينبغي أن يتحول إلى خطاب يحمّل المرأة وحدها مسؤولية الفتنة، وكأن الرجل لا تكليف عليه.

بل المنظومة الإسلامية مسؤولية مشتركة: على الرجل غض البصر والعفة، وعلى المرأة الستر والعفة، وعلى المجتمع حماية الحدود والآداب.

١- الخروج إلى المسجد لا يعني سقوط الضوابط

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات**».

أي غير متطيبات.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل خروج المرأة ممنوعًا بإطلاق، وإنما قرن خروجها بضوابط تحفظ مقصد العبادة وتمنع أسباب الفتنة.

٢- آداب الطريق

وجاء عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للنساء حين اختلط الرجال والنساء في الطريق:

«**استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق**».

وهذا الحديث يُذكر في باب آداب اختلاط الرجال بالنساء في الطريق. لكن ينبغي التنبيه العلمي إلى أن إسناده قد تُكُلِّم فيه؛ لذلك لا يصح أن نجعله وحده أساسًا لإثبات حكم شرعي، وإن كان معناه منسجمًا مع أصل التزام الأدب وعدم المزاحمة.

٣- صلاة المرأة في بيتها

وجاء عن أم حميد رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنها تحب الصلاة معه، فقال لها إن صلاتها في بيتها خير لها من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في حجرتها خير لها من صلاتها في دارها، وصلاتها في دارها خير لها من صلاتها في مسجد قومها، وصلاتها في مسجد قومها خير لها من صلاتها في مسجده صلى الله عليه وسلم.

فهذا يدل على فضل صلاة المرأة في بيتها في هذا السياق، ولا يعني أن المرأة ممنوعة من المساجد؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**».

وهنا تظهر دقة التشريع: إباحة الخروج لا تعني أن كل خروج أفضل، وإباحة الحضور في المجتمع لا تعني إلغاء خصوصية المرأة أو الضوابط التي تحفظها.

٤. «المرأة عورة»

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**».

وقد رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، ورُوي مطولًا عند ابن خزيمة بزيادة: «**وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها**».

لكن ينبغي أن نفهم لفظ «عورة» هنا في سياقه الشرعي، لا بمعنى أن المرأة عيب أو أنها كائن ناقص؛ فهذا فهم جائر للنص.

المقصود بيان ما يتعلق بستر المرأة وصيانتها، وأن خروجها قد يكون محل تعرض للفتنة؛ ولذلك



شرعت لها آداب وضوابط، كما شُرع للرجل غض البصر والعفة.

والدليل على أن الإسلام لم يجعل مجرد خروج المرأة جريمة أن النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن للمساجد، والعيد، والحج، وقضاء حوائجهن، وغير ذلك من المصالح المشروعة.

إذن القضية ليست:

«المرأة في البيت = الإسلام»

ولا:

«خروج المرأة = مخالفة الإسلام»

وإنما القضية أعمق:

ما الغاية من الخروج؟ وكيف يكون؟ وما الضوابط التي تحفظ للمرأة دينها وكرامتها، وتحفظ المجتمع من أسباب الفتنة؟

وهنا يبدأ الفهم الصحيح لمفهوم حصانة المرأة في الإسلام.

٥. صلاة المرأة في بيتها

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«**صلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ من صلاتِها في حُجرتِها، وصلاتُها في مَخدعِها أفضلُ من صلاتِها في بيتِها**». رواه أبو داود (٥٧٠)، وصححه الألباني.

عن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال:

«**خيرُ مساجدِ النساءِ قعرُ بيوتِهِنَّ**» رواه أحمد وابن خزيمة، وحسّنه الألباني لغيره.



وهذان الحديثان يبينان تفاوت الفضل في مواضع صلاة المرأة، وكلما كان الموضع أستر وأبعد عن أنظار الرجال كان ذلك أفضل لها في هذا الباب.

٦. أدب القول

قال تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[الأحزاب: 32].

والآية وإن كان خطابها ابتداءً لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فإن فيها أدبًا عظيمًا في تعامل المرأة مع الرجال: فلا تخضع بالقول، ولا تتعمد ما قد يثير الطمع، وإنما تقول قولًا معروفًا واضحًا منضبطًا.

٧. القرار في البيت وترك التبرج

قال تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[الأحزاب: 33].

وهذه الآية من أبرز النصوص التي تتصل بمفهوم القرار والبعد عن التبرج. لكنها ـ من جهة التفسير ـ تحتاج إلى قراءة دقيقة؛ فالخطاب في سياقه المباشر لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وهن أمهات المؤمنين، ولا يصح أن تُحوَّل الآية وحدها إلى حكم بأن المرأة المسلمة ممنوعة من الخروج مطلقًا.

بل جاءت السنة بإثبات خروج النساء للمساجد والعيد والحج وقضاء الحاجات، مع التزام الآداب والضوابط.

٨. حتى الزينة الخفية

قال تعالى:

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾

[النور:31].



وهذا من دقة التشريع الإسلامي في معالجة أسباب لفت الانتباه؛ فلم يقتصر النهي على إظهار الزينة، بل نهى عن فعلٍ من شأنه أن يُسمع به فيُعلم ما تخفيه المرأة من زينتها.

٩. جلابيب نساء الأنصار

وروى أبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى:

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾
[الأحزاب: 59]

أن نساء الأنصار خرجن بعد نزول الآية وكأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية.

وهذا الأثر يصور سرعة امتثال نساء الصحابة رضي الله عنهن لأمر الله، وحرصهن على الستر عند الخروج.

١٠. خُمُر نساء المهاجرات

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

«**يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها**».

وهذا الحديث يدل بوضوح على مبادرة الصحابيات إلى الامتثال حين نزل الأمر بالحجاب.

وقد نقل ابن حجر في «فتح الباري» تفسيرًا للاختمار بأنه تغطية الوجه.

الحجاب ليس قطعة قماش فحسب

لو تأملنا هذه النصوص مجتمعة، وجدنا أن الحجاب في التصور الإسلامي أوسع من مجرد قطعة قماش تغطي الجسد.



إنه منظومة من الستر والحياء وغض البصر وضبط القول والحركة، وترك التبرج، وصيانة الزينة، والبعد عن أسباب الفتنة.

ولهذا فالحجاب لا يبدأ من الثوب وينتهي عنده؛ وإنما يبدأ من القلب، ويظهر أثره في السلوك، ويترجم نفسه في المظهر.

وهنا ينبغي أن ننتبه إلى أمر مهم: ليس المقصود من الحجاب أن تصبح المرأة غير مرئية، ولا أن وجودها في المجتمع ممنوع، وإنما المقصود أن يكون حضورها حضورًا منضبطًا بالحياء والستر، بعيدًا عن التبرج وإثارة الانتباه.

ومن هنا نفهم معنى قول بعض أهل الأدب:

هن اللواتي في البيوت جواهرٌ

وإذا خرجن إلى الطريق خيامُ

وإن كان هذا البيت شعرًا لا نصًا شرعيًا، فإنه يصور معنى أدبيًا أراد صاحبه التعبير به عن شدة الستر.

«تفلات»... كلمة تستحق التأمل

في الحديث: «**ولكن ليخرجن وهن تفلات**»،

أي غير متطيبات.

والمعنى أن المرأة إذا خرجت إلى المسجد لا تخرج متعطرة بما يجذب انتباه الرجال.

وقد ذكر أهل العلم أن النهي عن الطيب هنا مرتبط بما قد يترتب عليه من افتتان الرجال، ويلحق بذلك ما كان في معناه من أسباب لفت الأنظار إذا قصدت به الفتنة أو كان من التبرج المنهي عنه.

وهنا تظهر دقة الإسلام في بناء الوقاية؛ فهو لا ينتظر وقوع الفتنة ثم يعالج



آثارها، بل يسد أبوابها من بدايتها.

لكن ينبغي ألا نحمل الحديث أكثر مما يحتمل؛ فكون المرأة مأمورة بالخروج «تفلة» لا يعني أن كل صورة من صور حسن المظهر محرمة، وإنما الممنوع هو التبرج والزينة التي تظهر للرجال الأجانب على الوجه الذي نهى عنه الشرع.

إذا كان هذا حال الصلاة، فكيف يكون حال الخروج؟

إذا كانت السنة قد رغبت المرأة في الصلاة في بيتها، وكان في ذلك زيادة في الستر والبعد عن أنظار الرجال، فهذه دلالة على أن الستر مقصد معتبر في الشريعة.

لكن لا يصح أن ننتقل من ذلك إلى القول إن كل خروج للمرأة أقل فضلًا أو أن الإسلام يريد إخفاء المرأة عن المجتمع؛ فالسيرة نفسها تخبرنا أن النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خرجن للعبادة، والعلم، والحج، والعيد، وقضاء الحاجات، وشاركن في وجوه متعددة من الحياة العامة.

إذن القضية ليست: خروج أو عدم خروج.

بل القضية: كيف تخرج؟ ولماذا تخرج؟ وما الذي تلبسه؟ وكيف تتعامل؟ وما حدود حضورها؟

وهنا تتضح عظمة مفهوم الحصانة في الإسلام:

فالإسلام لا يبني جدارًا حول المرأة، وإنما يبني منظومة من الضوابط حول الإنسان والمجتمع؛ حتى تكون حرية الحركة مصحوبة بالحياء، والحضور مصحوبًا بالكرامة، والتعامل مصحوبًا بالحدود.

قصة فاطمة رضي الله عنها والنعش

ومن القصص التي تُذكر في هذا الباب ما رُوي عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أنها قالت لأسماء بنت عميس رضي الله عنها إنها تستحي أن تُحمل بعد وفاتها على هيئة يظهر معها شكل جسدها، فذكرت لها أسماء رضي الله عنها نعشًا رأته في الحبشة يستر جسد المرأة.

والذي يستوقف في القصة. إن صحت. هو شدة حياء فاطمة رضي الله عنها



وحرصها على الستر، حتى بعد الوفاة.

وهنا يظهر معنى جميل: أن الحياء عند الصالحات لم يكن مجرد استجابة لضغط المجتمع، بل كان قيمة داخلية تستقر في النفس، فتدفع صاحبها إلى اختيار ما هو أستر وأبعد عن كشف الهيئة.

القرار في البيت... هل هو أعلى درجات الحجاب؟

قد تظن بعض النساء أن الدعوة إلى قرار المسلمة في بيتها نوع من التنطع والغلو، وقد تظن أخريات أن القرار يعني إلغاء حضور المرأة في المجتمع.

والحق أن كلا التصورين يحتاج إلى مراجعة.

فالبيت في التصور الإسلامي موضع سكينة وستر وخصوصية، وليس سجنًا.

والقرار فيه فضيلة في موضعه، والخروج فضيلة أو حاجة في موضعه.

ولهذا لا ينبغي أن نجعل «البيت» و«المجتمع» خصمين، ولا أن نجعل خروج المرأة بذاته نقصًا في حيائها.

إنما المقصود أن ندرك أن الستر مقصد شرعي، وأن القرار في البيت أحد صور تحقيقه، وليس الصورة الوحيدة.

وهنا نصل إلى معنى أعمق: الحجاب في الإسلام ليس مجرد أن تُغطّي المرأة جسدها حين تخرج، بل أن تتكون لديها حصانة داخلية وخارجية؛ تعرف متى تخرج، ولماذا تخرج، وكيف تخرج، وما الذي يحفظ لها دينها وكرامتها.

وهذا هو المفهوم الذي نحتاج إلى استعادته اليوم:

لا حجابًا يُختزل في الثوب، ولا حريةً تُختزل في كشفه؛ وإنما إنسانٌ يعرف حدود الله، وامرأةٌ مصونة الكرامة، ومجتمعٌ يتحمل



مسؤوليته في العفة والحياء.

انظري مثلًا إلى الصلاة، التي هي أعظم أركان الإسلام، الذي هو غاية الوجود والخلق، وخلف أفضل الأنام، في واحد من أفضل مساجد الأرض؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم إن صلاة المرأة في بيتها، وهو أخص شيء في غرفتها، أفضل لها من الصلاة خلف النبي في جماعة في مسجده! فأي شيء يستحق الخروج لأجله بعد ذلك؟!

وانظري إلى أمر الله عز وجل لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، خير النساء، ولنا من بعدهن: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾.

إذن، الدعوة للقرار في البيت ليست تعنتًا وجمودًا، وإنما هي امتثال عظيم لأمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

تأملن هذا الحديث في الصحيحين:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَما ضُرِبَ الحِجَابُ لِحَاجَتِهَا، وكَانَتِ امْرَأَةً جَسِيمَةً لا تَخْفَى علَى مَن يَعْرِفُهَا، فَرَآهَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فَقالَ: يا سَوْدَةُ، أَمَا واللَّهِ ما تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَانْظُرِي كيفَ تَخْرُجِينَ، قالَتْ: فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً، ورَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ في بَيْتِي، وإنَّه لَيَتَعَشَّى وفي يَدِهِ عَرْقٌ، فَدَخَلَتْ فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَقالَ لِي عُمَرُ كَذَا وكَذَا، قالَتْ: فأوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عنْه، وإنَّ العَرْقَ في يَدِهِ ما وضَعَهُ، فَقالَ: إنَّه قدْ أُذِنَ لَكُنَّ أنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ**»، أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم.

تأملن قوله صلى الله عليه وسلم: «**إنه قد أُذِنَ لكن أن تخرجن لحاجتكن**»!

من صدقت مع نفسها، ستعلم أن معنى هذا أن يكون خروج المرأة قليلًا جدًا، على قدر الحاجة الفعلية، وليست المُتخيَّلة.

العجيب أن كل ذلك كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، فكيف بزماننا، وكيف يطيب لنسائنا وبناتنا كثرة الدخول والخروج،



في ظل ما نراه من طوام وفظائع في مجتمعات أبعد ما تكون عن أخلاق الإسلام ومروءته؟

وفي الحديث الشريف:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**».

«**استشرفها الشيطان**»: يعني رفع البصر إليها ليغويها أو يغوي بها، فيوقع أحدهما أو كليهما في الفتنة. وقيل: المراد شيطان الإنس، سماه به على التشبيه، بمعنى أن أهل الفسق إذا رأوها بارزة طمحوا بأبصارهم نحوها، والاستشراف فعلهم، لكن أُسند إلى الشيطان لما أُشرب في قلوبهم من الفجور، ففعلوا ما فعلوا بإغوائه وتسويله وكونه الباعث عليه.

والمعنى المتبادر أنها ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس، فإذا خرجت طمع وأطمع؛ لأنها حبائله وأعظم فخوخه، وأصل الاستشراف وضع الكف فوق الحاجب ورفع الرأس للنظر» انتهى من «مجموعة الآداب الشرعية».

وجاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما حج بنسائه، قال: «**إنما هي هذه الحجة، ثم الزمن ظهور الحُصُر**»، يقصد أن يلزمن بعدها البيت ولا يخرجن، رضي الله عن أمهاتنا، أمهات المؤمنين، وقدواتنا العظيمات الكريمات.

هل هذا يعني تحريم خروج النساء بالكلية؟

بالطبع لا، لكن من أدركت عِظم الأمر وأرادت غاية الامتثال، علمت يقينًا أن الخروج في أضيق الحدود وفي الضرورات هو الأفضل، وأنها كلما قللت من خروجها ولزمت بيتها كانت أشد امتثالًا وطاعة لله عز وجل.



تأثير المرأة على الرجل

للمرأة تأثير عظيم على الرجال، قد لا تدركه ولا تتخيله بعض النساء، فالرجل مجبول بالفطرة على هذا التأثر وعلى الانجذاب إليها، هذه فطرة خلقه الله عز وجل عليها، يهذبها الدين واتباع الشرع وبعض أخلاق الرجال التي، للأسف، قد تكون اندثرت بشكل كبير في زماننا.

ففي الحديث الشريف: عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**». البخاري.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله، أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن، قالت: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين**». صحيح مسلم.

وفي لفظ آخر:

«**ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أسلبَ لِلُبِّ الرجلِ الحازمِ منكن...**» الحديث.



وتأملن معي الآية الكريمة:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14].

فكانت أول وأعظم شهوة للرجال هي النساء.

تأملي بالله عليك هذا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً، فأتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهي تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إلى أَصْحَابِهِ، فَقالَ: إنَّ المَرْأَةَ تُقْبِلُ في صُورَةِ شيطَانٍ، وَتُدْبِرُ في صُورَةِ شيطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ؛ فإنَّ ذلكَ يَرُدُّ ما في نَفْسِهِ. [وفي رواية]: لَمْ يَذْكُرْ: تُدْبِرُ في صُورَةِ شيطَانٍ».

جاء في شرح الحديث:

قال صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ المَرأةَ تُقبِلُ في صورةِ شَيطانٍ، وتُدبِرُ في صورةِ شَيطانٍ**»، يُشيرُ إلى الهَوى والدُّعاءِ إلى الفِتنةِ بِها لِمَا جعَلَه اللهُ تَعالى في نُفوسِ الرِّجالِ منَ المَيْلِ إلى النِّساءِ، والالتِذاذِ بنَظرِهنَّ وما يَتعلَّقُ بهنَّ؛ فهيَ شَبيهةٌ بالشَّيطانِ في دُعائِه إلى الشرِّ بوَسوستِه وتَزيينِه له؛ لأنَّ إقْبالَها داعٍ للإنْسانِ إلى اسْتراقِ النَّظرِ إليها، كالشَّيطانِ الدَّاعي إلى الشَّرِّ والوسواسِ، وعلى هذا إدْبارُها؛ لأنَّ النَّظرَ رائدُ القلبِ، فيتعَلَّقُ بها عندَ الإدْبارِ، فيَتحيَّلُ للوُصولِ إليها، وإنَّ رُؤيتَها من جميعِ الجِهاتِ داعيةٌ للفَسادِ.

ثُمَّ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «**فإذا أبصَرَ أَحدُكُمُ امرأةً**»، أي: اسْتَحسَنَها وأَعْجبَتْه؛ لأنَّ غايةَ رُؤيةِ المُتَعجَّبِ منهُ اسْتِحسانُه، وفي روايةٍ أُخْرى عندَ مُسلمٍ:



«إذا أحَدُكم أعْجبَتْه المرأةُ، فوقَعَتْ في قَلبِه، فلْيَعمِدْ إلى امْرأتِه، فلْيواقِعْها»، وهنا قال: «فلْيأتِ أهلَه»، أي: ولْيُجامِعْ زَوجتَه، «فإنَّ ذلكَ يَرُدُّ ما في نَفْسِهِ»، أي: فإنَّ جِماعَه لزَوجتِه يرُدُّ ما وقَعَ في نفْسِه، فيَدفَعُ شهوتَه، وتَسكُنُ به نفْسُه.

هذا النبي صلى الله عليه وسلم، خير البشر، متحدثًا لصحابته، خير البشر بعد الأنبياء، وأكثر الناس دينًا وخلقًا، ونساء ذاك الزمان كن الصحابيات رضي الله عنهن، بحجابهن ودينهن وعفتهن وأخلاقهن.

كيف بزماننا!

ألم أخبرك أن شهوة الرجال للنساء فطرة، لا يضبطها إلا دين وخلق قويم، قلَّ أن تجديهما في زماننا!

كيف تأمن المسلمة على نفسها مع كل ما تهيج به المجتمعات من فتن وتفلت وضياع؟

وكيف تعتبر القرار في بيتها، الذي هو أعظم سبل صونها وحمايتها، تعنتًا وتشددًا، فضلًا عن الحجاب الصحيح بشروطه الصحيحة، الخالية من كل ما يدعو لجلب الأنظار!

وإليك أيضًا هذا الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إذا قامَ أحَدُكُمْ يُصَلِّي، فإنَّه يَسْتُرُهُ إذا كانَ بيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فإذا لَمْ يَكُنْ بيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فإنَّه يَقْطَعُ صَلاتَهُ الحِمارُ، والْمَرْأَةُ، والْكَلْبُ الأسْوَدُ. قُلتُ: يا أبا ذَرٍّ، ما بالُ الكَلْبِ الأسْوَدِ مِنَ الكَلْبِ الأحْمَرِ مِنَ الكَلْبِ الأصْفَرِ؟ قالَ: يا ابْنَ أخِي،



سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كما سَأَلْتَنِي، فقالَ: الكَلْبُ الأسْوَدُ شيطانٌ».

وشاهدنا من الحديث هو قطع المرأة التي تمر بين يدي رجل يصلي صلاته، وفسر بعض أهل العلم قطع الصلاة بنقصها لشغل القلب بهذه الأشياء، وليس المراد إبطالها؛ فإن المرأة تفتن!

تخيلي مدى فتنة الرجال بالنساء، فهذا عابد قائم بين يدي ربه يصلي، قد تنقص صلاته لمجرد مرور امرأة أمامه، يا لفتنة النساء!

هل بعد كل ذلك، هناك جدال في خطورة اختلاط الرجال بالنساء، ولو من بعيد؟!

الإسلام دين وقاية

صورة من صور عظمة الإسلام تكمن في أنه لا ينتظر وقوع الضرر والبأس ثم يسعى للعلاج، بل هو دين وقاية، يأمر بقطع السبل التي يصل نهايتها إلى المصائب والمعاصي.

فالإسلام لم يحرم الزنا فقط، بل قال القرآن الكريم:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾.

مجرد المقدمات أو الأمور التي قد تُوصل إلى الزنا أمرنا باجتنابها.

قال السعدي في تفسيره:

«والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإن: "من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"، خصوصًا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داعٍ إليه.»

وقد فرض الله عز وجل مجموعة من الأوامر على الرجال والنساء ليحفظهم ويحفظ بهم المجتمع المسلم.



فقال الله عز وجل:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[النور: 30-31].

وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة التي تظهر مدى حرمة الاختلاط بين الرجال والنساء بكل أشكاله.

حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إياكم والدخول على النساء**». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**». متفق عليه.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها**». أخرجه مسلم.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«لَأَنْ يُطْعَنَ في رأسِ رجلٍ بمِخْيَطٍ من حديدٍ خيرٌ له من أن يمسَّ امرأةً لا تحلُّ له».



وأخرج الترمذي وأحمد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ألا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان**». وصححه ابن حبان والحاكم.

قال المناوي: «إلا كان الشيطان ثالثهما» بالوسوسة وتهييج الشهوة ورفع الحياء وتسويل المعصية حتى يجمع بينهما بالجماع أو فيما دونه من مقدماته التي توشك أن توقع فيه، والنهي للتحريم. اهـ. من «فيض القدير».

جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي محرم**».

قال ابن تيمية، كما في «مجموع الفتاوى»: «الراجح في مذهب الشافعي وأحمد أن النظر إلى وجه الأجنبية من غير حاجة لا يجوز، وإن كانت الشهوة منتفية؛ لكن لأنه يخاف ثورانها؛ ولهذا حرم الخلوة بالأجنبية؛ لأنه مظنة الفتنة.

والأصل أن كل ما كان سببًا للفتنة فإنه لا يجوز، فإن الذريعة إلى الفساد يجب سدها، إذا لم يعارضها مصلحة راجحة.

ولهذا كان النظر الذي قد يفضي إلى الفتنة محرمًا، إلا إذا كان لحاجة راجحة، مثل نظر الخاطب والطبيب وغيرهما، فإنه يباح النظر للحاجة مع عدم الشهوة. وأما النظر لغير حاجة إلى محل الفتنة فلا يجوز». اهـ.

إذن فالإسلام حرم على المرأة ما قد يلفت نظر الرجال إليها أو يفتنهم بها، مثل الخضوع بالقول، والتبسط مع الأجانب، وإظهار الزينة لغير المحارم، وحتى لفت النظر إلى الزينة المخفية، وأمرها بالستر والاحتجاب والحياء وغض البصر، وغير ذلك مما يغلق باب الفتنة تمامًا.

وكذلك أمر الرجال بغض البصر، وألا يختلوا بالنساء، وألا يمسوا امرأة أجنبية، وأن يحادثوا النساء من وراء حجاب، وغير ذلك مما يغلق باب الفتنة نهائيًا.



التبرج

التبرج في الشرع من كبائر الذنوب، فقد جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام، فقال:

«**أبايعك على ألا تشركي بالله شيئًا، ولا تسرقي، ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفتريه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى**». رواه أحمد، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

ومن تأمل في هذا الحديث الشريف يجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرن التبرج الجاهلي بأكبر الكبائر، والتبرج يجلب اللعن والطرد من رحمة الله.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات**». رواه الطبراني في «المعجم الصغير»، وصححه الألباني.

والتبرج من صفات أهل النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**». رواه مسلم.

والتبرج شر ونفاق، فعن أبي أذينة الصدفي رضي الله عنه أن رسول



الله صلى الله عليه وسلم قال: «**خير نسائكم الودود الولود المواتية المواسية إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن منافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم**». رواه البيهقي وصححه الألباني.

والتبرج سواد وظلمة يوم القيامة، فعن ميمونة بنت سعد، وكانت خادمًا للنبي صلى الله عليه وسلم، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة، لا نور لها**». رواه الترمذي وضعفه.

قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في «عارضة الأحوذي»: «ولكن المعنى صحيح، فإن اللذة في المعصية عذاب، والراحة نصب، والشبع جوع، والبركة محق، والنور ظلمة، والطيب نتن، وعكسه الطاعات، فخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، ودم الشهيد اللون لون دم، والعرف عرف مسك». انتهى.

روى أبو حَريز، مولى أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه، قال: «**خطب الناس معاوية رضي الله عنه بحمص، فذكر في خطبته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم سبعة أشياء، وإني أبلغكم ذلك، وأنهاكم عنه، منهن النوح والشعر والتصاوير، والتبرج، وجلود السباع، والذهب، والحرير**». رواه الإمام أحمد.

المرأة مكفولة

إن من أبرز ما يميز الإسلام هو الاتساق التام بين كل جزئياته، مهما دقت، فلن نجد أبدًا تعارضًا وتضاربًا بين حكم وآخر، بل لن تجد تعارضًا أبدًا بين أي حكم في الإسلام، كدين وشريعة ومنهاج، وبين الفطرة السليمة والمجتمعات الصحيحة السليمة.

ولعل ما قد يثير عند كثير من الناس بعض الحيرة والتوجس من بعض أحكام الشريعة، هو السعي لمطابقة المنهج السليم المستقيم مع المجتمعات الفاسدة أو الفطر المنتكسة، وحين لا يحدث التطابق بالفعل، يبدأ البعض في محاولة حرف الشريعة القويمة لتتماشى مع انحراف النفوس



والمجتمعات، بدلًا من السعي الحثيث لإصلاح المجتمعات والنفوس المعطوبة؛ ليسهل عليها تلقي الشرع وحسن ويسر اتباعه وتطبيقه. وهذه من أشد وأشنع جرائم عصرنا، ليس في حق الدين فقط، وإنما في حق الأفراد والمجتمعات المسلمة والأمة كلها، بل والعالم بأسره، حتى الأمم الكافرة.

فمثلًا، حين نقول إن الشريعة سعت لصيانة المرأة بأمرها بالقرار في بيتها، وسعت لصيانة دين الرجل بعدم الاختلاط مع النساء حال قرارهن في بيوتهن، ومن ثم صيانة المجتمع والأمة جميعًا.

وجدنا العديد من الشبهات الملقاة، سعيًا لرد هذا الحكم، وافتراض أنه لا يتماشى مع الواقع!

مثلًا تجد من تقول: الفتاة حين تكبر تصير عبئًا على أبيها، وفرضًا لم تجد عائلًا! ومثلًا لو تزوجت ومات زوجها، وفرضًا، واحتمالًا، وتخيلًا وتوقعًا!!!

لكن الشريعة الغراء لم تغفل ذلك ابتداءً، إذ الشارع الحكيم سبحانه جعل المرأة مكفولة دائمًا، وهذا حق أصيل من حقوقها؛ فإنفاق أبيها عليها هو حق وواجب عليه، وإنفاق أخيها المقتدر عليها حق لها، وإنفاق زوجها عليها حق أصيل لها، وكذلك إنفاق جدها وابنها وحتى حفيدها. ومن كان من أرحامها ولم يكن وارثًا لها، كانت صدقته عليها لها أجران، خلاف من تصدق على غير أرحامه.

ثم إن فقدت المرأة كل هؤلاء . افتراضًا ، فلها حق في بيت مال المسلمين، يأتيها حقها وهي معززة مكرمة، مكفولة محفولة، محفوظة الجناب.

ولا يسقط حقُّ المرأة في رعاية أبيها لمجرد أنها تزوّجت ثم طُلِّقت؛ فإذا عادت إليه محتاجةً، لا مال لها ولا كسب يكفيها، وجبت نفقتها على أبيها الموسر، وفق الضوابط الشرعية لنفقة الأقارب، ما لم تكن نفقتها واجبةً على غيره.



وقد رغّبت الشريعة في الإنفاق على الأهل والإحسان إليهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**». رواه مسلم (995).

وجاء في خصوص البنت التي تعود إلى أبيها محتاجةً ما رُوي عن سراقة بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ؟ ابْنَتُكَ مَرْدُودَةً إِلَيْكَ، لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيْرُكَ**». أخرجه ابن ماجه (3667)، وإسناده ضعيف لانقطاعه، غير أن المعنى العام لفضل الإنفاق على الأهل ثابت بالأحاديث الصحيحة.

نعم، كما أسلفنا؛ انتكست كثير من الفطر والنفوس وفسدت المجتمعات، لدرجة أن تضطر بعض النساء والبنات للخروج لكسب الرزق بينما يعيش أبوها بصحة جيدة وحال جيدة، لكن هذا ليس لعيب في الشريعة وأحكامها، ولكن لفساد النفوس التي تستوجب استنفارًا وسعيًا لمحاولة ردهم إلى الفطرة السليمة وتصحيح المسار.

ولا شك أن في حال اضطرار المرأة اضطرارًا حقيقيًا للخروج من بيتها سعيًا على نفسها أو عائلتها؛ فلا ذنب عليها، ويجوز لها ذلك، بشرط أن تلتزم الشرع حال خروجها. فتخرج بحجابها الشرعي كاملًا، وتتجنب الاختلاط بأقصى طاقتها، ولا تبدي زينتها، ولا تخضع بقول أو فعل، وما إلى ذلك من أحكام، ولها في بنات شعيب قدوة ومثل.



ظلم النساء بالخطاب الانتقائي

لو تفكرنا قليلًا في المجتمع المسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لوجدنا أن الصحابيات ربما بلغت أعدادهن الآلاف، وازداد العدد قطعًا في عهد الخلفاء الراشدين والتابعين وتابعيهم.

لكن اللافت للنظر أنه حين يتحدث أي داعية أو شيخ أو حتى إنسان عامي عن الصحابيات رضي الله عنهن، لا يذكر إلا نماذج معدودة جدًا، بل ربما يذكر مواقف معينة ويركز عليها أكثر من غيرها، وربما سردها في غير سياقها الصحيح، والأدهى من ذلك أنه ربما ذكر شخصيات غير موجودة ومواقف غير صحيحة ولا مثبتة.

مما صنع عند كثير من الفتيات والنساء تصورًا أن المرأة المسلمة لابد أن تصول وتجول، تنافس الرجال في ميادينهم، وإلا لما قدمت شيئًا للدين!

وهذا تصور خاطئ تمامًا، بل هذا استثناء للقاعدة أساسًا الذي لا يصح القياس عليه، فضلًا عن أن كثيرًا من المواقف تلك فرضتها الظروف فرضًا، ولم تكن مقصودة لذاتها.

مثلًا؛ موقف السيدة صفية رضي الله عنها حين قتلت اليهودي، كان ذلك موقفًا فرضه الظرف القائم حينها؛ حيث ترك النبي صلى الله عليه وسلم النساء في حصن، ولم يظن أن اليهود يبلغون تلك الخسة والدناءة فيتعرضون للنساء، وترك معهن سيدنا حسان رضي الله عنه ليقضي لهن حاجاتهن، وقيل إن سيدنا حسان حينها كان مريضًا أو طاعنًا في السن، فحين تعرض اليهودي للنساء لم يقوَ على قتله؛ فشمرت السيدة صفية رضي الله عنها لذلك، فقتلته وقطعت رأسه في موقف بطولي استثنائي، وحمت أعراض المسلمين وحرماتهم.

الشاهد من ذكر الموقف؛ أنها لم تسعَ هي للنزال ابتداءً، بل حينما فرض عليها الواقع أمرًا؛ كانت هي هي رضي الله عنها، أسدًا جسورًا على أهبة الاستعداد لحفظ الدين وحرماته.



كذلك لابد أن تكون المسلمة، قارة في بيتها منشغلة بواجباتها؛ ولكنها لا تترك نفسها هملًا، بل تكون على أهبة الاستعداد حين يجد الجد وتضطر للوقوف في موقف دفاع ونصرة للدين وأهله.

المثال الثاني: علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالطب

ومن الأمثلة على ذلك ما يُذكر من أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت طبيبة، حيث أن الروايات تثبت سعة معرفتها بالطب ووسائل التداوي المعروفة في عصرها.

فقد كان عروة بن الزبير رضي الله عنهما يتعجب من سعة علمها، فسألها قائلًا: «يا أمتاه، لا أعجب من فهمك، أقول: زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول: ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب، كيف هو؟ ومن أين هو؟».

قال: فضربت على منكبه وقالت: «أي عُرَيَّة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم عند آخر عمره، أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها له، فمن ثم».

أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (24380)، وقال محققوه: «خبر صحيح»، مع وجود ضعف في إسناده، وقد جاءت روايات أخرى صحيحة تثبت أصل معرفتها بالطب.

ومن ذلك قول عروة بن الزبير: «ما رأيت أحدًا أعلم بالطب من عائشة رضي الله عنها»، فلما سألها عن مصدر علمها، قالت: «كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض، فأحفظه».



أورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (2/183)، وإسناده صحيح.

والشاهد هنا أن ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يبيّن أنها اكتسبت جانبًا من معرفتها بالطب من سماع وصفات العلاج التي كان الناس يتداولونها، ومن الأدوية التي كانت توصف للنبي صلى الله عليه وسلم عند مرضه، فكانت تحفظ ذلك وتنتفع به، بما وهبها الله من فطنة وذكاء وقوة حفظ.

ولم تكن أم المؤمنين بحاجة لكثرة الخروج لتعلم الطب؛ رغم ما ثبت من سعة علمها بهذا العلم وطرق التداوي في عصرها، لقد كانت رضي الله عنها مثالًا بارزًا في الفقه والعلم والفطنة، وحسن الانتفاع بما تسمعه وتتعلمه.

حتى السيدة خديجة رضي الله عنها حين يُقال إنها كانت تاجرة؛ فذلك تدليس وافتئات عليها رضي الله عنها.

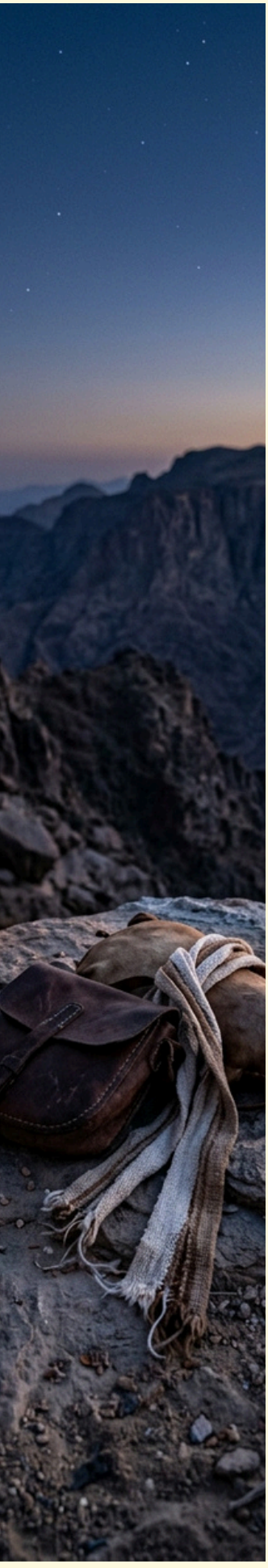
فما علمنا عنها أبدًا خروجًا لأجل التجارة، ولا اختلاطًا بالرجال بسببها، رغم أنها كانت في عصر جاهلية رضي الله عنها.

بل كانت صاحبة مال، تستأجر الرجال عن طريق أمة وعبد عندها، ولا تختلط بهم مباشرة؛ فيتاجرون لها بمالها مقابل أجر، وهي معززة مكرمة في بيتها، شريفة عفيفة حيية تقية رضي الله عنها وأرضاها.

ومن المواقف التي يكثر ذكرها عن الصحابيات، وهي غير صحيحة ولم تثبت، أن السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كانت تذهب بالطعام والماء إلى النبي وصاحبه في الغار، صلى الله وسلم وبارك على نبينا، ورضي عن صاحبه وأهله.

لكن رواية البخاري بينت أن أسماء رضي الله عنها صنعت لهما الطعام في بيت أبي بكر وقبل الخروج للغار، قالت رضي الله عنها:

«صنعتُ سفرةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة. قالت: فلم تجد لسفرته ولا لسقائه



ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئًا أربط به إلا نطاقي، قال: فشقيه باثنين فاربطيه: بواحد السقاء وبالآخر السفرة، ففعلت. فلذلك سميت ذات النطاقين». وبوّب له الإمام البخاري بقوله: «باب حمل الزاد في الغزو».

وفي روايتها لحديث الهجرة قالت عائشة رضي الله عنها:

«**فجهزناهما أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرةً في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين. قالت: ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور...**»

أما طعامهما (رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه) في غار ثور، في الأيام الثلاثة التي مكثاها في الغار، فالظاهر أنه من تلك السفرة التي أُعدت في بيت أبي بكر رضي الله عنه، وما كان يأتيهما به عامر بن فهيرة رضي الله عنه؛ ففي رواية البخاري الآنفة الذكر: «**... ويرعى عليهما عامر بن فُهيرة، مولى أبي بكر، منحةً من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسل . وهو لبن منحتهما ورضيفهما . حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ...**».

ومن الروايات التي لا تصح عن الصحابيات هي قتال السيدة صفية رضي الله عنها في غزوة أُحد، وهذه رواية غير صحيحة ولم تثبت، فالسيدة صفية رضي الله عنها لم تأتِ إلى ساحة القتال إلا بعد انتهاء المعركة، حينما سمعت بما حدث لسيدنا حمزة رضي الله عنه:

«قال ابن إسحاق: وقد أقبلت، فيما بلغني، صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام: القَها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها؛ فقال لها: يا أمه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مُثِّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك؛ قال: خلِّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، فصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُفن». السيرة لابن هشام.



بل وأكثر من ذلك هو صناعة شخصيات لم تكن موجودة أصلًا، فقد اشتهرت بأنها الفارسة الملثمة التي كانت تشارك في المعارك والفتوحات، واستطاعت إنقاذ أخيها من الأسر. والصحيح أن هذه القصة مختلقة ولا أصل لها.

بل إن خولة هذه لا ذكر لها في كتب التراجم والسير، بل ولا في كتب اللغة والأدب؛ فهي على الراجح شخصية وهمية، وكل من يُثبت عنها شيئًا إنما يعتمد على كتاب «فتوح الشام» المكذوب على الواقدي، وكتاب «شرح ديوان الخنساء»، وشارح هذا الديوان مجهول غير معروف، وقد اعتمد في سرد بعض الأحداث في شرحه هذا على كتاب «فتوح الشام»، وكتابان هذه حالهما لا يُعتمد عليهما.

ومعروف في حروب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أن المرأة لا تشارك الرجال في القتال، وإنما تقوم بمداواة الجرحى وسقي الغزاة ومساعدتهم، ولم تكن تباشر القتال، ثم إن الصحابي الجليل ضرار بن الأزور رضي الله عنه لم يُذكر في ترجمته أن له أختًا تسمى خولة، ولو كانت مشهورة معروفة لناسب ذكرها.

وخلاصة الكلام: شخصية خولة بنت الأزور، المشهورة في بعض كتب القصص والسير الشعبية ببطولاتها في الفتوحات، لا يثبت تاريخيًا ما اشتهر من أخبارها، ولم نقف لها على ترجمة في المصادر المبكرة المعتمدة، وإنما ذاعت أخبارها أساسًا من خلال كتاب «فتوح الشام» المنسوب إلى الواقدي، وهي نسبة لا تصح؛ ولذلك لا يصح بناء صورة تاريخية جازمة عن شخصية خولة وقصص بطولاتها على تلك الأخبار، بخلاف شخصية أخيها ضرار التي ذكرها أغلب من ترجم للصحابة والتابعين، وكل من ترجم وكتب في الطبقات.

ومما يؤيد ذلك أن تلميذ الواقدي وكاتبه والمكثر من الرواية عنه، ابن سعد قد ترجم لضرار بن الأزور،



"ولم يشر قط إلى وجود أخت له، فلو كانت قصصها عند الواقدي لأشار إليها، بل نقل عن الواقدي أنه صحّح القول بموت ضرار قبل اليرموك أثناء حروب الردة في عهد أبي بكر رضي الله عنه، والقصص المزعومة عن خولة تدور حول بحثها عن أخيها في حرب الروم في عهد عمر رضي الله عنه".

على هذه الأمثلة يمكنك القياس، لتعلمي أن خروج النساء لشأن عام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان استثناءً قليلًا جدًا اقتضته الحاجة حينها، ولم تتخطَّ الصحابيات قدر الحاجة بأي سبيل.

وأما قرار الصحابيات في بيوتهن والاشتغال بما هو معروف عن النساء، فكان حالهن على الحقيقة، دون تحقير أو تهوين؛ فذاك ثغرك الذي يمكنك من خلاله تقديم الكثير إن صدقت وأصلحت النية؛ فالزميه.

أزمة وجود خطاب خاص

ربما سبب من أسباب صناعة التصورات الخيالية عند كثير من المسلمات اليوم هو عدم وجود خطاب دعوي خاص للمرأة، بل كانت كل القنوات لا تذكر من الرعيل الأول في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا الصحابة الرجال ومآثرهم وبطولاتهم، مما أفقد النساء اتجاه البوصلة الصحيح، فظن الكثيرات منا أنها يجب عليها أن تكون عمر وخالد والبراء والمثنى، وإلا فلن تكون خلفًا جديرًا لذاك السلف القدير.

وكما أسلفنا سابقًا، فحتى سير الصحابيات اقتصرت على ذكر بطولات حصرية استثنائية، وكأنها قاعدة عامة، فصارت إحدانا تظن أنها لو لم تشترك بالواقع العام، تصول وتجول فيه، فقد تخلفت عن ركب النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، وهي بذلك مجرد عالة على الدين والأمة!

وذاك تصور فاسد وغير صحيح، فالمرأة قرارها في بيتها عبادة عظيمة أمرها بها الله عز وجل، وهي بذلك تمتثل أمره سبحانه وتعالى، وهل هناك أشرف أو أعظم من امتثال أمر الملك جل جلاله!

ثم تَمُّور المرأة في بيتها كثيرة، من تقديم العون والدعم والراحة المعينة على البناء لأبيها وأخيها وزوجها وابنها.



ثم في عصرنا هذا قد تستطيع المرأة سد الكثير من الثغور وهي قارة في بيتها، منها ثغور الدعوة بكل أشكالها، دون اختلاط أو فتنة في الواقع أو المواقع.

ثم ثغور التربية التي تنزف من كثرة الإهمال وضعف الحصانة. وكل مساهمة في صناعة الوعي بعلم التربية وتطبيقاته في الواقع، هو أجر ممتد لأجيال تستفيد من بركاته.

ثم الإعداد لوقت الحاجة، فتهتم المرأة بصحتها ولياقتها وإمكاناتها ومواهبها، دون إفراط أو تفريط، حتى تكون صفية رضي الله عنها إن كانت هناك حاجة حقيقية لذلك.

تلك كلها عبادات وعطاءات وبناءات، لابد أن تزهر يومًا ما في الدنيا، حتى لو لم نرها، ثم تثمر في الآخرة بإذن ربنا الكريم.

هل ظلمها وضيق عليها الشرع، أم الواقع بعاداته وتعقيداته؟

ربما تظن بعض النساء أن بعض أحكام الشرع إنما هي تضييق لها وخنق، والحقيقة أن الواقع بتعقيداته وعاداته المتكلَّفة هو من صنع تلك البوتقة الضيقة من إيقاع وأسلوب حياة وعادات وتقاليد وتحكُّمات وقواعد تخنق المجتمع كله، بدايةً من خلق حاجات وهمية ثم الاسترخاء معها حتى تظن أحيانًا أنها ضرورات وأساسيات، إلى إثقال عواتق الأسر بما قد يدفع النساء للخروج من بيتها الآمن الدافئ إلى صقيع الحياة ووحشيتها، مرورًا بالعادات التي تقيد النساء في أنماط وشخصيات وقواعد محددة محصورة، قعّدها بعض البشر وفرضوها على غيرهم، مثل مسارات معينة في الحياة من تعليم معين ثم عمل معين، إلى ما يُعرف بالموضة وكل ما يصب في مضمونها.

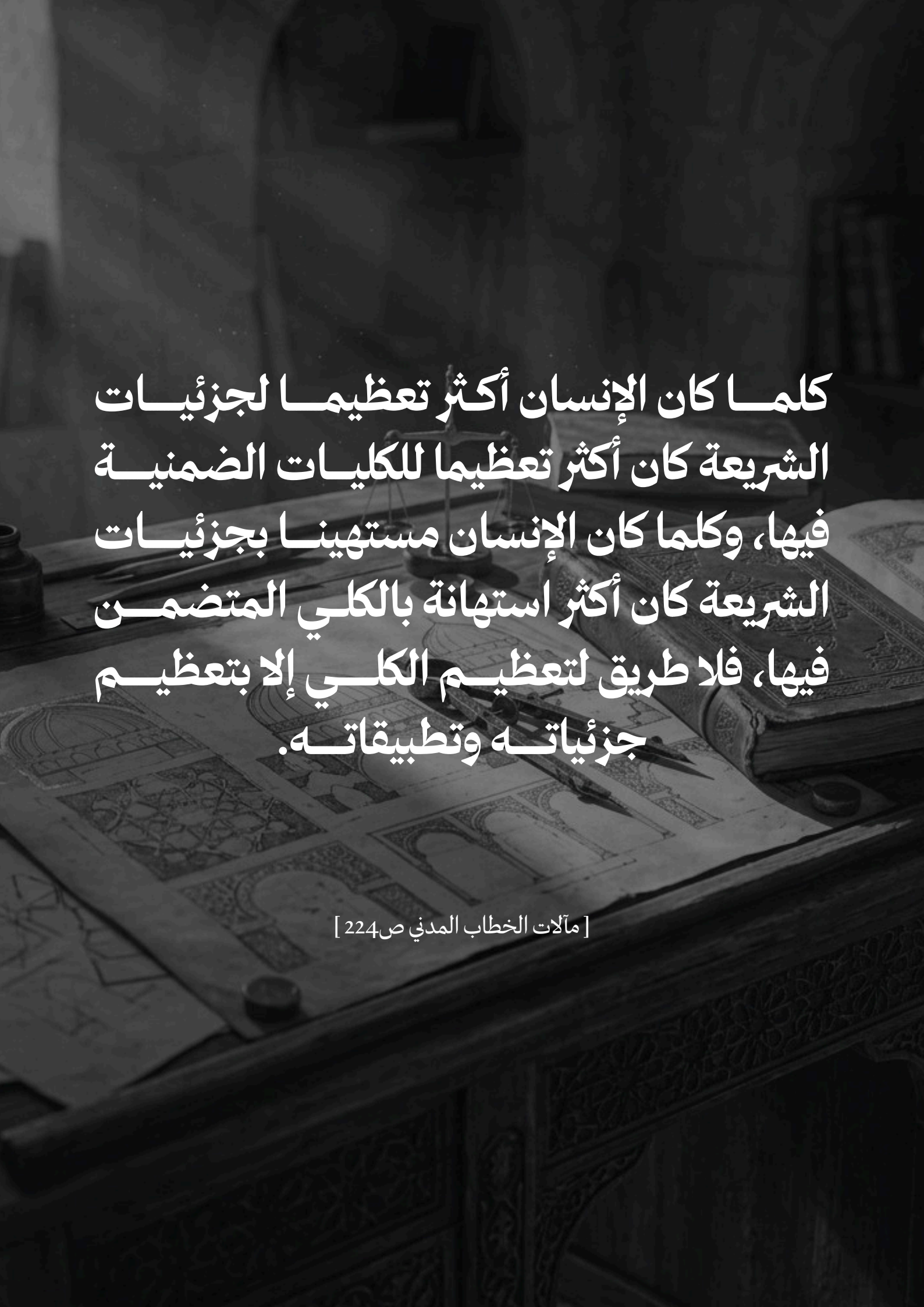
فهل حان الوقت لتخرج المسلمات من ضيق تلك البوتقة وتعقيداتها إلى رحابة الفطرة والشريعة، بكل تفاصيلها الحريصة، الحامية، الشريفة؟!

صناعة الوعي



الاستهلاك: من الحاجة إلى
الهوية، ومن الوسيلة إلى الغاية

بقلم / أسماء



كلمـــا كان الإنسان أكثر تعظيمـــا لجزئيـــات الشريعة كان أكثر تعظيما للكليـــات الضمنيـــة فيها، وكلما كان الإنسان مستهينـــا بجزئيـــات الشريعة كان أكثر استهانة بالكلـي المتضمـــن فيها، فلا طريق لتعظيـــم الكلـــي إلا بتعظيـــم جزئياتـــه وتطبيقاتـــه.

[مآلات الخطاب المدني ص224]



في زمنٍ تتسارع فيه الإعلانات، وتتزاحم فيه العروض، لم يعد الاستهلاك مجرد سلوكٍ طبيعي لتلبية الحاجات، بل تحوّل إلى نمط حياة، وإلى هوية تُصاغ وتُقاس بما نملك لا بما نكون.

فهل ما نستهلكه اليوم هو حقًا ما نحتاجه؟ أم أننا أصبحنا نُقاد دون أن نشعر إلى دائرةٍ لا تنتهي من الرغبات المصطنعة؟

مفهوم الاستهلاك في الإسلام

الاستهلاك هو استعمال الإنسان لما أُعطي من نعم (مال، طعام، لباس...) لسد حاجاته، حتى يتقوى على أداء ماوُجد لأجله.

لكن الإسلام لا يتركه بلا ضابط، بل يجعله عبادة إذا صلحت النية واستقام السلوك.

فالمال في التصور الإسلامي ليس ملكًا مطلقًا للإنسان، بل هو أمانة واستخلاف، قال تعالى: ﴿**وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾

الاستهلاك في علم الاجتماع:

يميّز علماءُ الاجتماع بين نوعَيْن منه:

الاستهلاك الوظيفي الذي يخدم حاجة فعلية كالطعام واللباس...

واستهلاك رمزي الذي يخدم صورة الذات والانتماء الاجتماعي

وطالما كان التاريخ البشري يقوم على الأول، قبل أن يتمدد الثاني ليبتلعه في "العصر الحديث"

تاريخ الاستهلاك:

في التاريخ القديم: عند المجتمعات البدائية والزراعية القديمة، كان الإنسان مرتبطًا ارتباط عضوية بما ينتج، فيزرع ما يأكل، ويصنع ما يلبس، ويبني ما يسكن... فلا يوجد فائض يُذكر، ولا سوق يضخ فيه ولا إعلانات تُولد رغبات اصطناعية.



الثورة الصناعية: وكانت في القرن (١٨) وكانت انعطافة كبرى في تاريخ الاستهلاك، فمع ظهور الإنتاج الضخم بالآلة أصبح ممكنًا صناعة كميات هائلة بتكلفة منخفضة... فأصبح الإنتاج يفوق الحاجة الطبيعية.

وهنا معادلة جديدة؛ لكي تستمر المصانع في العمل، يجب أن يستمر الناس في الشراء... وبعد أن كان الاستهلاك يتبع الحاجة، صار الإنتاج يسبقها... بل ويخلقُها.

فظهرت المتاجر الكبرى والإعلانات المطبوعة، وأصبح الاستهلاك لغة تشير إلى مكانة صاحبها.

(القرن العشرون):
بعد الحرب العالمية الثانية، شهد الغرب طفرة غير مسبوقة، ارتفعت الرواتب، وانتشرت الطبقة الوسطى وتدفقت السلع، وتطور علم التسويق فأصبح ذا طابع نفسي اجتماعي... فالأعلان لايصف المنتج... بل يبيع أسلوب هوية وانتماء... وهنا برزت ظاهرة الاستهلاك التفاخري.

ثورة الرقمنة:
ومع انتشار الأنترنت وتطور التجارة الألكترونية، تهاوى آخر حاجز أمام الاستهلاك: الزمان والمكان.

فلم يعد الإنسان مضطرًا للذهاب للمتجر؛ صار المتجر يأتي إليه من خلال الهاتف الذكي، في كل لحظة وفي كل مكان.

كما قامت مواقع التواصل الاجتماعي بإضافة بعدٍ جديد منه؛ الاستهلاك المُعلن عنه والمُشارك.

أنواع الاستهلاك:
1. الاستهلاك الضروري:
وهو الأصل، والأساس الذي لا غنى عنه؛ كالغذاء، واللباس، والسكن، والعلاج.

هذا النوع مرتبط ببقاء الإنسان واستقراره، وهو استهلاك مشروع بل

مطلوب، ما دام في حدود الاعتدال دون إسراف أو تبذير.

2. الاستهلاك التفاخري:
هنا لا يُشترى الشيء لحاجته، بل لما يرمز إليه.

يشتري الإنسان ليُظهر، ليُبهر، ليُثبت مكانته أمام الآخرين.

تتحول الأشياء إلى أدوات استعراض، ويصبح السؤال: "كيف يراني الناس؟" بدل "ماذا أحتاج؟"

3. الاستهلاك العاطفي:
حين يُستخدم الشراء كوسيلة للهروب من الحزن، أو لتعويض فراغٍ داخلي، أو حتى لمكافأة النفس.

في هذه الحالة، لا يكون الدافع حاجةً حقيقية، بل شعورٌ يبحث عن تسكينٍ مؤقت، سرعان ما يتلاشى ليعود الفراغ من جديد.

4. الاستهلاك الهوياتي:
وهو من أخطر الأنواع؛ إذ لا يشتري الإنسان الشيء فقط، بل يشتري "هوية" كاملة.

يختار ما يلبس، وما يستخدم، وما يقتني ليقول: "هذا أنا".

فتُبنى الذات على ما يُمتلك، لا على ما يُحمل من قيم ومبادئ.

5. الاستهلاك الرقمي:
لم يعد الاستهلاك مقتصرًا على الماديات، بل امتد إلى العالم الرقمي؛ من استهلاك المحتوى بلا وعي، إلى الإدمان على التصفح والشراء الإلكتروني.

نستهلك الوقت، والانتباه، والتركيز، حتى نصبح منهكين دون أن نشعر.

التحول من وسيلة إلى غاية:
الاستهلاك بوصفه وسيلة هو سؤال: "أحتاج كذا، كيف أحصل عليه؟"

الاستهلاك بوصفه غاية هو سؤال مختلف تمامًا: "ماذا أشتري الآن؟"



هذا التحول الدقيق في الصياغة يُخفي خلفه تحوّلًا جذريًا في البنية الذهنية. في الأول، الشراء يخدم حاجة قائمة؛ في الثاني، الشراء هو الفعل الأصلي والحاجة تُصنع لتبريره.

يمكن تأريخ هذا التحول لبدايات القرن العشرين، لكنه اكتمل في منتصفه مع ثلاثة عوامل متشابكة: صعود صناعة الإعلان، وانتشار الائتمان الاستهلاكي، وظهور التقادم المخطط له في المنتجات.

صناعة الرغبة:
لم تعد الشركات تبيع المنتجات فقط، بل تبيع "الشعور" المرتبط بها؛ تبيع الإحساس بالقوة، بالجمال، بالانتماء، بالنجاح.

تُصوَّر لك الحياة المثالية على أنها مرهونة بامتلاك هاتفٍ أحدث، أو لباسٍ أفخم، أو منزلٍ أكثر رفاهية.

وهكذا، تتحول الرغبات من داخل الإنسان إلى خارجه، تُزرع فيه عبر الإعلانات، ووسائل التواصل، والمقارنات الاجتماعية، فيظن أنه يختار، بينما هو في الحقيقة يُوجَّه.

الاستهلاك والفراغ الداخلي:
كثير من أنماط الاستهلاك المفرط اليوم ليست ناتجة عن حاجة مادية، بل عن فراغٍ نفسي أو روحي.

فحين يفقد الإنسان المعنى، يبحث عنه في الأشياء، يشتري ليملأ فراغًا، لكنه لا يمتلئ، بل يزداد عطشًا.

الاستهلاك في ميزان ديننا الحنيف:
الإسلام لا يرفض الاستهلاك، بل ينظّمه ويهذّبه.

فقد أباح الطيبات، لكنه نهى عن الإسراف والتبذير. قال تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾



وقال أيضًا:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾

فالميزان هنا دقيق:

ليس الحرمان هو المطلوب، ولا الانغماس، بل الاعتدال.

وكان النبي ﷺ يعيش ببساطة، لا لأن الدنيا محرّمة، بل لأنه كان أسمى من أن تُملِكه.

تأثير الإستهلاك المفرط:

- **على القلب:**

القلب خُلق ليتعلّق بما هو أعلى، فإذا انشغل بما هو أدنى، أثقله.

الاستهلاك ليس مجرد فعلٍ خارجي، بل له أثرٌ خفيّ يتسرّب إلى الداخل؛ فكلما تعلّق القلب بالأشياء، صار أكثر هشاشة،

وكلما ربط سعادته بما يملك، صار فقره أقرب.

في البداية، يمنح الاستهلاك لذّةً عابرة، لكن هذه اللذة لا تثبت، بل تتآكل بسرعة، فيبحث القلب عن غيرها، ثم غيرها...

حتى يصبح أسير "الجرعة التالية" من الامتلاك.

- **على الصحة النفسية: وهم الإشباع الذي لا يكتمل**

يعدنا الاستهلاك بالسعادة دائمًا ولا يوفي، وهذا ليس رأيًا أخلاقيًا بل حقيقة نفسية موثقة.

يصف علماء النفس ظاهرة "التكيف السعادتي" الإنسان يعود دائمًا إلى مستوى أساسي من السعادة بعد أي مكسب مادي، مهما بدا عظيمًا.

السيارة الجديدة تثير البهجة لأسابيع ثم تصبح "عادية".



الترقية في العمل تُشعر بالنشوة لفترة ثم يطالب الدماغ بما هو أعلى.
والنتيجة المؤلمة: الإنسان ينفق عمره في سباق لا نهاية له خلف شعور لا يُدرك.

كلما اشترى أكثر، ارتفع سقف توقعاته، فازداد شعوره بالنقص بدلًا من أن يتراجع.

أضف إلى ذلك أن الاستهلاك الممول بالدين يخلق ضغطًا نفسيًا مستمرًا، وأن الانشغال الدائم بالشراء والمقارنة يُقلص المساحة الذهنية المتاحة للعلاقات والإبداع.

- **على القدرة على الصبر والتأجيل**

ربما أعمق سلبيات الوفرة الاستهلاكية وأقلها حديثًا عنها: تآكل قدرة الإنسان على الانتظار والصبر.

حين كانت الأشياء تُكتسب بالجهد والوقت والانتظار، كانت لها قيمة مضاعفة في ذهن صاحبها.

فمثلًا الشاب الذي يدخر سنين لسفرته الأولى يستمتع بها بطريقة لن تعرفها رحلة اشتراها بضغطة زر على تطبيق.

والعلم العصبي يؤكد هنا: الانتظار يُنشط ما يُعرف بـ "دائرة المكافأة التوقعية" في الدماغ، وهي تجربة ممتعة بحد ذاتها.

والتأجيل الاختياري يقوي ما يُسمى "العضلة التنفيذية" في الفص الجبهي -تلك المنطقة المسؤولة عن التخطيط وضبط النفس والقدرة على الاستثمار في المستقبل-.

الاستهلاك الفوري يُضمر هذه العضلة باستمرار، الجيل الذي نشأ في ظل الوفرة الفورية والطلبات التي تُسلم في ساعات والترفيه الفوري واللانهائي، يعاني بشكل موثق من صعوبة في التحمل والمثابرة.

الدراسات تُظهر ارتباطًا بين ارتفاع معدلات الاستهلاك الفوري وتراجع



قدرة الأفراد على إتمام مشاريع طويلة الأمد، سواء في الدراسة أو العمل أو العلاقات.

***على العلاقات الإنسانية**

ثمة ارتباط وثيق بين منطق الاستهلاك ومنطق التعامل مع العلاقات الإنسانية.

حين يتعود الإنسان على استبدال الشيء بمجرد أن يتعطل أو يبهت جدته، ينقل هذا المنطق غير واعٍ إلى علاقاته: الصداقة التي تتطلب جهدًا يُتخلى عنها، الزواج الذي يمر بأزمة يُفضل الانفصال على العمل الشاق لإصلاحه.

لا يعني هذا أن كل فراق خطأ، لكن ثقافة "التخلص من الشيء واستبداله" تُرسخ في اللاوعي نمطًا إشكاليًا في التعامل مع كل ما يستلزم صبرًا واستثمارًا طويلًا الأمد.

- **على التفاوت الاجتماعي:**

ثقافة الاستهلاك لا تُصعد بشكل متساوٍ، من يملكون يستطيعون الاستهلاك على مستويات تنتج لهم عوائد اجتماعية ونفسية واقتصادية، أما من يفتقرون فيواجهون ضغطًا اجتماعيًا رهيبًا للمشاركة في نمط استهلاكي يتجاوز إمكانياتهم بكثير، مما يدفعهم إلى الديون والضغط النفسي والشعور المستمر بالتقصير.

وتوصف هذه الظاهرة في علم الاجتماع بـ "السبيل الإنفاقي المتصاعد": حين يرفع الأثرياء معايير إنفاقهم، ترفع الطبقة الوسطى معاييرها لمجاراتهم، فترفع الطبقات الأدنى معاييرها هي الأخرى، وهكذا في سلسلة ضغط اجتماعي لا تنتهي.

- **على المعنى والغاية:**

ربما أكثر سلبيات الاستهلاك المفرط خفاءً وأعمقها أثرًا: تآكل الشعور بالمعنى.

حين يصبح الاستهلاك غاية في حد ذاته، يشغل الإنسان وقته وطاقته



وذكاءه في إدارة هذه الغاية، ماذا يشتري، وكيف يمول، ومتى يستبدل.
ويبقى السؤال الأعمق معلقاً: لماذا؟

التحرر من فخ الاستهلاك: طريق القوام

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَوا بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾

لا يقدّم القرآن حلًا يقوم على الحرمان، ولا يفتح الباب للانفلات، بل يرسم طريقًا

ثالثًا... طريق القِوام.

قال رسول الله ﷺ: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ**»

فالمشكلة ليست في الاستهلاك نفسه، بل في اختلال ميزانه:

إما إفراط يُغرق القلب في التعلّق، أو تقتير يُضيّق على النفس ويكسرها.

أما القِوام، فهو أن يظلّ الإنسان مالكًا لا مملوكًا،

مستخدمًا لا مستعبَدًا.

"التحرش"

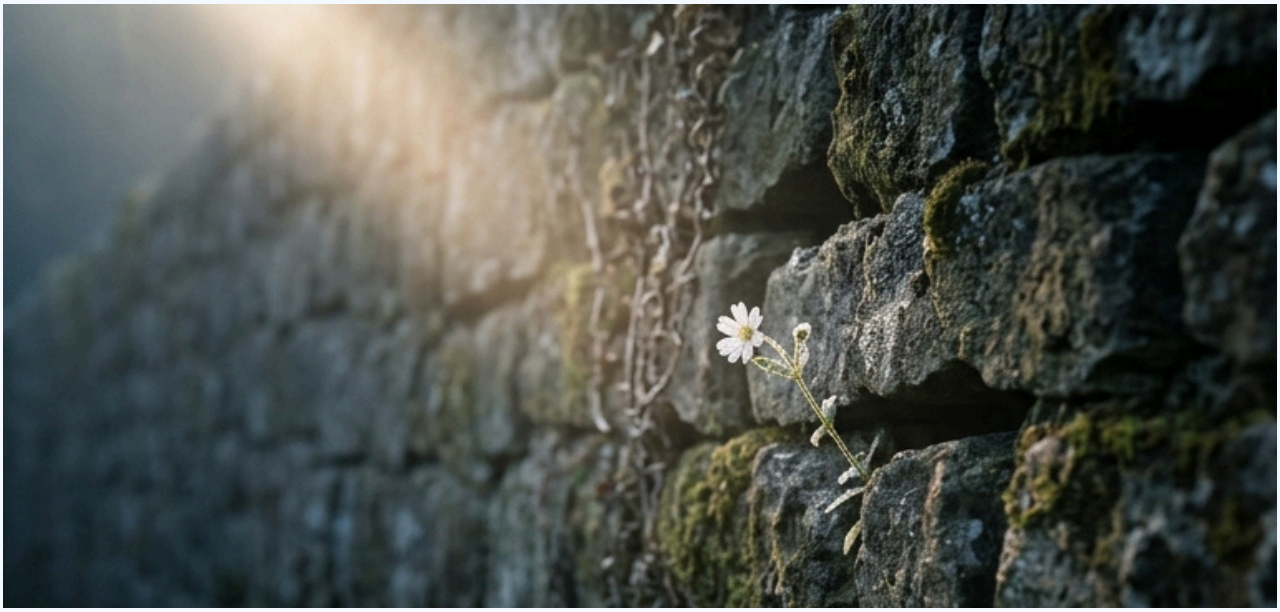
{المال والبنون زينة الحياة الدُنيا}

سيظنُّ البعض حين يقرأ هذا المقال أنه رفاهية، وبقلب منفطر عندما نقرأ من قصص أو نسمع أقول لكم أن الكتابة عنه بات ضرورة بل وواجب علَّنا نُعذر عند ربنا. لأنَّنا حين استوردنا من الغرب قيمهم، وابتعدنا عن ديننا، فعظَّمنا العادات والتقاليد والخوف من المجتمع أكثر من تعظيم بارئنا سبحانه وماشرعه لنا، فلا يعجب المرء مما سيصدر من مجتمع انفك عن العروة الوثقى وبهتت الصبغة الإسلامية فيه، فما عُدت تعرفهم لا بسيماهم ولا بأفعالهم!

- فتاة "في مجتمع مسلم ظاهرياً" يتحرَّش بها أخوها، ترتجف خوفًا وحين تلتجأ لوالديها تُفاجأ بوجهٍ متجهّم، وصراخ عليها، وفي النهاية لا مبالاة في مآلات الأمر، يتزوَّج أخوها ولايزال يراها منفذاً لمآربه الشيطانية، تذوي ملامحها شيئاً فشيئاً، تموت الحروف بداخلها.

- طفلة بريئة المُحيا، برَّاقة الوجه، أقصى أمانيها قناع "توم وجيري" تتنكر فيه، لتمازح أقرانها، وكبرى سعادتها حين تشتري "غزل البنات" يتقرَّب منها أحد أقاربها (محارم أو غير محارم) من منافذها التي تحب، "بقناع الإنسان الصالح" تدريجياً، محتذي حذو "خطوات الشيطان" لتألف عطاءه وتربط إحسانه لها بما يناله منها، فتخاف أو تخجل من أن تشكوه لأحد لعظم سنِّه ولما له من قبول في محيطه، ولأن "الإحسان قيد الكرام"

كما قيل فمن وجد الإحسان قيداً تقيَّدا، فتغوص في دوامة جلد الذات وأنها مليئة بالخطايا، وصراع مابين مقابلة إحسانه بالبوح عن قبيح فعله، وما بين السكوت، فالكِبار المُجللون بالحكمة لايخطئون





(كما تحسب هي بلهوها البريء وسجيتها النقيَّة)، ما عرفَت أنَّ العمر لا يقيس شيئاً، إن لم يكن القلب زكياً، فالنضج والدين وصقل الجوهر لاتوزَّع بالمجان، إنَّما جهاد مستمر وتوفيق من الله، فإن لم يزكي الإنسان نفسه، فلا فرق بينه وبين البهيمة، بل البهيمة خير. لأن الله أعطاه ملكات فعطَّلها، وما عمل بها أو عمل بها في الشرِّ، والبهيمة ما أعطاها الله نباهة تتحايل بها لنيل مآربها أو فصاحة أو حجة بليغة.

- صبيّ يكون ضحية لأقرانه مِمن يشاهدون أشياء مُخلَّة، بسبب غياب الرقابة الأبويَّة وضعف التربية الدينية وغياب الزواجر، وضعف حضور الآخرة في البيوت، أو من يكبره من شباب فيؤخر الزواج ويعزف عنه، متظاهراً باكتفاءه ومتانته بقشرة مزيفة، وفي الخلوات استغلال لطُهر الصغار مِمن لا يفقه هذي المعاني أصلاً.

وحوداث كثيرة يندى لها الجبين ويعتصر لها القلب.

أولاً، تصحيح المفاهيم:

- غرس الرجولة الحقَّة في الطفل من صغره (الشجاعة، المروءة، الغيرة على العرض، الشهامة) وهذا بقراءة السيرة على مسامعه وقصص القرآن، ومن ثم مروءات العرب.

وبعض الزلل يقع حين يفرح الأهل بفتوَّة ابنهم حين تلفظه بسُبة قادحة لعرض أقرانه، أو دخوله بعلاقة غير شرعية، فهذا عند عدد لابأس به من العوائل معيار الرجولة، وهو في الحقيقة ترجمة أنك لم تربِّي ابنك، والشوك لن يثمر زهراً ولن تجني منه رحيقاً.

تفريق المضاجع:

كثير من الأهل يتساهل بذلك لقولهم

(لازالوا صغاراً... هم أخوة ليسوا غرباء! لكن الله عز وجل خلق الخَلق، ثم شرَّع، فكل ما شرعه الله عن حكمة عرفتها أو جهلتَها). الله عزَّ وجل حكيم خبير، فما أمرنا بشيء إلا وفيه مصلحة للعباد، وما نهانا عن شيء إلا وفيه ضرر للعباد، ولِما في الاختلاط من مخاطر وسوء مآلات. فالشيء الجليل نضيِّق الدوائر حوله ونحصره لئلا يقع فيه أحد كالمنحدر الذي نحيطه بعلامات تحذيرية، وإشارات مضيئة...



أن "احذر أيها العاقل".

أصلُ كل بلية إطلاق البصر،
فالنظرة سهمٌ من سهام إبليس، يطلق المرء بصره فيرى النساء الفاتنات، المائلات المُميلات، فتظلم عيناه بالخلوات بسوء المنظر. وحين لا يجد منفذاً لما في داخله، يوسوس له الشيطان أن ها هُنا "خيار"، يرفضه في البداية، ثم مع تكرار الخاطر يسترسل مع الفكرة، ويهديه الشيطان حزمة من التبريرات ليسكت وخز الضمير.

وإن كان مُكثراً من متابعة ماينتجه الغرب، من مرئيات ومسموعات، فقد أَلِفه، فما يرى فيه من خطر!

فانتكاس الفطرة لايكون بين ليلة وضحاها.

تنبيه:
كثيرٌ ممن يقرأ قصصاً تصب في نفس المحتوى، يمط شفتيه بلا مبالاة ثم يلقي اللوم على الفتاة، ما من مُشكلة تُحل من جانب واحد، وإلا فهو ميزان مائل جائر!

لستُ هنا محامية عن الإناث، لكن كلمة حقّ. كثير من الفتيات العفيفات، وخاصةً مِمن يلتزمن بالملابس الفضفاضة في بيوتهن، لكن في الطرف المقابل المتحرش سواء كان أخ أو قريب "محرم او غير محرم"، يحظى بمساندة من العائلة، غذاؤه الخلوات المحرمة اعتادها فألف الحرام وتهاوى الخط الفاصل بين الحرام والحلال، وبهتت العناوين العريضة عنده، لا يصحُّ أن أقرّع الفتاة... احتشمي احتشمي وأنسى الشاب.

كلمة للشاب:
بدايةً، أنصحك بقراءة رد الشيخ علي الطنطاوي على أسئلة أحد الشباب له وهي بعنوان: " يا ابني "، ثم اقرأ ثورة النور وتدبرها، رغم عظيم فعلك، لكن باب التوبة مفتوح لا يغلق أمام تائب صادق وإن لم تنتَهِ، فأنت زاني بلا زخرفة ولا تنميق لهذا الفعل. فاعلم أن الزنا بالمحارم من أعظم الكبائر.

حين سميت الأفعال بغير مسمياتها، خفَت الخوف من المعاصي، فاستبدل لفظ الزنا القادح الزاجر بكلمة مهترئة "علاقة".

كلمة للأب:
أهوالٌ سيسألك الله حين أنعَم عليك بنعمة الذرية، مارعيتها وليتك ما ضيعتها!

يغبطك كل من حفظت سجلات الأطباء أسماؤهم في محاولة للنجاة من العقم، منى قلوبهم أن يحصل على أظفر من أنامل طفلك!

أتعلم ماهي ضرورات الدين الخمس؟
-الإجابة التالية منقولة من موقع الشيخ صالح المنجِّد:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ
[الذاريات: 56]

وبقية الأربعة بعد حفظ الدين: النفس، ثم النسل، ثم العقل، ثم المال. فلماذا قدمنا حفظ النفس من بين الأربعة الباقية؟ لأنه إذا وجدت النفس وجدت الأشياء الباقية، وإذا عدمت النفس لم يعد هناك فائدة للأخرى، فالمقاصد الأخرى متفرعة من حفظ النفس؛ لأن النفس بها قوام العبد، وهذه العبادات والمصالح الدينية متوقفة على حفظ النفس؛ لأنه إذا لم توجد نفس من الذي سيعبد؟

لماذا قدم بعد ذلك حفظ النسل؟
بعض الإخوة لما أجابوا قال: العقل قبل النسل، وبعضهم قال: النسل قبل العقل، تأخير المال ممكن نتفق عليه، أن المال أقلها في الأهمية مع أهميته، لكن لماذا قدم حفظ النسل على حفظ العقل؟

لأن حفظ النسل راجع إلى حفظ النفس، ارتباطه بحفظ النفس ارتباط وثيق جداً؛ لأن حفظ النسل فيه حفظ الولد، حتى لا يبقى ضائعاً لا مربي له، وهكذا. فإذن حفظ النسل مقدم على حفظ العقل، وكذلك المفسدة الناتجة عن التفريط في حفظ النسل أشد من المفسدة الناتجة عن التفريط في حفظ العقل، والمال من باب أولى.
وبالتالي فإن قضية النسل، ارتباطها بقضية حفظ النفس، وكذلك خطورة قضية الأعراض، قدم العلماء حفظ النسل على حفظ العقل.

ماذا بالنسبة لقضية تقديم العقل على المال؟

ماذا تقولون في قضية حفظ العقل على حفظ المال؟



إذا وجد المال بلا عقل فما هي الفائدة؟ فلذلك لن نختلف في قضية التقديم: حفظ العقل على حفظ المال، لن نختلف في تقديم حفظ العقل على حفظ المال.

الله عزّ وجل كرّم النفس البشرية

لكنها تبذل لأجل حفظ شيء أسمى وهو العِرض الذودُ عن حِياض الشرف، فما بالك بشهادة حقٍّ، بكلمة توانيت عنها، وزجر للفاعل!

عنْ أَبِي الأَعْوَرِ سعيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرو بنِ نُفَيْلٍ، أَحدِ العشَرةِ المشْهُودِ لَهمْ بالجنَّةِ، قَالَ: سمِعت رسُول اللَّهِ ﷺ يقولُ: **{منْ قُتِل دُونَ مالِهِ فهُو شَهيدٌ، ومنْ قُتلَ دُونَ دمِهِ فهُو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهو شهيدٌ، ومنْ قُتِل دُونَ أَهْلِهِ فهُو شهيدٌ.}**

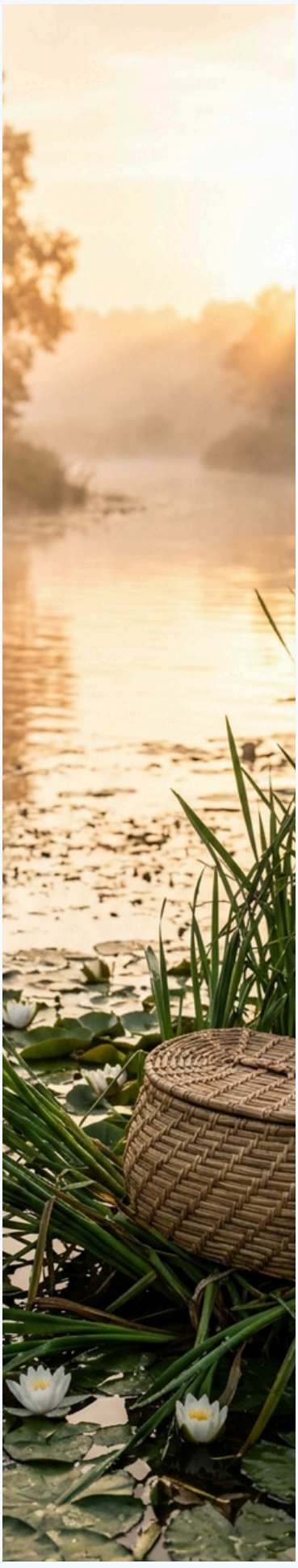
أما طرق مسامعك أنك مسؤول وستسأل يوم القيامة عن كل أمانة لم ترعها... **{ كلكم راع }**، هلَّا استشعرتم عظم الأمانة أيتها الأم وأيها الأب.

{ ما من امرئٍ مُسلمٍ يخذُلُ امرأً مسلمًا في موضعٍ تُنتَهكُ فيه حرمتُه، ويُنتقَصُ فيه من عِرضِه إلَّا خذلهُ اللهُ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصرتَه وما من امرئٍ مُسلمٍ ينصُرُ مسلمًا في موضعٍ يُنتَقصُ فيه من عِرضِه، ويُنتهَكُ فيه من حُرمتِه إلَّا نصره اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصرتَه }

فأبشر بالخذلان إن تماديت بصمت، طال الزمن أم قصر لا يخلف ربنا وعده.

في الختام:

حديثي للعفيفة الطاهرة التي شاء الله أن تُبتلى، جئت أمسح ندى عينيك، و لفح



قلبك، وأهدِّئ أنَّات جراحك، أراك تمثالاً للطُهر. دعكِ من توصيفاتهم، الجأي لرب البشر خالق الكلمات، الألفاظ، التوصيفات، الأفعال، والأسباب!

اجعلي هذا الابتلاء معراج للقرب من الله والسموّ.

لا أحد يعلم في بطن أي حوت كان يونس عليه السلام، كل المقاييس المادية تقول أن يونس لن يخرج، وإن خرج لن يحيا، لكنه نادى بتوحيد عظيم فما كان يرى خلاصه ونجاته إلا بالله، ما كان يتخيَّل هيأة الخلاص، لكنه يوقن بعظمة ربه!

ماذا عن موسى كليم الله!

ياصغيرتي، تمسكي بالدعاء ثقي بالله، ادعي دعاء المضطر، ولا تتخيلي الأسباب ولا تنسجي لله طرقاً لجبرك. وما أنا هُنا لأنثر لك كلاماً ليسكِّن ألمك لحظيَّاً، أخاطبك بصفتك مؤمنة بالله عز وجل، فالله "غالبٌ على أمره"

ينجي عباده بالسبب الذي لا يخطر في بالهم أصلاً، كيف ينجو الطفل من اليمِّ

بل قبل ذلك كيف ينجو من الذبح!
ساقه سبحانه لبيت عدوِّه، ثم حرَّم عليه المراضع بكل يسر! فأعاده لصدر أمه تلقمه حنانها وأنف عدوه راغم

لم يرسل جيشاً عرمرماً مع أنه قادر. فإن أراد الله نصر عبد من عباده جعل من شيء لا يُؤبه له سبب!

إبراهيم عليه السلام في جوف النار كل البشر يجمعون على انصهاره وليس موته فحسب بأمر من الله سبحانه وتعالى:

{ يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم }

خلق الله عز وجل النار ووضع فيها خاصية الإحراق، ولما شاء بقدرته نزع منها هذي الخاصِّية.

قرأت مرة أنه إن لم يقل سبحانه وتعالى على "إبراهيم" لبقيت باردة إلى وقتنا هذا! لن أرسم لك طريقة الفَرج والجَبر، انحتي لوحة إيمانك بخلواتك وجلواتك،



بترسيخ اليقين داخلك، و بناء صرح العقيدة الراسخ، والأنس بقصص الفرج التي وردت في القرآن والسنة والسلف.

لا تيأسي من روح الله، ولاتُهدي الشيطان فرحةً مجانية، فكل فرد يجره للقنوط واليأس ثم الكفر بالله والخلود بالنار، فقد وصل لغايته المنشودة التي لأجلها طلب من الله أن يؤخره ليضلّ من يستطيع، لأجلها حشد جنوده وأشياعه.

فأنت أمة الله، غايتك الجنة، وما هذه الدنيا إلا جناح بعوضة، فكم هذا الكدر، والابتلاء والهم من هذا الجناح؟


رصد الإنترنت
رصد جرائم النسويات
على الإنترنت
بقلم / نجلاء طه



لا أشد على العامل للإسلام من تلك الفتنة التي حذر الله منها نبيه -عليه الصلاة والسلام- وهي فتنة استمالة المدعوين، والرضوخ لهوى المكلفين، والانصياع لضغوط مألوفاتهم، وتوجيه التعاليم الإلهية بالشكل الذي يرتاحون به ويميلون إليه.

[مآلات الخطاب المدني ص278]



لم أكن أتخيل أنّني سأرى هذا العالم..

عالماً من الإجرام داخل إحدى المجموعات النّسوية، رأيته وأنا في الخامسة عشر من عمري.

حينها رأيتُ أغربَ الأفكار، وأشدّها سوءاً.

حيثُ الآراء الفاسدة، الشّاذة، والتّناقضات الصّارخة.

ولم تكن هذه مجرد أفكارٍ تُطرَح للنّقاش...

بل كانت تتحول أمامي إلى نصائحٍ صريحة تُقال بلا تردد.

ومن أشهر الأفكار التي لاحظتُ تكرارها: تصوير الأسرة كعدوٍّ يجب الهروب منه؛ كتبت إحداهن - وكانت تعيش في دولةٍ غربية - منشورًا واضحًا تنصح فيه الفتيات الراغبات في الهروب، بأن يسرقن أكبر قدر ممكن من المال، قبل أن يغادرن المنزل.

هذه الأموال التي قد يكون أفراد الأسرة تعبوا كثيراً قبل أن يحصلوا عليها، ويثقوا في ابنتهم ولا يتخيلوا أن تقوم بسرقتهن.

وكأن الأمر لم يتوقف عند التمرد على الأسرة فقط...

بل امتدّ إلى الترويج للفاحشةِ بشكلٍ صريح، يُقال بلا خوف.



أتذكر منشورًا لفتاةٍ تسأل بوضوحٍ صادم:

هل هناك فتيات وقعن في علاقاتٍ محرّمة (زنا)، ثم تزوّجن من نفس الشخص بعد ذلك؟

لكن الصدمة الحقيقية... لم تكن في السؤال، بقدرِ ما كانت في سيل التعليقات التي انهالت عليها.

تجارب تُحكى بلا حياء...

وتشجيعٌ مباشر... وتطبيعٌ كامل لما يحدث...

وكأن الحرام يمكن أن يتحوّل إلى شيءٍ عادي، ما دام سينتهي – كما يزعمون – بزواج!

فبعضهنّ كنّ يتحدثن بثقة عن "وعودٌ بالزواج".

وكأن هذا الوعد كفيلٌ بأن يُسقِط حرمة ما يحدث... أو يخفف من قبحه!

لم أرَ نصيحةً واحدة تُحذّر... ولا صوتًا يُنكر...

بل كان المشهد أشبه بتواطؤٍ جماعي، يُزيَّن فيه الخطأ، ويُدفع إليه دفعًا.

حينها أدركتُ أن الأمر أخطر من مجرد آراء منحرفة...



بل هو سعيٌ حثيث لتطبيع الفاحشة، وكسر الحواجز في نفوس من لا تزال تتردد.

ولم يكن هذا النموذج هو الوحيد الذي صدمني...

لكن ما رأيته أيضاً، كان مرعباً بشكلٍ لم أتوقعه إطلاقًا.

ومن أكثر اللحظات التي لم أنسها... عندما تمت إضافتي إلى مجموعةٍ تابعةٍ لهنّ..

فدخلتُ ظنًا مني أنها مساحة نقاش عادية...

لكن ما إن بدأت أتصفح، حتى تغيّر كل شيء.

منشورات متتالية بصورٍ صادمة لأجسادهن عارية!

تعليقات مليئة بالضحك وألفاظ تجاوزت كل الحدود...

وتحرشٌ (من الفتيات للفتيات) يُقال وكأنه مزاحٌ عابر!

لم يكن الأمر منشورًا عابرًا أو حالة فردية...

بل كان مشهدًا متكررًا، وكأنّ الحياء قد رُفع تمامًا من المكان.

شعرتُ بنفورٍ حاد... وهربتُ من المجموعةِ فورًا، وأنا غيرُ مصدّقةٍ ما رأيته.



ورغم هذا الانفلات الذي كان يُعرض بلا أي قيود...

فإن التناقض لم يكن غائبًا عن المشهد.

لاحظتُ في المجموعةِ الأساسية الأولى، أنّ الشاذات جنسياً يتحدثن بحريةٍ عن ميولهنّ، ورغم ذلك رأيت فتاة تنصح إحداهن بأن تكتم ميولها؛ كي لا يؤذيها أحد.

ولم يتوقف التناقض عند هذا الحد...

بل ظهر بشكلٍ أوضح حين تعلّق الأمر بالآراء المخالفة.

كانوا يدّعين احترام حرية الآراء، لكنهن في الأصل يهاجمن الآراء المختلفة عنهن..

فعندما قالت فتاة أنها تعارض الشذوذ الجن*سي وتراه خطيئة، تم طردها من المجموعة.

بل رأيتُ نوعًا من "النصائح" يبدو في ظاهره عاديًا، لكنّه كان أشبه ببركانٍ هادئ.

ولا أنسى ذلك المنشور الذي كُتب ببرودٍ شديد، كأنّه يقدّم نصيحة عادية لا خطة متدرجة لخلع الحجاب.

كانت الكلمات تسير بخطواتٍ محسوبة: ابدئي بحجابٍ أقصر قليلًا...

ثم لا بأس أن يظهر جزءٌ بسيط من شعرك...



ثم جرّبي ما يسمّى "التربون"، مع إبقاء مقدمة الرأس مكشوفة...

وكأن الأمر مجرد " تغيير بسيط " في الشكل.

لكن الحقيقة التي كانت واضحة بين السطور...

أنها ليست خطوات عفوية، بل سُلَّم يُنزَل درجةً درجة، حتى تصل الفتاة إلى المرحلة التي يصبح فيها خلع الحجاب أمرًا عاديًا... لا يُستغرب، ولا يُستنكر.

حينها فقط فهمتُ أن ما يُقدَّم على أنه تدرّج، لم يكن إلا تطبيعًا مُخططًا له.

ومع تكرار هذه الطروحات... لم يعد الأمر مجرد تجارب فردية،



بل تحوّل إلى خطابٍ واضح، يحمل عداءً صريحًا لكل ما يتعلق بالحجاب.

وبالمناسبة: لاحظتُ سُعار شتم الحجاب في هذه المجموعة، وعداءاً واضحاً ضده؛ حتى أنهن يقمن بإعادة تفسير نصوص القرآن بحسب أهوائهن؛ رغبةً في إثبات أن الحجاب ليس فريضة!

ويفعلن كل ذلك بشكلٍ منظم ومستمر حباً في تطويع الدّين لخدمةِ أهوائهن الشّخصيّة، وأفكارهن.

مما يتسبب في تشويشٍ للفتيات اللواتي يبحثن عن الحق.

كان كل ذلك – وأكثر – كفيلًا بأن يغيّر نظرتي بالكامل.

دخلتُ هذا العالم وأنا أظنّه كحديقة زهور...

لكنني خرجتُ منه، وأنا أدرك أن ما رأيته لم يكن سوى وادٍ ممتلئٍ بالأفاعي.

لم يكن الأمر كما تخيلتُ يومًا...

ولم تكن الصورة بريئة كما بدت لي في البداية.

فالحمدلله على نعمة التّبصّر بالحقيقة...

وما أعظمها من نعمة!.

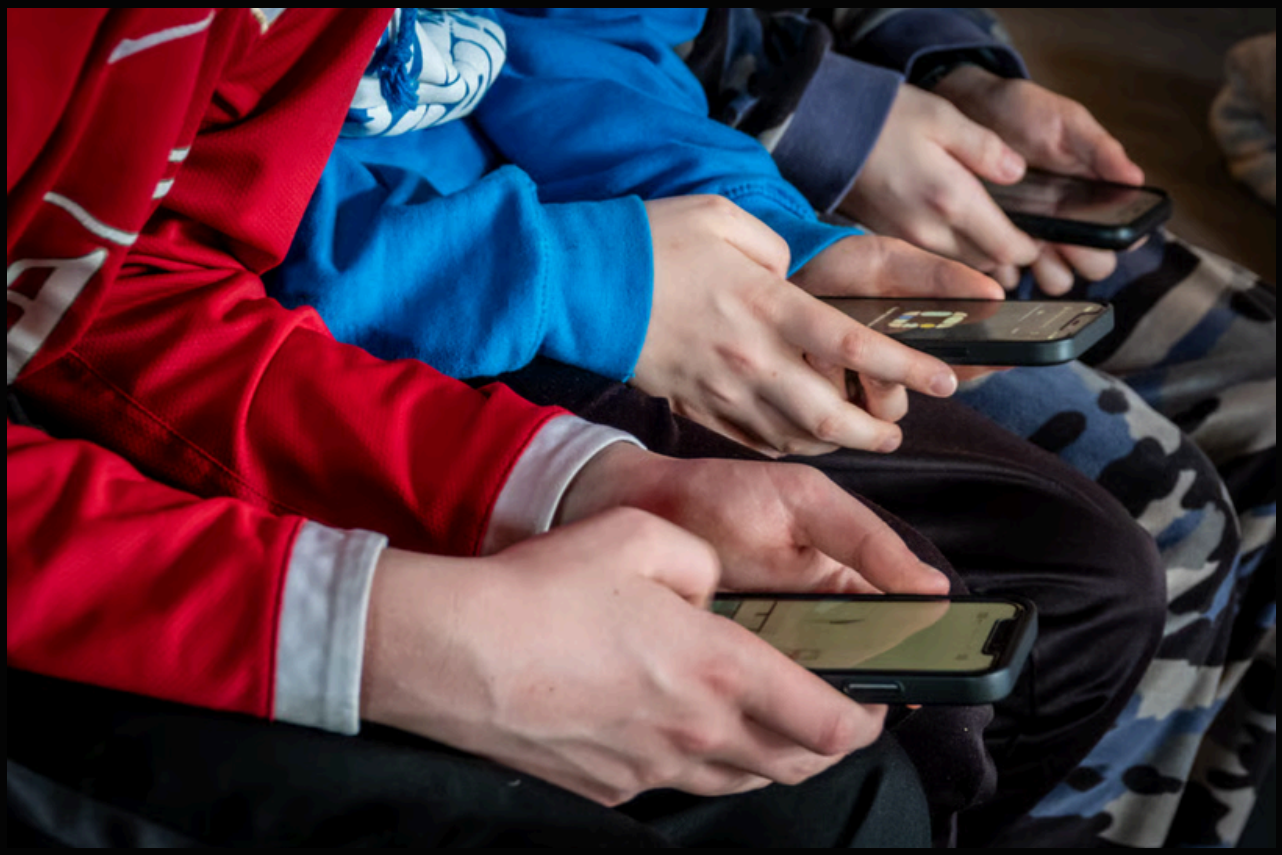
تصدر الأطفال على الإنترنت... إلى أين؟

زاد العرض والاستعراض في حياة كثيرٍ من الناس عن حده، حتى ورَّثوا ذلك أبناءهم، ومن المعلوم أن الطفل يتعلم بالقدوة؛ فعندما يرى والديه يستعرضان أصغر التفاصيل وأكبرها، سيرى أن ذلك "غاية" وأن التصوير والنشر جزء أساسي من أي رحلة أو زيارة؛ فكاميرا الهاتف لم تعد مجرد وسيلة لاختزان الذكريات، بل وجهًا من أوجه خراب البيوت وتأجيج معاني المقارنة، والنظر إلى ما في أيدي الناس، وذلك خلاف مقاصد الآية الكريمة: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه - ١٣١]

فمن الذكرى العائلية إلى الشهرة، ومن صدق اللحظة إلى زيف الحقيقة.

دعونا نسأل أنفسنا: هل نصوِّر أول يوم في المدرسة -مثلًا- فرحًا بالعلم والتعلم؟ لنغلق عليها في صندوق الذكريات، أم طمعًا في أن نري العالم ما اشترينا وما ارتدينا؟

المشكلة لا تتوقف عند مشاركة صورة عادية، بل في أن يتحول الطفل من روح بريئة إلى روح تتغذى على الشهرة والأضواء، فيصبح -من جانب نفسي- ضعيفًا هشًّا يتغذى ويستمد قوته من ثناء المادحين، ومن الممكن أن يتحول إلى شرس متمرد من نقد الناقدين، فطفل لم يُربَّ على





الإخلاص، بل غُرس في فكره منذ نعومة أظافره أن "هذه قيمتك" أنَّى له أن يسيطر على قلبه من الثناء والنقد؟ وهنا نواجه أول كارثة وهي: "نزع الإخلاص من قلب الطفل".

وهنا نأتي إلى سؤال مهم: هل الناس ينجذبون إلى محتوى الأطفال فعلًا؟
الجواب: نعم؛ لأن الناس تميل إلى الشيء العفوي البريء غير المصطنع، فهذا العالم المليء بالتزييف أصبح يفتقد إلى كثير من العفوية وعدم التكلف، والقصة ببساطة تبدأ من مقطع حقق عددًا كبيرًا من المشاهدات ثم تحول إلى حضور دائم على هذه المواقع.

وهنا يواجهنا سؤال آخر: هل نملك صلاحية نشر صور أطفالنا ويومياتهم ونضمن ألا نلاقي منهم لومًا عندما يكبرون؟ هل نخدع أطفالنا عندما نصورهم بمقطع قد يبدو لطيفًا اليوم ومحرجًا بعد سنوات؟

فيجب أن تسأل نفسك: هل ما بدا لطيفًا اليوم سيكون في المستقبل حتمًا مناسبًا ولطيفًا بالنسبة لطفلي؟

البعض ينشئ حسابات معتمدةً بشكل واضح وكبير على أطفالها، وعندما تنجح عدة مقاطع وترتفع المشاهدات يتحول بعدها المحتوى إلى مصدر دخل يُعتمد عليه، فالطفل هنا لم يعد مجرد طفل كباقي الأطفال؛ بل أعاد الواقع تسميته إلى ركيزة أساسية في عالم رقمي خطير، فهل فصل الوالدان بين مصلحة الطفل أم كان شغلهم الشاغل نجاح المحتوى؟

وفي هذا السياق يجب أن نصيغ عدة أسئلة، هي:

هل هذا المحتوى يحقق فائدة فعلًا؟ أم يحتاج إلى نشر فعلًا؟

هل يكشف تفاصيل شخصية لطفلي كمكان تواجده أو مدرسته أو النوادي التي يسجل فيها؟

هل سيسبب له الحرج مستقبلًا أو سيصبح أداة تعيير من الآخرين؟

علينا أن نعي أن الطفل له خصوصية كما للكبار خصوصية ويحتاج إلى مساحة خاصة بعيدًا عن أعين العالمين؛ يلعب ويتعلم ويخطئ بدون أن يشعر أن كل دقيقة معرَّضة



للتصوير.

والسؤال المهم هنا: هل من مصلحة الطفل أن تبقى هذه اللحظات على الإنترنت؟

لماذا يتصدَّر الأطفال مواقع التواصل؟

مفتاح اللغز هو العفوية، وليس شرطًا ضروريًّا لنجاح محتوى ما أن يكون الطفل موهوبًا، بل يكفي أن يثير الموقف مشاعر المشاهد حتى يصبح قابلا لكثير من المشاركة وإعادة النشر. ولا بدَّ من لفت الانتباه إلى أنَّ الخوارزميات تلعب دورًا كبيرًا؛ فهي تعمل بالشكل التالي: لنفترض أنَّ شخصًا نشر فيديو لطفل... فالمنصَّة تراقب: كم حقق مشاهدات؟ هل الجمهور شاهد حتى النهاية؟ هل حصد تفاعلات وتعليقات؟ هل شاركوه مع الآخرين؟ هل أعاد بعض الأشخاص مشاهدته؟

فلو تحققت هذه الأسئلة تقوم المنصَّة بعرضه أمام مستخدين جدد، وهنا يجب أن ننتبه أنَّ الخوارزمية لا تقرِّر أنَّ الطفل موهوب بمجرد انتشار مقطعه على نطاقٍ واسع، لكنَّها تقوم على نشر المحتوى لأشخاص أكثر بناءً على طريقة تفاعل الجمهور عليه.

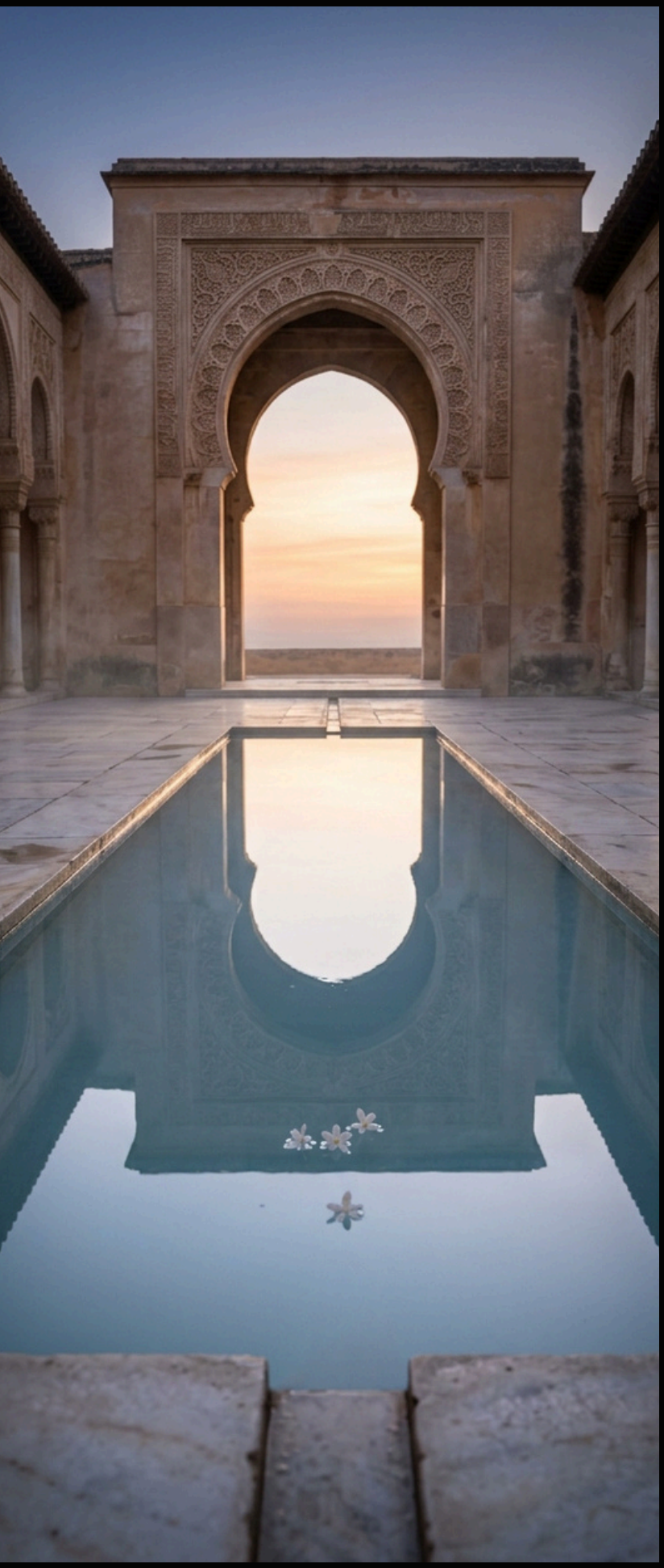
وهنا ننوِّه إلى مسؤولية الأهل الكبيرة؛ فصناعة المحتوى لا يجب أن تكون على حساب صِحَّة الطفل أو انحطاط مبدأ لديه، أو خسارة قيمة من قيم الخير عنده، أو على حساب تعليمه دينه، في حين أنَّ هذا وقت بناء لا هدم، أي: لا يجب أن نجري خلف السراب كي نحقق شهرة زائفة، ونخسر في المقابل دينا أو علما أو مبدأ أو صحة أو قيمة.

وبالنسبة لظهور الفتيات الصغيرات فإننا نشدد على أهمية الحفاظ على معاني حيائها ولباسها واحتشامها، فلا يستوي أن يهمنا المحتوى دونًا عن الحياء والاحتشام. فيا أيها الآباء والأمهات، احذروا أشدَّ الحذر واتقوا الله في أبنائكم فإن الله تبارك وتعالى ناظر إليكم وسائلكم، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٧]

قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**»

ومن جانب إيجابي:

لا يمكن القول أنَّ ظهور الأطفال على الإنترنت سيئ مطلقًا؛ فمن الممكن أن يكون الوالدان سببا في تقديم فكرة تبقى لهم عملًا صالحًا إلى يوم القيامة، كما يمكن أن



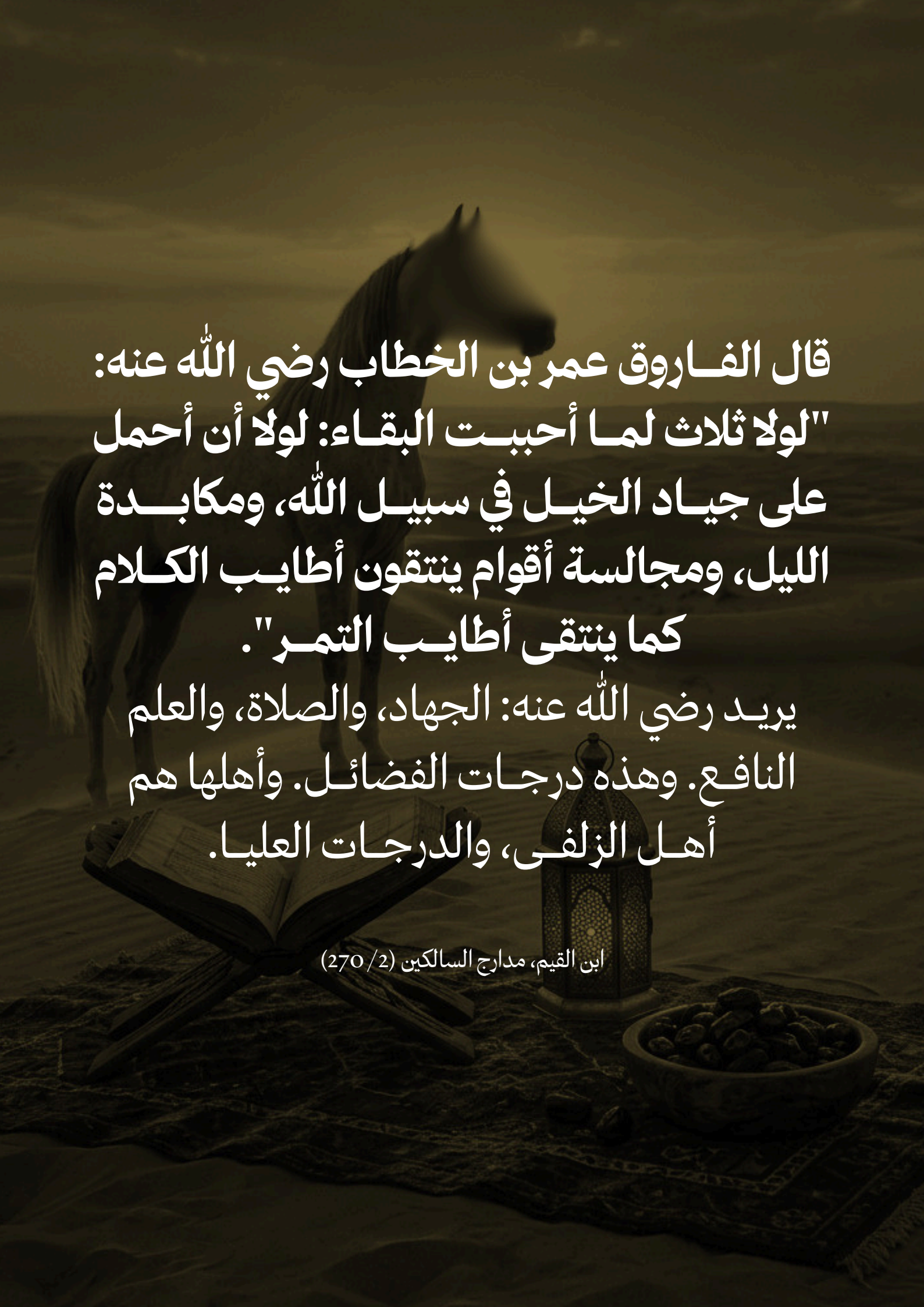
يكتسب الطفل مهارة، أو ينمِّي موهبة، أو نغرس عن طريقه أثرًا، والكثير الكثير، وهذا لا يجب أن يجعلنا نغفل أنَّ الاستفادة من فرص الظهور يجب أن تكون بحدود واضحة.

أخي الكريم وأختي الكريمة، طفلكما، ولو كنتما والديه، فهذا لا يغيِّر حقيقة أنَّه ليس ملككما، وإنَّما "أمانة" استأمنكما الله تبارك وتعالى عليها، والدخول في هذا العالم يحتاج علمًا وعدلًا وحكمةً وأناةً، وخوضك في هذا العالم الرقمي الخطير سيجعلك معرَّضًا لكثيرٍ من اتباع الهوى؛ تحقيقًا لرغبة المشاهد. ووجوه الخير كثيرة ومتفاوتة فاختر ما شئت منها وقدِّمه، والتوعية هنا من خطر ظهور الأطفال لا يجعلها سيئة بالضرورة، فلا بأس من الإفادة بالمعقول، وبوعيٍ وحكمة، وبشرط ألَّا تدع طفلك يترنَّم في مديح أو يعتدَّ في عدد متابعين.

وفي خضم سفاسف الحياة أصبحت الوجوه على الإنترنت كلها متشابهة والأفكار منسوخة، فدورك يكمن في إنتاج فكر جديد "يُغيِّر".

أسأل الله عز وجل أن يجعل هذه الوسائل التي بين أيدينا أداة خير نقابل ربنا تبارك وتعالى بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم.


المستقبل



قال الفـاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لولا ثلاث لمـا أحببـت البقـاء: لولا أن أحمل على جيـاد الخيـل في سبيـل الله، ومكابـدة الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايـب الكـلام كما ينتقى أطايـب التمـر".

يريـد رضي الله عنه: الجهاد، والصلاة، والعلم النافـع. وهذه درجـات الفضائـل. وأهلها هم أهـل الزلفـى، والدرجـات العليـا.

ابن القيم، مدارج السالكين (2/ 270)

أيسر طريق لأعلى درجة

{هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}
[آل عمران: 163].

أَلَمْ يَدُرْ فِي خَلَدِكِ يَوْمًا أَنْ تَسْتَبِقِي إِلَى أَعَالِي الْجِنَانِ؟ أَنْ تَكُونِي مِنْ أَعَالِي أَهْلِهَا مَكَانَةً وَحَظًّا وَقُرْبًا مِنَ اللّٰه جل جلاله؟!

أَلَا تُحِبِّينَ أَنْ تَكُونِي فِي عِلِّيِّينَ، فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ؟ فَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ، وَكُلُّ دَرَجَةٍ أَعْلَى مِنْ أُخْتِهَا، وَمَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

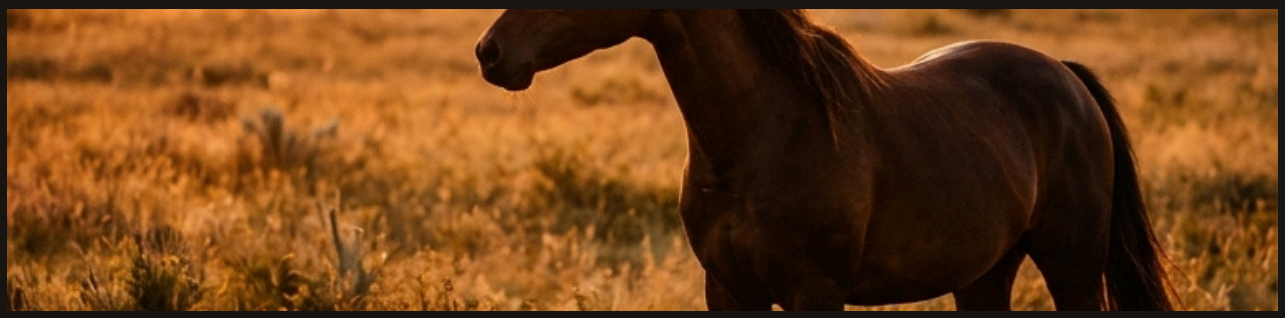
قال رسولُ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وسلَّمَ: **"الجنَّةُ مئةُ درجةٍ، ما بينَ كلِّ درجتَينِ منهما كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، الفِردوسُ أعلاها درجةً، ومنها تَفجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ الأربعةُ، ومِن فوقِها يكونُ العرشُ، وإذا سألتمُ اللّٰه فاسألوهُ الفِردوسَ." حديث صحيح.**

يتفاوت أهل الجنة في الدرجات وفي المقامات، في بيوتهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم وملابسهم، كلٌّ حسب عمله ومقامه ودرجته. قال القرطبي -رحمه اللّٰه- في التذكرة، عند كلامه عن غرف الجنة: اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلوّ والصفة، بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض وأرفع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللّٰه- في مجموع الفتاوى: وَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَةٌ تَفَاضُلًا عَظِيمًا، وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ فِي تِلْكَ الدَّرَجَاتِ بِحَسَبِ إيمَانِهِمْ، وَتَقْوَاهُمْ.

وأنتِ، ألا تحبين أن تكوني في أعالي هذه الدرجات؟

ألا تتخيلين حالك في موقف يوم القيامة في عراصاتها، وبجانبك من هن في مثل سنك في الدنيا أو أقل، وفي نفس زمنك، وقد بلغوها وأكثر، ونالوا أعلاها، وإن كنَّ أقل منك حظًّا ونصيبًا في الدنيا!!





ألا يشتاق قلبك لهذه الدرجة وهذا المقام العالي..؟! ألا تريدين أن تبلغي عند الله مقامًا، وأن تكوني في عين الله أرفع وأعلى..؟!

فهاكِ قرآنك، كتاب ربك، تبلغين به مراتب العلا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يقالُ لصاحِبِ القرآنِ: اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها."

وهو والله أيسر طريق إلى الفردوس، وأضمن طريق إليها: حفظ الكتاب والعمل بما فيه، وتدبره وتلاوته، وتعلُّقك به في ليلك ونهارك، وما أجمل القرآن، وما أجمل الحياة معه، فإنه والله لفوز، وما أجله من فوز، وموعود الله لنا بالتيسير فيه لمن صدق إقباله عليه. قال عز وجل:

"وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ"

سواء كنتِ ابنةً، أو أختًا، أو زوجةً، أو أمًّا، أو جدّةً..... عجوزًا كنتِ أم شابةً، عاملةً أو في بيتكِ قارةً، مريضةً كنتِ أم صحيحةً، فأعلي همة قلبك، وأوقدي مصباح ليلك، وأشعلي فتيل العزم في نهارك، واصدقي الطلب، واستعيني بالله يثبتكِ، وتصبح الصعاب يسيرة بإذن الله.

وإياكِ والتعلل بوقت أو غيره؛ دراسةً أو عملًا، أبناءً أو زوجًا، صعابًا أو ظروفًا، فإن صدقتِ في الطلب، يسّر الله لكِ ظروفك وما حولك، وجعلك تسيرين على اليسر سيرًا، وإن حاصرتك الصعاب من كل جانب. ولكن أري الله صدق الطلب مهما لاقيتِ من صعاب في أول الطريق، ففي نهايته لذة، وفي الآخرة جنة... بل أعاليها! فإياكِ أن تنسي: "ومن عرف ما يطلب؛ هان عليه ما يبذل."

جيل زد والمرأة

يُستعمل تعبير جيل زد (Gen Z) لوصف الفئة التي وُلدت، في أحد أكثر التعريفات شيوعًا، منذ نحو عام 1997، بعد جيل الألفية وقبل جيل ألفا. غير أن الحدود الزمنية للأجيال ليست تقسيمات علمية صارمة، وقد تختلف من دراسة إلى أخرى، كما لا تنطبق خصائص الجيل بالطريقة نفسها على جميع البلدان والطبقات والثقافات. ومع ذلك، يظل هذا التصنيف إطارًا مفيدًا لفهم جيل تشكّل وعيه في بيئة مختلفة عن الأجيال السابقة؛ بيئة أصبح فيها الهاتف الذكي، والاتصال الدائم، والمنصات الاجتماعية، وتدفّق المعلومات، جزءًا من الحياة اليومية، في ظل أزمات اقتصادية وصحية وسياسية متلاحقة.

نتناول في هذا المقال النساء والفتيات من جيل زد على وجه الخصوص؛ إذ تحمل تجربتهن الرقمية فرصًا واسعة للتعلّم والتعبير والعمل وبناء العلاقات والتضامن، لكنها تضعهن كذلك أمام ضغوط متزايدة تتصل بصورة الجسد، والمقارنة الاجتماعية، والثقة بالنفس، والنوم، والتعرّض للعنف والتحرش الرقمي، وغيرها من التحديات التي أفرزتها البيئة الرقمية الحديثة.

ومن هنا، فإن التعامل الإسلامي مع هذا الجيل لا ينبغي أن يقوم على التخويف أو التعميم، وإنما على فهم العالم الذي نشأت فيه، ثم بناء قدرتها على العيش فيه دون أن يفقدها بوصلتها: إيمانًا واعيًا، وتربية رقمية رشيدة، وصحبة آمنة، وقدوة نسائية صالحة، وحوارًا يحفظ العقل والكرامة، ويصل القيم الشرعية بحاجات الواقع وتحدياته.

أولًا: ما المقصود بجيل زد؟

جيل زد هو الاسم الشائع للجيل الذي يلي جيل الألفية. ويستخدم مركز بيو للأبحاث عام 1996 بوصفه آخر سنة تقريبية لجيل الألفية، ويضع المولودين منذ عام 1997 ضمن الجيل التالي. غير أن المركز يؤكد أن التقسيمات الجيلية أدوات تحليلية، وليست حقائق طبيعية ذات فواصل دقيقة؛ فلا توجد صيغة عالمية متفق عليها تحدد بداية كل جيل ونهايته أو المدة الزمنية التي ينبغي أن يمتد إليها.

وتستخدم بعض المراجع نطاقًا تقريبيًا يمتد من 1997 إلى 2012 لوصف جيل زد، إلا أن هذا النطاق الزمني لا ينبغي أن يتحول إلى حكم على كل من وُلد خلاله. فالتجربة التي يصوغها الجيل لا تتحدد بسنة الميلاد وحدها؛ إذ تختلف باختلاف البيئة الثقافية والاجتماعية، ومستوى الاتصال الرقمي، والوضع الاقتصادي، والأسرة، والتعليم، والدين، والبلد الذي نشأ فيه الفرد. ومن ثم، فإن فتاة نشأت في مدينة عربية شديدة الاتصال بالعالم الرقمي ليست بالضرورة كفتاة نشأت في بيئة ريفية محدودة



الاتصال، كما أن المسلمة المحافظة قد تعيش العالم الرقمي وتحدياته بطريقة تختلف عن غيرها، حتى مع اشتراكهما في العمر والبلد.

لذلك فالأدق أن نتعامل مع جيل زد بوصفه اتجاهًا اجتماعيًا واسعًا، لا شخصية واحدة مغلقة؛ فبين أفراده فروق كبيرة في القيم والتجارب والظروف، وإن جمعتهم بعض السمات المشتركة التي تستحق الدراسة.

أما تسمية «زد» (Z) فجاءت في سياق التسميات الحرفية المتتابعة للأجيال الحديثة، بعد شيوع تسميتي «جيل إكس» (X) و«جيل واي» (Y)، مع ارتباط الأخيرة بجيل الألفية. وقد سبقت مصطلح Generation Z تسميات أخرى مثل «ما بعد جيل الألفية» و«الجيل الرقمي»، قبل أن تستقر تسمية «جيل زد» في الاستعمال الإعلامي والمهني والبحثي العام.

ثانيًا: لماذا يُعدّ جيل زد مختلفًا؟

جيل نشأ داخل البيئة الرقمية لا على هامشها

لم يتعامل كثير من أفراد هذا الجيل مع الإنترنت بوصفه اختراعًا جديدًا دخل حياتهم لاحقًا، بل وجدوه حاضرًا منذ سنوات الطفولة أو المراهقة في التعليم، والترفيه، والتواصل، والبحث عن المعلومات، والتسوق، ثم العمل وصناعة المحتوى. ولذلك لم يعد العالم الرقمي بالنسبة إلى كثير منهم مجرد أداة تُستخدم عند الحاجة، بل أصبح جزءًا من البيئة التي تتشكل داخلها العلاقات، والاهتمامات، والصورة الذاتية، والانتماءات، وطرق التعلم والتأثير.

وتشير بيانات مركز بيو للأبحاث إلى أن جيل زد في الولايات المتحدة أكثر تنوعًا عرقيًا من الأجيال السابقة، وأن نسبة أكبر منه تتجه إلى التعليم بعد المرحلة الثانوية، كما أن كثيرًا من أفراده لا يتذكرون عالمًا لم تكن فيه الهواتف الذكية والاتصال الرقمي جزءًا مألوفًا من الحياة اليومية. وهذه



النتائج، وإن كانت مرتبطة بالسياق الأمريكي ولا يصح تعميمها آليًا على جميع أفراد جيل زد في العالم، تساعد في فهم البيئة التي نشأ فيها هذا الجيل.

لكن النشأة الرقمية لا تعني بالضرورة النضج الرقمي. فإتقان استخدام الهاتف والتطبيقات، وسرعة الوصول إلى المعلومات، والقدرة على صناعة المحتوى، لا تساوي القدرة على التمييز بين الحق والباطل، أو النافع والضار، أو الحقيقي والمضلل. وقد يكون الشاب أو الفتاة شديد المهارة في التعامل مع المنصات، بينما يفتقر إلى أدوات نقد المحتوى، وضبط الاستهلاك، وحماية الخصوصية، ومقاومة ضغط الجماعة، أو إدراك آثار ما ينشره على نفسه وعلى غيره.

ومن هنا تظهر إحدى أهم القضايا التربوية في التعامل مع هذا الجيل: لسنا بحاجة إلى تعليمه كيف يستخدم التقنية فحسب، بل كيف يستخدمها دون أن تستعمله هي.

البحث عن الأصالة والصدق

تصف دراسة لمؤسسة ماكينزي عددًا من الاتجاهات البارزة لدى جيل زد، من بينها التعبير عن الذات، والتفاعل مع القضايا العامة، والإيمان بالحوار، والميل إلى اتخاذ القرارات بطريقة عملية وتحليلية. وتكشف هذه الاتجاهات، في جانب منها، عن أهمية الأصالة والصدق بالنسبة إلى كثير من أفراد هذا الجيل، وعن حساسية أكبر تجاه الخطابات التي يرون بينها وبين الواقع الذي يعيشونه فجوة واضحة.

وهذا البعد مهم في فهم علاقة بعض الشابات بالخطاب الديني؛ فقد تنفر الفتاة من وعظ يطالبها بما لا تراه في سلوك من يعظها، أو من خطاب يحمّل المرأة وحدها مسؤولية بعض مظاهر الفساد، بينما يغفل مسؤولية الرجل، أو الأسرة، أو المؤسسات التجارية، أو البيئة الرقمية والخوارزميات التي تؤثر في ما يصل إليها وما يُعرض عليها.



ولا يعني هذا أن كل نقد للخطاب الديني هو رفض للدين، ولا أن جيل زد أكثر صدقًا أو وعيًا من غيره؛ فلهذا الجيل أيضًا تناقضاته وتأثيراته ومواطن ضعفه. لكن الرغبة في رؤية انسجام بين القول والفعل تظل مدخلًا تربويًا مهمًا ينبغي ألا يُغفل.

وقد تكون المشكلة في صورة مشوهة أو متناقضة قُدّمت للفتاة باسم الدين. ومن هنا، فإن القدوة في الخطاب الإسلامي ليست أمرًا تكميليًا؛ بل هي جزء من الحجة التي تجعل القيم قابلة للتصديق والاقتداء.

الحساسية تجاه العدالة والتمييز

لا يعني ذلك أن أفراد جيل زد يتبنون المواقف نفسها، أو أنهم ينظرون إلى قضايا العدالة بالطريقة ذاتها، لكن كثيرًا منهم نشأ في بيئة إعلامية ورقمية تنتشر فيها خطابات حقوق الإنسان، والمساواة، والهوية، والعدالة الاجتماعية، وتُعرض فيها قضايا العنف والتمييز بصورة يومية وعابرة للحدود.

وتوثق مصادر أممية، مشاركة شابات ناشطات في المطالبة بمواجهة العنف، والدفاع عن حقوق النساء، وإشراك الشباب في صناعة التغيير، مع الإشارة إلى أهمية الانتقال من النشاط الرقمي إلى إحداث تغيير ملموس في الواقع. وهذا يكشف عن جانب مهم في البيئة التي تتشكل فيها مواقف كثير من الشابات اليوم: الحساسية تجاه الظلم، والرغبة في أن يكون للخطاب أثر واقعي لا أن يبقى مجرد شعارات.

ومن المنظور الإسلامي، لا ينبغي التعامل مع هذه الحساسية بالرفض لمجرد أنها تُعبَّر أحيانًا بمصطلحات حديثة؛ بل ينبغي تمييز الحق الذي قد



تحمله المطالبة عن الإطار الفكري الذي قد تُقدَّم من خلاله. فرفض العنف والإهانة، والمطالبة بالتعليم، وصيانة الكرامة، وإنصاف المظلوم، ومحاسبة المعتدي، معانٍ لا تتعارض في أصلها مع مقاصد الشريعة، بل جاءت الشريعة بتقرير أصول عظيمة فيها.

أما حين تنتقل بعض التصورات من المطالبة بالعدل إلى جعل الحرية الفردية معيارًا مطلقًا، أو إلى اختزال الحق والباطل في رغبة الإنسان واختياره، فهنا يظهر الاختلاف العقدي والفلسفي الذي يحتاج إلى بيان علمي هادئ، يوضح مواضع الاتفاق والافتراق، بدل أن يُقابل السائل أو الناقد بالسباب أو التخوين.

وهذا التفريق ضروري في خطاب المرأة المسلمة المعاصرة؛ إذ ليس من الحكمة أن نضع كل اعتراض على الظلم في سلة واحدة، ولا أن نقبل كل تصور للعدالة لمجرد أنه رُفع باسم حقوق المرأة. المطلوب هو أن نُحسن تعليمها كيف تزن الأفكار ووفق أي مقياس، لا أن نطلب منها أن تتوقف عن السؤال. والمقياس الشرعي يعلو ولا يُعلى عليه.

واقعية قلقة لا مثالية مطمئنة

نشأ كثير من أفراد جيل زد في عالم كثرت فيه مصادر عدم اليقين: أزمات اقتصادية وسياسية متلاحقة، وجائحة عالمية، وتغيرات في سوق العمل، وتصاعد الحديث عن المخاطر البيئية، إلى جانب منافسة مهنية وضغط اجتماعي متزايد. وفي هذا السياق، برز لدى كثير منهم اهتمام بالعمل ذي المعنى، والمرونة، والتوازن بين الحياة والعمل، والصحة النفسية، لكنه قد يترافق في الوقت نفسه مع قلق أكبر تجاه المستقبل، وحساسية تجاه الفشل، ونفاد صبر من المؤسسات التي تبدو بطيئة أو منفصلة عن الواقع.

ولا يصح تفسير هذه السمات كلها بأنها دلال أو كسل أو ضعف في تحمل المسؤولية. فقد يكون وراء بعضها إدراك



حقيقي لتغير سوق العمل، وارتفاع تكاليف المعيشة، وتبدل المسارات المهنية، وضغط المقارنة المستمرة الذي تفرضه البيئة الرقمية. كما أن بعض ما يبدو للجيل الأكبر رفضًا للعمل الشاق قد يكون في حقيقته سؤالًا عن جدوى الطريق الذي يُطلب من الشاب أن يسلكه، وكلفته، وما إذا كان يقوده إلى حياة مستقرة ذات معنى.

لكن فهم هذه المخاوف لا يعني تبرير كل استجابة لها. فالإنسان يحتاج إلى أن يتعلم الصبر، والانضباط، وتحمل المشقة، وتأجيل الإشباع، والوفاء بالواجب حتى حين لا يكون ممتعًا أو سهلًا. فطلب حياة ذات معنى لا يعفي من مشقة بنائها، والرغبة في التوازن لا تعني الهروب من المسؤولية.

ومن المنظور الإسلامي، لا يُربّى الإنسان على إنكار مشقة الحياة، ولا على الاستسلام لها؛ وإنما على أن يعرف قدرته، ويأخذ بالأسباب، ويصبر على ما لا بد منه، ويحتسب ما يبذله، مع حفظ حق النفس في الراحة دون تحويل الراحة إلى غاية. والصبر والتوكل مجاديف المؤمن في حياته.

ثالثًا: ما القضايا التي تبرز في خطاب جيل زد؟

لا توجد قائمة واحدة تمثل جميع أفراد جيل زد، ولا يصح تحويل بعض الاتجاهات البارزة في خطاب الشباب إلى صفات ثابتة لكل من وُلد ضمن هذا الجيل. لكن يمكن، من خلال الأدبيات والدراسات واستطلاعات الرأي والحركات الشبابية، رصد عدد من القضايا التي تحضر بقوة في النقاشات التي يخوضها كثير من أفراده، ومن أبرزها:

الصدق والشفافية

تظهر حساسية واضحة تجاه الفجوة بين القول والفعل؛ فالشعارات التي لا تنعكس على الممارسة تفقد قدرًا من مصداقيتها، كما أن الاعتراف بالخطأ وتصحيحه قد يكون أكثر إقناعًا من محاولة إخفائه أو تبريره.



الكرامة والأمان

تحضر قضايا التنمر والعنف والتحرش والابتزاز والإهانة، بما في ذلك صورها الرقمية، في خطاب الشباب بصورة لافتة. وبالنسبة إلى الفتيات، يتصل ذلك كذلك بالخصوصية، وصورة الجسد، والضغط الاجتماعي، والخوف من استغلال الصور أو المعلومات الشخصية.

التعليم والعمل والتعبير عن الذات

تسعى كثير من الشابات إلى فرص تعليمية ومهنية تتيح لهن إثبات الكفاءة، وألا تختزل قيمة المرأة في مظهرها أو حالتها الزوجية. كما أصبحت المنصات الرقمية مجالًا واسعًا للتعبير عن الرأي، وإظهار المهارات، وصناعة المحتوى، وبناء المشاريع والمبادرات.

وهنا ينبغي التفريق بين تكريم المرأة وإتاحة فرصها المشروعة، وبين اختزال قيمة الإنسان في قدرته على الظهور أو النجاح أمام الجمهور.

الصحة النفسية وتقليل الوصمة

أصبحت لغة الصحة النفسية أكثر حضورًا في خطاب هذا الجيل، مع اهتمام أكبر بالقلق، والاكتئاب، والعلاج النفسي، والعوامل الاجتماعية التي تؤثر في الرفاه النفسي. وهذه خطوة يمكن أن تسهم في تقليل الوصمة عن طلب المساعدة، لكنها تحتاج في الوقت نفسه إلى وعي بالحدود بين التثقيف العام والتشخيص؛ فمقطع قصير على منصة اجتماعية لا يكفي لتشخيص اضطراب نفسي.

المشاركة لا التلقي

يميل كثير من الشباب إلى المشاركة في إنتاج المحتوى والمبادرات، بدل الاكتفاء بدور المتلقي. وقد أتاح العالم الرقمي لهم مساحة لم تكن متاحة للأجيال السابقة بالقدر نفسه للتعبير، والنقاش، والتعليم، والعمل المجتمعي.



وهذا يفرض على المؤسسات التعليمية والدعوية سؤالًا مهمًا: هل نريد من الشاب أن يحفظ ما نقوله فقط، أم أن نعلّمه كيف يفكر، ويسأل، ويتحمل مسؤولية ما يقول ويفعل؟

العدالة وحماية الفئات الأضعف

تحضر قضايا العنف ضد النساء، وحماية الأطفال، ومكافحة الاستغلال، والعنف الرقمي، والتمييز، ضمن القضايا التي تستقطب اهتمامًا شبابيًا واسعًا. وفي هذا السياق، تطالب كثير من الشابات ببيئة أكثر أمانًا، وبآليات لمساءلة من يستغل حاجتهن إلى القبول أو يستعمل صورهن ومعلوماتهن للإيذاء أو الابتزاز.

توظيف التقنية في التغيير

لا يقتصر حضور جيل زد على استهلاك المحتوى؛ فقد أصبحت المنصات الرقمية وسيلة للتعبئة، ونشر المعرفة، وجمع الدعم، وإطلاق المبادرات. غير أن الانتشار الرقمي لا يساوي بالضرورة تغييرًا حقيقيًا؛ فالتغيير المستدام يحتاج إلى معرفة، وتنظيم، ومؤسسات، ومهارات، وصبر، وقدرة على تحويل الاهتمام العابر إلى عمل متواصل.

وهذه القضايا في مجموعها تحمل جوانب يمكن رعايتها والاستفادة منها، لكنها تحتاج إلى ميزان أخلاقي ومعرفي. فليس كل ما يُرفع باسم الحرية عدلًا، ولا كل ما ينتشر عبر المنصات حقيقة، ولا كل غضب من مؤسسة دليلًا على بطلان كل ما تمثله. كما أن رفض الظلم لا يعني بالضرورة صحة كل تفسير له، والمطالبة بالحقوق لا تعني أن كل وسيلة لتحقيقها مشروعة.

ومن هنا تأتي أهمية التربية: لا أن نطفئ حساسية الجيل تجاه الظلم، بل أن نعلّمه كيف يميز بين العدل والادعاء، وبين الحق والرغبة، وبين السؤال المشروع والاستسلام لكل خطاب رائج.



رابعًا: لماذا تحتاج نساء جيل زد إلى قراءة خاصة؟
لأن المنصة تخاطب صورة المرأة قبل عقلها

تتعرض الفتيات في البيئة الرقمية لكمّ هائل من الصور المعدلة، ومعايير الجمال المتغيرة، ومحتوى تحسين المظهر والجسد، والرسائل التي قد تربط قيمة المرأة بوزنها، وملابسها، ومظهرها، وعدد الإعجابات والمتابعين. وقد أشارت جهات طبية وأكاديمية إلى أن التعرض المتكرر لمحتوى يركز على المظهر قد يرتبط بزيادة عدم الرضا عن الجسد، وببعض السلوكيات غير الصحية المتعلقة بالطعام وصورة الجسد، ولا سيما لدى المراهقات.

وتشير دراسة لمركز بيو للأبحاث نُشرت عام 2025، وشملت مراهقين في الولايات المتحدة، إلى أن الفتيات كن أكثر من الفتيان في الإبلاغ عن آثار سلبية لوسائل التواصل على صحتهن النفسية أو ثقتهن بأنفسهن أو نومهن. وفي المقابل، أفاد معظم المراهقين في الدراسة نفسها بأن وسائل التواصل تمنحهم فوائد مهمة، من بينها التواصل مع الأصدقاء وإتاحة مساحة للتعبير عن الإبداع.

ولهذا لا تكمن القضية في القول إن "الهاتف شر" أو إن وسائل التواصل ضرر محض؛ فهذه المنصات قد تكون بابًا للتعلم، والتواصل، والعمل، والإبداع، والدعوة، وبناء المبادرات. لكن أثرها ليس واحدًا على الجميع، كما أن كثافة التعرض ونوعية المحتوى وطريقة الاستخدام عوامل مهمة في تحديد التجربة.

والمرأة تحتاج هنا إلى وعي خاص؛ لأن اقتصاد المنصات لا يكتفي بعرض الأفكار لها، بل يستثمر كذلك في جذب الانتباه إلى صورتها عن نفسها: كيف تبدو؟ ماذا ينقصها؟ كيف تقارن نفسها بغيرها؟ وكيف تجعل صورتها أكثر قابلية للإعجاب والمشاركة؟

ومن هنا لا يكفي أن نعلّم الفتاة غض البصر عن المحرمات، بل نحتاج كذلك إلى أن نعلّمها ألا تجعل عين الآخرين ميزانًا لقيمتها؛ وأن تدرك أن جسدها ليس مشروعًا دائمًا للتقييم



العام، وأن صورتها ليست رأس مالها الوحيد، وأن قيمة الإنسان لا تُقاس بما تمنحه له المنصة من ظهور أو قبول.

لأن الحاجة إلى القبول قد تتحول إلى سلعة

تعيش الفتاة في فضاء رقمي يُقاس فيه التفاعل معها بصورة مستمرة: إعجاب، ومشاهدة، وتعليق، ومتابعة، ومشاركة. ومع الوقت قد يتحول هذا التفاعل من مجرد أرقام إلى مقياس داخلي للقيمة؛ فتشعر أنها محبوبة حين ترتفع الأرقام، ومرفوضة حين تنخفض، وقد يدفعها ذلك إلى نشر ما لا ترغب في نشره، أو الاستمرار في علاقة مؤذية خوفًا من الوحدة، أو مطاردة نموذج جسدي غير واقعي، أو جعل التوبة والنجاح والجمال مشروطة برضا الجمهور.

وهنا تكمن خطورة اقتصاد الانتباه: فالمنصة لا تبيع الفتاة سلعة فحسب، بل قد تجعل حاجتها إلى القبول نفسها قابلة للاستثمار؛ كلما زاد تعلقها بنظر الآخرين، زادت قابليتها لإنتاج ما يجذب ذلك النظر.

ولهذا لا تكفي النصيحة العامة: "كوني قوية". القوة تحتاج إلى معرفة عملية وحدود واضحة: أن تعرف الفتاة ما الذي يحق لها نشره وما الذي ينبغي أن يبقى خاصًا، وأن تدرك مخاطر مشاركة الصور والمعلومات الحساسة، وأن تعرف كيف تصون نفسها وتنأى بنفسها عن مستنقعات المساومة والابتزاز والتحرش وألا تواجه الأذى وحدها، بل تتحصن بداية وتبقي علاقتها بأهلها ومحارمها قوية قدر المستطاع ممن يوثق في دينه ومروءته.

والأهم من ذلك كله أن تتعلم أن قبول الجمهور ليس مصدر قيمتها؛ فالذي يرفع شأنها عند الله ليس عدد من أعجبوا بصورتها، ولا مقدار حضورها على المنصة، وإنما إيمانها وعملها وتقواها.

لأن الخطاب الديني قد يفشل إذا اختزل المرأة في المظهر

حين تُختزل استقامة الفتاة في ملابسها ومظهرها، مع إغفال إيمانها وعلاقتها بربها، ودرجة علمها، وصدقها، وصلاتها،



وأمانتها، وحسن خلقها، وعلاقتها بالناس، فقد يتولد لديها انطباع بأن الدين لا يراها إلا جسدًا يحتاج إلى المراقبة، لا إنسانة مكرمة تحمل مسؤولية أمام الله وتُطالب بإصلاح ظاهرها وباطنها معًا.

والحشمة قيمة شرعية لا يصح التقليل من شأنها أو إخراجها من منظومة الطاعة، لكنها كذلك ليست الدين كله، ولا ميزان التقوى الوحيد. فلا ينبغي أن تتحول هيئة المرأة إلى معيار يحجب سائر أبواب الخير فيها، كما لا ينبغي أن يكون الحديث عن لباسها مدخلًا لإهمال إيمانها، وعبادتها، وأخلاقها، وحقوقها، ومسؤولياتها.

كما أن معالجة الفتنة لا تستقيم بتحميل المرأة وحدها مسؤولية نظرات الرجال أو سلوكهم؛ فالشريعة خاطبت الرجال والنساء كلًّا بما يخصه، وأمرت الرجال بغض أبصارهم، كما أمرت النساء بالعفة والحجاب. وكذلك لا يصح تجاهل أثر البيئة التجارية والإعلامية التي تستثمر في الجسد والانتباه وتحويلهما إلى سلعة.

والخطاب الديني الذي يريد الوصول إلى فتاة جيل زد يحتاج إلى أن يقول لها بوضوح: أنتِ مطالبة بالحشمة، لكنك لستِ مجرد مظهر؛ وأنتِ مسؤولة عن لباسك، لكنك كذلك عقلٌ وقلبٌ وعبادةٌ وأمانةٌ ورسالة.

فإذا شعرت الفتاة أن الدين يريد منها أن تكون صالحة في ظاهرها وباطنها، عارفة بربها، مستقيمة في خلقها، نافعة في حياتها، لم تعد الحشمة تبدو وكأنها المشروع الديني الوحيد الذي يُراد منها تحقيقه.

لأن النساء لسن موضوعًا للتربية فقط بل شريكات فيها

يقرر القرآن أصلًا عظيمًا في المسؤولية الإيمانية المشتركة، فيقول سبحانه: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾



فالمؤمنة في التصور الإسلامي ليست موضوعًا للتربية فحسب، بل هي صاحبة تكليف، وشريكة في الخير، وحاملة لمسؤولية الإصلاح بحسب استطاعتها وموقعها وما شرعه الله لها.

ويؤكد القرآن هذا المعنى في مواضع أخرى حين يجمع الرجال والنساء في أبواب الإيمان والعمل والعبادة، فيقول سبحانه: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: 35].

وهذا التأسيس القرآني لا يعني إلغاء الفروق التي جاءت بها الشريعة في بعض الأحكام والأدوار؛ فالمساواة في أصل التكليف والكرامة والثواب لا تستلزم التطابق في كل وظيفة أو حكم. وإنما المطلوب أن يُفهم الاختلاف في ضوء الدليل والحكمة، لا أن يتحول إلى انتقاص من المرأة أو احتقار لقدرتها وأهليتها.

ومن هنا، فإن تربية نساء جيل زد لا ينبغي أن تقوم على إعدادهن ليكنّ مجرد متلقيات لما يقوله الآخرون، بل على بناء نساء يعرفن ربهن، ويفهمن دينهن، ويمتلكن القدرة على التفكير والتمييز، ويشاركن في مسؤوليات الأسرة كزوجات صالحات وأمهات صالحات، وفي التعليم والإصلاح والدعوة وصناعة الخير، كلٌّ بحسب علمها واستطاعتها وموقعها. وكل ذلك بالاعتزاز بدينهن وإيمانهن.

فالمرأة في الإسلام ليست مشروعًا ننتظر أن «نصلحه» فحسب؛ بل هي إنسانة مكلَّفة، قد تكون هي نفسها مربيةً ومعلِّمةً وداعيةً ومصلحةً وصانعةَ أثر.



خامسًا: كيف نُهذّب جيل زد بالإسلام؟

نبدأ بالاستماع قبل إصدار الحكم

الاستماع ليس تنازلًا عن الحق، ولا يعني تعليق الأحكام الشرعية حتى يرضى الناس؛ وإنما هو وسيلة لفهم الإنسان والسؤال الذي يقف وراء كلامه. فقد تقول الفتاة: «لا أريد الزواج الآن»، فيكون وراء ذلك خوف من تجربة أسرية مؤلمة، أو رغبة في إكمال تعليمها، أو حاجة إلى الشعور بالأمان والاستقلال، أو مجرد قناعة تحتاج إلى نقاش هادئ. وقد تقول: «لا أثق بالخطاب الديني»، لأنها رأت تناقضًا بين ما يُقال على المنبر وما تراه في بعض الممارسات من ظلم أو سوء معاملة.

ولا يصح أن نفترض أن وراء كل اعتراض جرحًا نفسيًا، كما لا يصح أن نختزل كل سؤال في ضعف الإيمان. فقد يكون الاعتراض معرفيًا، أو ناتجًا عن تجربة شخصية، أو مبنيًا على فهم ناقص، أو على شبهة تحتاج إلى بيان. ولهذا فإن الاستماع الجيد لا يعني الموافقة، بل يعني أن نعرف أولًا ما الذي نجيب عنه.

فالدعوة الناجحة لا تبدأ بوسم جيل كامل بأنه ضائع، ولا بترديد أن النساء سبب الفتنة، ولا بتحويل كل سؤال إلى تهمة. بل تبدأ بالسؤال: ما الذي رأيتِ؟ ما الذي فهمتِ؟ ما الذي تخافينه؟ وما الذي تبحثين عنه؟ تبدأ بدقة التشخيص.

ثم يأتي دور البيان: أن يُعرض الإسلام بدليله، وحكمته، وعدله، وهدايته، وأن تُصحح المفاهيم دون مجاملة للباطل، وتُناقش الشبهات دون ازدراء لصاحبها.

فالمقصود من الاستماع ليس أن نغيّر الدين حتى يناسب الإنسان، وإنما أن نفهم الإنسان جيدًا حتى نُحسن دلالته على الدين.



نجعل الحكمة أصلًا للدعوة
قال الله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
[النحل: 125]

والحكمة ليست مجرد اللين في الكلام، ولا تعني أن نخفف الحكم الشرعي حتى يصبح مقبولًا لدى المخاطَب؛ وإنما هي وضع القول والفعل المناسب في موضعه المناسب، ومعرفة حال من نخاطبه، واختيار الأسلوب الذي يحقق المقصود الشرعي. فليس الجاهل كالمعاند، ولا السائل كالمعترض، ولا من يطلب البيان كمن يتعمد رد الحق، ولا من يحمل تجربة مؤلمة كمن يناقش المسألة في فراغ من التجربة.

ومن هنا، فإن الحكمة مع فتاة من جيل زد تعني أن نوضح الحكم، ودليله، ومعناه، ومقصده، وما يترتب عليه، وأن نفرق بين الحكم الشرعي وبين التطبيق البشري له. فإذا وقع ظلم باسم الدين، فلا يصح إنكاره أو التستر عليه بحجة الدفاع عن الدين؛ لأن ظلم الناس ليس هو الشريعة، والخطأ الذي يرتكبه بعض المنتسبين إلى الدين لا يتحول إلى حق بمجرد نسبته إلى الدين.

كما أن الحكمة تقتضي أن نترك باب الرجوع مفتوحًا. فلا نجعل الخطأ الذي وقعت فيه الفتاة سببًا لإسقاطها، ولا السؤال الذي طرحته تهمةً تلاحقها، ولا اعتراضها ذريعةً لإهانتها. نريد أن نُقيم الحجة دون أن نهدم طريق العودة.

فالفتاة التي عاشت تجربة أذى تحتاج إلى أن تجد في الخطاب الديني عدلًا يصدق ما وقع عليها، وبصيرة تميز بين الشرع وسوء تطبيقه، وبيانًا يجيب عن أسئلتها، لا مجرد مطالبة لها بالثقة فيمن لم يبرهن لها على صدقه.

نربط الاستقامة بالمعنى لا بالخوف وحده

لا يكفي أن تتعلم الفتاة ما يجب عليها وما يحرم عليها؛ بل تحتاج كذلك إلى أن تفهم لماذا تعبد الله، وكيف تصنع الطاعة قلبها وحياتها. فالصلاة ليست مجرد واجب تؤديه حتى لا تُلام، وإنما صلة بالله، وذكرٌ يزكي القلب، وبناءٌ للداخل ينعكس على السلوك. والحجاب ليس مجرد لباس تلتزم به خوفًا من العقوبة، بل طاعة لله، وعبادة تحفظ بها حدودها وكرامتها، مع بقاء



المسؤولية الشرعية على الرجل والمرأة كلٌّ فيما خُصَّ به. والعفة ليست تكليفًا نسائيًا منفردًا، بل منظومة أخلاقية يخاطب بها الرجال والنساء، تقوم على غض البصر، وحفظ الفرج، وصيانة الحدود.

ومن هنا، ينبغي أن تتجاوز التربية لغة «افعلي لأن عليك أن تفعلي» إلى لغة أعمق: اعبدي الله لأنك تعرفينه، واستقيمي لأنك تعلمين إلى أين تسيرين، واتركي الحرام لأنك تعظمين من نهاك عنه، وتثقين بحكمته ورحمته. فالخوف من الله باب عظيم من أبواب الاستقامة، لكنه ليس الباب الوحيد؛ بل يكتمل معه الرجاء والمحبة والتعظيم وحسن الظن بالله العزيز الحكيم.

والاستقامة في الإسلام أوسع من المظهر؛ فهي صدق في المعاملات، وأمانة في العمل، وضبط للغضب، ووفاء بالعهد، وبرٌّ بالوالدين دون طاعة في معصية، ورحمة بالضعيف، وشجاعة في الاعتذار، وعدل مع المخالف، وحفظ لحقوق الناس، ومسؤولية فيما تنشره الفتاة وتكتبه وتعلّق عليه في العالم الرقمي.

فلا نريد فتاةً تعرف كيف تبدو مستقيمة أمام الناس، ثم تنهار استقامتها حين تغيب أعينهم؛ وإنما نريد أن تنتقل الطاعة من قائمة أوامر تخشاها إلى معانٍ تؤمن بها، وعبادات تحبها، وأخلاق تعيش بها، وضمير يراقب الله حيث لا يراقبها أحد.

نبني تربية رقمية إسلامية

التربية الرقمية الإسلامية لا تعني تحريم الهاتف، ولا عزل الفتاة عن العالم الرقمي إلا إن كان فيه مفسدة كبيرة تتطلب حزما في التعامل، وإنما تعني أن تتعلم كيف تستخدم التقنية دون أن تستعبدها التقنية؛ فتفهم نيتها، وتعرف حدودها، وتدرك عواقب ما تنشره وتشاهده وتتابعه. ومن أسئلتها اليومية: هل هذا المحتوى يرفعني أم يستنزفني؟ هل تعليقي حيي أم وقح؟ هل الحساب الذي



أتابعه يقدّم لي معرفة نافعة، أم يبيعني شعورًا دائمًا بالنقص؟ وهل أستطيع أن أضع هاتفي جانبًا دون أن أشعر أنني أفوّت شيئًا لا أستطيع الاستغناء عنه؟

وتشمل هذه التربية تعليم الفتاة حماية حساباتها وخصوصيتها، وعدم إرسال الصور أو المعلومات الحساسة، وتحصين نفسها من التعرض لمستنقعات التحرش والابتزاز، والتحقق من الأخبار قبل نشرها، وعدم تحويل أخطاء الناس وعثراتهم إلى مادة للتشهير والفرجة. فالعالم الرقمي لا يسقط المسؤولية الشرعية عن الكلمة والصورة والنظر وحدود التعامل بين الجنسين، بل يضاعف أحيانًا سرعة انتشار أثرها واتساعه.

كما تشمل التربية الرقمية أن تتعلم الفتاة أن التقنية وسيلة وليست بيئة تبتلع سائر الحياة؛ فتحتاج إلى وقت يومي بلا شاشة، ونوم منتظم، وحركة ورياضة، وصحبة واقعية، ووقت للعبادة والقراءة والخلوة بالنفس، وأن تنتبه إلى العلامات التي تدل على أن استخدامها للتقنية بدأ يتحول من نفع إلى استنزاف.

ولا ينبغي كذلك أن تتحول لغة الإيمان إلى بديل عن الأسباب العلاجية المتخصصة. فطلب المساعدة النفسية الموثوقة عند الحاجة لا يناقض التوكل على الله، كما أن الدعاء والذكر لا يعنيان ترك الأسباب التي أباحها الله. وفرق كبير بين فتاة تعرف كيف تستخدم التقنية، وفتاة تستخدمها التقنية؛ تعرف متى تدخل العالم الرقمي، ومتى تخرج منه، وما الذي تأخذ منه وما الذي تتركه. فتأخذ من العالم الرقمي ما ينفعها وتترك ما كدر!

نقدم قدوات نسائية حقيقية

تحتاج الشابة إلى أن ترى أمامها نساءً مسلمات جمعن بين العلم والحياء، والرحمة والقوة، والعبادة والعمل، والثبات والتواضع؛ نساءً لم يكن صلاحهن انكماشًا عن الحياة، ولا نجاحهن ذوبانًا في الدنيا. ولذلك ينبغي أن نعيد إلى التربية النسائية نماذج أوسع من صورة المرأة الصالحة التي لا يُذكر منها إلا مظهرها، أو المرأة الناجحة التي تُقاس قيمتها بما حققته في الدراسة والعمل.



لكن القدوة لا ينبغي أن تُقدَّم بوصفها إنسانة لا تخطئ ولا تتعب ولا تمر بصراع. فالصورة المثالية المصطنعة قد تجعل الفتاة تنظر إلى نفسها بعين العجز كلما عجزت عن بلوغ ذلك النموذج المتخيَّل. أما القدوة الحقيقية فتعلمها أن الاستقامة طريق فيه مجاهدة، وأن التوبة جزء من حياة المؤمن، وأن التعثر لا يعني نهاية الطريق.

ولهذا من المهم أن تُعرض لها سير أمهات المؤمنين والصحابيات والعالمات والصالحات، لا بوصفهن أسماءً محفوظة في كتب التاريخ، بل بوصفهن نماذج حية في الإيمان، والعلم، والصبر، والشجاعة، والبذل، وحسن تدبير الحياة. كما يمكن أن ترى في واقعها المعاصر يقمن بأدوار نافعة، ويحفظن دينهن وأخلاقهن في ميادين مختلفة.

والأهم أن نعلّمها أن النجاح لا يلغي الابتلاء، وأن التقوى ليست استعراضًا، وأن المرأة لا تحتاج إلى أن تكون مبهرة في أعين الناس حتى تكون عظيمة عند الله. فقد تكون حياتها هادئة لا يعرفها كثيرون، لكن أثرها في أهلها وطالباتها ومجتمعها عظيم؛ وقد تمر بضعف أو تأخر أو فشل، ثم تنهض وتتعلم وتواصل الطريق.

فالقدوة التي تحتاجها فتاة جيل زد ليست امرأةً خارقة لا تشبه البشر، وإنما امرأة صادقة تريها كيف يُعاش الإيمان في الحياة الواقعية، وكيف يمكن أن تكون المسلمة قويةً دون قسوة، ناجحةً دون استعلاء، متواضعةً دون ضعف، ومتعبدةً لله دون أن تنقطع عن عمارة الأرض بالخير.

نعطيها مساحة مشاركة ومسؤولية

لا تُهذَّب الشابة بإبقائها متلقيةً صامتةً لما يقوله الآخرون، وإنما تُهذَّب حين تُمنح فرصة أن تتعلم، وتعمل، وتخطئ، وتصحح، وتتحمل مسؤولية ما بين يديها. فالتربية التي لا تخرج من المعرفة إلى الممارسة تظل ناقصة، والفتاة التي لا تُدرَّب على المسؤولية قد تعرف كثيرًا من المبادئ، لكنها لا



تعرف كيف تحملها في واقع الحياة.

ولهذا ينبغي أن تُكلَّف بعمل نافع يناسب سنها وقدرتها، وأن تُدرَّب على البحث والتحقق من المعلومات، والمشاركة في مبادرات تخدم الناس، وإنتاج محتوى موثوق، وإدارة مشروع صغير، وتعليم غيرها ما تعلمته، والمساهمة في نصرة المظلوم بالوسائل المشروعة، مع تعلم المسؤولية عن الكلمة والموقف والنتيجة.

قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [التوبة: 71]. ففي الآية معنى الولاية المتبادلة، والتناصر على الخير، وتحمل مسؤولية الإصلاح كلٌّ بحسب استطاعته وموقعه، لا أن تكون المرأة مجرد متلقية تنتظر من غيرها أن يصنع لها الخير.

ومن هنا، فإن إشراك الفتاة في العمل النافع ليس ترفًا تربويًا، ولا محاولة لمجاراة ثقافة «المشاركة» الحديثة؛ بل هو من إعدادها لتكون مسلمةً مكلَّفةً تعرف أن ما تعلمته أمانة، وأن ما تستطيع فعله مسؤولية، وأن الخير لا يُنتظر دائمًا من الآخرين.

فالغاية ليست أن ننتج جيلًا كثير الكلام عن القضايا، بل جيلًا يعرف، ويتحقق، ويعمل، ويتحمل تبعة عمله، ويجعل حضوره في العالم الرقمي والواقعي بابًا من أبواب النفع لا مجرد طلب للظهور.

ويجب أن لا يكون ذلك بإغفال فقه الأولويات، فلا نشغل الفتيات بما ليس واجبا عن الواجب، ولا نركز اهتماماتهن على الثانوي على حساب الأساسي، فهناك حقوق يجب أن توفيها حقها من الأداء قبل العمل الصالح في مجال الدعوة والتربية وما يسع المسلمة البذل فيه بحدود ما سمحت به الشريعة الغراء. ويبقى تعلم المهارات التي تحتاجها المسلمة في حياتها الأسرية والاجتماعية، مما يوصى به ويصنع الإعداد والسعادة.



نصحح علاقتنا بالاختلاف

قد تنفر الشابة من الخطاب الديني حين ترى الخصومة المستمرة بين بعض الدعاة، أو سرعة التبديع والتخطئة، أو تحويل كل خلاف فقهي إلى معركة هوية، حتى يبدو لها التدين أحيانًا وكأنه سلسلة من المعارك التي لا تنتهي. ولا يعني هذا أن نتنازل عن الحق، أو أن نجعل الخلاف كله مقبولًا، وإنما يعني أن نعلّمها كيف تختلف دون أن تظلم، وكيف تطلب الحق دون أن تتحول إلى خصومة، وكيف تعرف متى يكون الخلاف سائغًا ومتى يكون القول باطلًا.

فتحتاج إلى أن تميز بين المسائل القطعية والمسائل الاجتهادية، وبين الخطأ في المسألة والحكم على صاحبها، وبين نقد القول وتجريح قائله، وأن تعرف أن اختلاف الفقهاء في مسائل الاجتهاد لا يعني أن الدين متناقض، كما أن وجود مسائل لا يسوغ فيها الخلاف لا يجعل كل مسألة موضع خلاف من هذا النوع.

وتحتاج كذلك إلى أن تتعلم أن المقطع القصير ليس بديلًا عن العلم، وأن كثرة المتابعين لا تجعل صاحب الحساب عالمًا، وأن اقتطاع كلام أحد العلماء من سياقه قد يقلب معناه. فالرجوع إلى أهل العلم، وقراءة الأدلة في سياقها، ومعرفة أصول المسألة ومحل النزاع، كلها جزء من الأمانة العلمية التي يحتاجها المسلم في زمن تتقدم فيه سرعة المعلومة على عمقها.

والأهم أن نربيها على أن الحق لا يحتاج إلى سوء الخلق حتى ينتصر؛ فالرفق لا يعني التنازل، والحزم لا يعني الفظاظة، وإنكار الخطأ لا يبيح الظلم، والاختلاف لا يسقط أخوة الإسلام فيما يوجبه الحق.

وهكذا تتحول علاقتها بالاختلاف من حالة استنفار دائم إلى علمٍ يميز، وأدبٍ يضبط، وبصيرةٍ تعرف متى تُجادل، ومتى تسأل، ومتى تسكت، ومتى تقول: الله أعلم.
ولعل من أخطر ما تقع فيه الفتيات اللاتي تشربن لذة العلم



في البدايات، ذلك الانغماس في حلبات الجدال والمناكفة والمماراة، بين الرجال والمشايخ، وتحمل على عاتقها نصرة شيخ توقره، أو جماعة تعظمها، فتنحر حياءها على عتبات العصبيات، وتلك خسارة تحرمها فرصها في الارتقاء.

نواجه العنف والازدواجية بوضوح

لا يمكن أن ندعو النساء إلى الاستقامة، ثم نتساهل في ظلم الرجال لهن، ولا أن نطالب الفتاة بالصبر على الأذى فقط دون سعي لرد الظلم ووضع حد له. فقد أوصى النبي ﷺ بالنساء خيرًا، وجاء في صحيح مسلم: «**استوصوا بالنساء خيرًا**». فالرفق بالمرأة ليس مجاملة اجتماعية، ولا تنازلًا عن القوامة أو المسؤولية، بل هو خلق ديني، وأمانة، ومسؤولية يتحملها الرجل والأسرة والمجتمع.

ومن مقتضى ذلك ألا تتحول أحكام الأسرة إلى غطاء لتبرير الظلم، وألا يُستعمل الدين لإسكات من تعرضت للأذى بدون حق. فإذا وقع اعتداء فالواجب أن يُسمع للمتضررة بجدية، وأن تُفهم الواقعة وتُتحقق ملابساتها، وأن يُحاسب المعتدي بالوسائل الشرعية، لا أن تعامل المظلومة على أنها مستباحة الحقوق!

وما أكثر ما يقع ذلك في أسرة ابتعدت عن شريعة ربها ولم تترب الأجيال فيها التربية الإيمانية الواجبة. فيكبر الولد بصلاحيات لا تعرف حدا شرعيًا ولا واجبًا أسريًا، وتكبر بجانبه الفتاة وقد دُفعت للخارج للتكسب مثلها مثل أخيها، وكم من فتاة تعرضت للظلم على يد أقرب الناس إليها مرة ومرتين، مرة بدفعها للخارج الموحش بدون حاجة ولا حماية، ومرتين لأجل الاستهانة بما تتعرض له من تكلفة هذا الخروج.

ولهذا تحتاج الأسر والمؤسسات التعليمية والدعوية إلى آليات آمنة وواضحة للإبلاغ عن الأذى، تحفظ الخصوصية، وتمنع الانتقام، وتتيح الوصول إلى من يستطيع التحقيق والمعالجة.
فالستر لا يعني دفن المظالم، والنصيحة لا تعني إسكات



المتضرر، وحفظ الأسرة لا يعني حماية المعتدي من عواقب فعله. كما أن معالجة الخطأ لا تكون بالتشهير والانتقام، وإنما بالعدل، والتحقق، ورد الحقوق، ومنع تكرار الأذى. ولو كانت هناك محاكم شرعية تحكم في مظالم الناس لما طغى أحد على أحد، فالحدود الشرعية صناعة للأمن والأمان في المجتمعات.

والفتاة التي نريد دعوتها إلى الإسلام والاستقامة تحتاج أن ترى عدل الإسلام في موضع الألم كما تراه في موضع التكليف؛ وأن تعرف أن الشريعة لا تطلب منها أن تتعبد لله بقبول الظلم، ولا تجعل صمتها عن الأذى شرطًا لصلاحها. ولها في سير الصحابة القدوة والمثل.

سادسًا: ما الذي ينبغي تجنبه؟

أول ما ينبغي تجنبه هو التعميم. ليست كل فتاة تستخدم تيك توك سطحية، وليست كل فتاة تطالب بحقها متمردة، وليست كل فتاة قلقة ضعيفة الإيمان. فاختلاف السلوك لا يعني بالضرورة اختلاف القيم، وما يبدو تمردًا قد يكون أحيانًا سؤالًا يحتاج إلى بيان، وما يبدو ضعفًا قد يكون وراءه تعب أو ظرف لا نعرفه. والتربية الرشيدة تبدأ بفهم الفرد، لا بإلصاق صفات جاهزة بجيل كامل.

وثانيه اختزال الإسلام في قائمة من الممنوعات. فالحكم بالتحريم يحتاج إلى علم ودليل، والتربية لا تنجح بمجرد أن نقول للفتاة: «لا تفعلي». بل نحتاج أن نعلّمها التوحيد ومقتضياته، ونعلّمها الأحكام الشرعية، ونبين لها ما البديل المشروع، ونبني في نفسها قدرةً على الاختيار حين لا تكون أعيننا عليها. والبديل ليس دائمًا تطبيقًا دينيًا آخر؛ فقد يكون صحبة صالحة، أو رياضة، أو عملًا نافعًا، أو خدمةً للناس، أو علمًا، أو مشروعًا يشغل الوقت بما ينفع ويمنح الحياة معنى.

وثالثه إذلال المرأة باسم الغيرة. فالغيرة الشرعية ليست تربصًا، ولا إهانة، ولا تحكمًا مرضيًا، ولا مصادرةً لخصوصية



المرأة وشخصيتها، ولا ذريعةً لمنعها من إي حق تكفله الشريعة. والحماية لا تعني إلغاء الإنسان، والقوامة لا تعني الظلم والطغيان، والنصح لا يحتاج إلى تحقير من يُنصح.

ورابعه الوعظ العلني في القضايا الخاصة. فليست كل معصية أو مشكلة مادةً تصلح للمنبر أو وسائل التواصل. وقد تتحول النصيحة أمام الناس إلى فضيحة، ويصبح المقصود إصلاح الخطأ سببًا في كسر صاحبه وإغلاق باب الرجوع أمامه. ومن الحكمة أن يعرف المربي متى يتكلم أمام الناس، ومتى يكون الإصلاح الحقيقي في كلمة تُقال على انفراد.

وخامسه الاستسلام لخوارزميات الغضب. فالمنصة تكافئ في كثير من الأحيان ما يجذب الانتباه، وقد يكون الصراخ والاستفزاز والخصومة أسرع انتشارًا من العلم الهادئ. لكن الداعية والمربي لا ينبغي أن يستعيرا من المنصة أسوأ خصائصها؛ فلا يتحول الخطاب الديني إلى منافسة في رفع الصوت، ولا تُصنع الإثارة من أجل المشاهدات، ولا يُختزل الدين في مقاطع صادمة تُلهب التعليقات ثم تنتهي بانتهاء المقطع.

قد ينتشر المحتوى الغاضب أسرع، لكن سرعة الانتشار ليست دليلًا على عمق الأثر؛ فقد تجمع الضجة جمهورًا، ولا تبني قلبًا، وقد تثير معركة، ولا تنشئ علمًا. والمطلوب من الخطاب الإسلامي أن يصنع إنسانًا يستطيع أن يفكر ويعبد ويثبت، لا أن يصنع متابعًا آخر لخوارزمية الغضب.

سابعًا: برنامج عملي للأسرة والداعية والمؤسسة

لا يكفي أن نفهم جيل زد أو أن نصف تحدياته؛ فالفهم الذي لا يتحول إلى ممارسة يبقى معرفةً معلقة. ويمكن تحويل المبادئ السابقة إلى برنامج عملي من سبع ممارسات، تختلف تفاصيلها بحسب الأسرة والمؤسسة وعمر الفتيات واحتياجاتهن:

1. جلسة استماع شهرية للفتيات

جلسة آمنة ومنظمة، بلا تصوير ولا سخرية ولا استغلال لما يُقال فيها، تتيح للفتاة أن تتحدث عن أكثر ما يقلقها في الدين، والأسرة،



والعلاقات، والمنصات الرقمية، وأن تطرح أسئلتها دون أن تُعامل كلّها بوصفها اعتراضًا أو تمردًا. الهدف منها حسن التشخيص وفتح نافذة إصلاحية بصناعة الأمان والثقة.

2. درس قصير حواري

يُختار في كل مرة معنى إيماني واحد، كالصدق أو العفة أو الرحمة أو التوكل، ثم يُربط بموقف واقعي من حياة الفتاة: تعليق جارح، صورة خاصة، مقارنة عبر المنصات، خلاف أسري، أو ضغط من الصديقات. فالغاية ألا يبقى الإيمان مفاهيم محفوظة، بل يتحول إلى بصيرة توجه الاختيار.

3. تدريب على السلامة الرقمية

يشمل حماية الخصوصية والحسابات، والتحصن من مستنقعات الابتزاز والتحرش، والتحقق من الأخبار والمعلومات، ومعرفة أبواب الخطر، وحدود التعامل، وآداب التعليق والنشر، وما ينبغي فعله عند وقوع الضرر. وهذه مهارات أصبحت جزءًا من التربية، لا موضوعًا تقنيًا هامشيًا.

4. مرشدة أو مربية موثوقة

تستطيع الفتاة الرجوع إليها في الموضوعات التي قد يصعب عليها طرحها داخل الأسرة، مثل البلوغ، والصحة النفسية، والعلاقات، والعنف، مع ضمان الخصوصية، ومعرفة حدود دور المرشدة ومتى ينبغي إحالة الحالة إلى مختصة.

5. مشروع خدمة مجتمعية تقوده الشابات

يُمنحن فيه فرصة التخطيط والعمل وتحمل المسؤولية، في التعليم، أو الإسعافات، أو خدمة المجتمع بالصدقات وكفالة الأيتام، أو إنتاج المعرفة النافعة وتعلم المهارات اللازمة، بحسب البيئة والإمكانات وبما تسمح به سعة وظائفهن في الأسرة والمجتمع بضوابطها. والمقصود أن تتحول رغبة الشابة في التأثير والمشاركة إلى عمل نافع منظم، لا أن تبقى طاقةً مستهلكة في التذمر أو التفاعل العابر.



6. قدوة مؤسسية تلتزم بما تقول

فلا تتحدث المؤسسة عن الرحمة ثم تهين العاملات، ولا ترفع شعار العلم ثم تنشر الجهل، ولا تتحدث عن حفظ الحقوق ثم تتساهل في ظلم الضعفاء. فالفتاة لا تتعلم من المحاضرة وحدها؛ بل تتعلم من المواقف ومن الطريقة التي تُدار بها المؤسسة، ومن كيفية تعامل القائمين عليها مع الخطأ، والاختلاف، والسلطة، والضعف. وما أجمل التقوى والإخلاص في مثل هذه المشاريع. فهي الحصانة والأمان.

7. إحالة متخصصة عند الحاجة

إذا ظهرت مؤشرات على اكتئاب شديد، أو إيذاء للنفس، أو عنف، أو ابتزاز، أو مشكلة نفسية أو أسرية تتجاوز قدرة الأسرة أو المربي، فلا ينبغي أن يُترك الأمر للواعظ وحده. بل تُطلب المساعدة من طبيبة، أو أخصائية نفسية مؤهلة، أو جهة حماية موثوقة بحسب طبيعة الحالة. فالاستعانة بالمتخصص ليست نقصًا في الإيمان، كما أن الوعظ ليس بديلًا عن كل تخصص.

وهكذا لا تصبح التربية مجرد سلسلة من المحاضرات، بل بيئة متكاملة: تُسمع فيها الفتاة، وتتعلم، وتُحمى، وتُكلَّف، وتُقدَّم لها القدوة، ويُحال بها إلى المختصة حين تحتاج إلى ما يتجاوز اختصاص المربية.

خاتمة

جيل زد ليس مشروعًا فاشلًا يحتاج إلى كسر، ولا جيلًا معصومًا ينبغي أن يُتبع في كل شيء. إنه جيل نشأ في بيئة سريعة الاتصال، شديدة التعرض للمقارنة، كثيرة الأسئلة، حساس تجاه الظلم، متعطش إلى الصدق، وقابل للتعلم والتأثير.

وفي نساء هذا الجيل طاقات علمية وإبداعية وعملية كبيرة، لكنهن يحتجن في الوقت نفسه إلى حماية من اقتصاد الصورة، والانحلال الرقمي، والاستغلال، ومن الخطاب الذي يحصر المرأة في لباسها فقط أو يحملها وحدها تبعات فساد المجتمع.



إن الدعوة إلى الاستقامة لا تنجح حين تقول للفتاة "تغيّري لأنك المشكلة"؛ وإنما تنجح حين تخاطب فيها الكرامة والمسؤولية معًا: أنتِ مكرمة عند الله كأمة لله، ومكلَّفة كأمة لله، وقادرة على الخير كأمة لله؛ فتعلمي كيف تجعلين حريتك منضبطة بالعبودية، وصوتك صدقًا، وغضبك عدلًا، وتقنيتك نفعًا، وجمالك طاعةً لا استعراضًا، وعلمك خدمةً، وصلتك بالله مصدر قوة وثبات.

وهنا تتجلى الحاجة إلى منهج إسلامي لا يختزل التربية في المنع، ولا الدعوة في التخويف، ولا المرأة في مظهرها، ولا التقنية في كونها شرًّا محضًا. وإنما يقوم على حكمة في الخطاب، ورفق في العلاقة، وعدل في الحكم، وبصيرة في التعامل مع الواقع، ومشاركة في الخير، وقدوة تسبق الكلام.

فإذا فهمنا الجيل قبل أن نحكم عليه، واستمعنا قبل أن نعظ، وعلّمنا قبل أن نمنع، وأقمنا العدل قبل أن نطالب بالاستقامة، وقدمنا القدوة قبل أن نكثر من الأوامر؛ كان أقدر على أن يجد في الإسلام جوابًا عن أسئلته، ومعنى لحياته، وبوصلةً في عالم سريع التغير.

وليس المطلوب أن نجعل الفتاة نسخةً مثالية، ولا أن نجعل الإسلام تابعًا لكل ما يفرضه الزمن؛ وإنما أن نربيها على ثبات الأصول، وحسن فقه الواقع، وقوة التميز، وحمل الأمانة؛ حتى تعيش في عصرها دون أن يبتلعها، وتتعامل مع أدواته دون أن تستعبدها، وتشارك في مجتمعه دون أن تفقد ميزانها.

فجيل زد، ومنه نساؤه وفتياته، لا يحتاج إلى من يصفه بالخطر فحسب، ولا إلى من يصفق له في كل شيء؛ بل يحتاج إلى من يفهمه، ويصدقه، ويعلّمه، ويأخذ بيده إلى الحق دون أن يهدر كرامته.

ملاحظة: ينبغي التنبيه إلى أن «جيل زد» تصنيف اجتماعي وتحليلي تقريبي، وليس تشخيصًا نفسيًا، ولا وصفًا لشخصية موحدة، ولا حكمًا دينيًا. وتبقى الفروق بين الأفراد والبلدان والثقافات والبيئات الأسرية والاقتصادية والتعليمية كبيرة، مما يقتضي الحذر من تحويل السمات الجيلية العامة إلى قوالب تحكم على الأفراد مسبقًا.

ذكاء الأنثى والذكاء الاصطناعي

في خِضَمِّ الثَّورةِ الإلكترونيَّةِ، وظهورِ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ، دَبَّ خوفٌ، وسادَ القلق؛ نسمعُ التَّساؤلاتِ التي تُوغِلُ في النَّفسِ الرِّيبةَ حولَ هذهِ الأدواتِ التي ستحتلُّ محلَّ البشرِ، التي يزعُمُ بعضُهُم أنَّها فاقتْ ذكاءَ صانعِها... وما أشبهَ ذلكَ مِن أقاويلَ.

يا فتاةَ المستقبلِ، لا تجعلي ما حولَكِ مِن تقدُّمٍ عامَّةً، ومِن الذَّكاءِ الاصطناعيِّ خاصَّةً، مصدرَ رُعبٍ، بل اجعليه مصدرَ قوَّةٍ. نحنُ نخافُ ما نجهلُ؛ لذا تعلَّمي كلَّ ما هو جديدٌ إذا ارتأيتِ فيه منفعةً لكِ ولدينِكِ، فالتَّعلُّمُ أوَّلُ خطوةٍ تُجلِي عنكِ ستارَ الرَّهبةِ؛ فلا يتحكَّمِ التَّطوُّرُ بكِ.

ولا جرم أنَّما الأمرُ سلاحٌ ذو حدَّينِ، وحينَ تتعلَّمينَ ستعرفينَ نقاطَ الخطرِ فتحذرينها، وتغتنمينَ الفُرصَ فيما يُعرَضُ أمامَكِ.

لا تجعلي الذَّكاءَ الاصطناعيَّ يُفكِّرُ عنكِ، بل اجعليه يُفكِّرُ معكِ

فكِّري أوَّلًا، دوِّني على ورقٍ، خطِّطي، ثمَّ اطرحي عليه فكرتَكِ وأسئلتَكِ، فلا تستغني به عن عقلِكِ فتضمُرَ عضلةُ إبداعِكِ وتنتكلي، لا يكُنْ هو الوجهةَ الأولى التي تتَّجهينَ إليها عندَ كلِّ سؤالٍ ومشكلةٍ تواجهُكِ، بل قِفي مع نفسِكِ بدايةً، وهذا سيجعلُكِ تُقيِّمينَ حلولَهُ وأطروحاتِهِ، وتلتقطينَ ثغراتِهِ؛ فلا تأخذينَ بمُجملِ ما يقولُ، لأنَّ لكِ عقلًا راجحًا يزنُ ما يرى. وعلى العكسِ أيضًا، قد تجدينَ منه ما يُعجبُكِ فتتعلَّمينَ، وتقتبسينَ مِن أفكارِهِ الجيِّدةِ ما لم يخطرْ على بالِكِ حينما فكَّرتِ ابتداءً مع ذاتِكِ.

ستجدينَ مَن يخافُ التِّقنيةَ فيهربُ منها، ومَن يذوبُ فيها حتَّى يفقدَ شخصيَّتَهُ، أمَّا أنتِ، فلن تكوني واحدةً مِن أولاءِ ولا أولئكِ، بل في السَّاحلِ الآمنِ مِن الانغماسِ المُغرِقِ، تغترفينَ منه شَربةً طيِّبةً لنفسِكِ، وتَسقينَ حقولَ المجتمعِ فتزهرُ على يديكِ بإذن اللّٰه...

اجعلي الذَّكاءَ الاصطناعيَّ خادمًا لرسالتِكِ، لا قائدًا لها، استعيني به في تلخيصِ الكُتُبِ، وتنظيمِ الأفكارِ، وتعلُّمِ اللُّغاتِ، ومراجعةِ المقالاتِ، واستكشافِ العلومِ، لكن لا تسمحي له أن يسلبَكِ نعمةَ التَّفكُّرِ التي وهبَكِ اللّٰه تَبارَكَ وتَعالى إيَّاها.

اسأليهِ، ثمَّ راجعي. استفيدي منهُ، ثمَّ حقِّقي. وخذي منهُ ما ينفعُكِ، ثمَّ زِنيهِ بعقلِكِ وإيمانِكِ.

لا تُغفلي جانبَ الحفظِ الذِّهنيِّ مهما صعُبَ عليكِ، ولا تركني الأمرَ لقدرتِكِ على إخراجِ ما أردتِ مِن شواهدَ ودلائلَ بكبسةِ زرٍّ وبحثٍ سريعٍ؛ فحفظُ القرآنِ أجرٌ ومثوبةٌ، وتعلُّمُ التَّفسيرِ الميسَّرِ مُعينٌ لكِ



على فهمِهِ وتدبُّرِهِ والاستشهادِ به عندَ النُّصحِ والمقالِ، ولو كان متوفِّرًا على هاتفِكِ المحمولِ، ولو استطعتِ سؤالَ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ عن الآيةِ المناسبةِ لشأنِكِ، ولو كانت الفتوى متاحةً على المواقعِ متى ما أردتِها، ولو كانَ، فاحفظي آياتِ أحكامِ النِّساءِ وما نزلَ بشأنِهِنَّ، وغيرَها ممَّا يلزمُ طهارتَكِ ونحوَهُ.

فسبحانَ الذي يعلمُ -وهوَ الذي سبقَ علمُهُ كلَّ شيءٍ- أنَّ القرآنَ سيُدوَّنُ بالصُّحُفِ في عهدِ الإسلامِ الأوَّلِ، ثمَّ يصبحُ بمتناولِ أيدينا -كما اليوم- على أيسرِ صورةٍ كانتْ على مرِّ العصورِ، ومعَ ذلكَ قالَ سبحانهُ:

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾

[العنكبوت - ٤٩]

فهذا موقعُهُ الذي يجبُ أن يقعَ منكِ أخيَّتي الفاضلة.

احفظي مِن الحديثِ الشريفِ، والسيرةِ النبويَّةِ، وسِيَرِ العظماءِ، ولا تجعلي سِيَرَهُم رهينةَ الكُتُبِ الإلكترونيَّةِ والمقالاتِ المُدوَّنةِ، ومِن الشِّعرِ وقَبَساتِ النثرِ لأئمَّةِ المسلمينَ وعظماءِ المفكِّرينَ، بهذا تَقينَ نفسَكِ -بإذنِ اللّٰه- مصيدةَ الإنترنتِ والذكاءِ الاصطناعيِّ وأمثالِهِ.

فالعلمُ الذي يسكنُ صدرَكِ حاضرٌ معكِ في كلِّ موطنٍ، أمَّا العلمُ الذي يسكنُ جهازَكِ فقد يحولُ بينكِ وبينَهُ انقطاعُ شبكةٍ، أو نفادُ بطاريَّةٍ، أو ضياعُ هاتفٍ.

وانشري خبرتَكِ حولَ التَّعاملِ الرشيدِ مع هذهِ الثورةِ بين أقاربِكِ وأقرانِكِ؛ فإنَّ الأمَّةَ التي تُحسنُ توظيفَ الأدواتِ الحديثةِ مع ثباتِها على مبادئِها، أقدرُ على صناعةِ المستقبلِ مِن أمَّةٍ تعرفُ البوصلةَ ولا تمتلكُ أدواتٍ، وأمَّا الأمَّةُ التي تملكُ الأدواتَ وتفقدُ البوصلةَ، فتلكَ أعاذنا اللّٰه منها.



فلتكنِ التِّقنيةُ في يدِكِ قلمًا، لا قيدًا، وجسرًا إلى العلمِ، لا بابًا إلى الكسلِ؛ فالمستقبلُ لا يصنعُهُ الذكاءُ الاصطناعيُّ وما سيأتي بعدَهُ، بل يصنعُهُ إنسانٌ يعرفُ لماذا يتعلَّمُ، ولِمَن يعملُ، وإلى أيِّ غايةٍ يسيرُ.

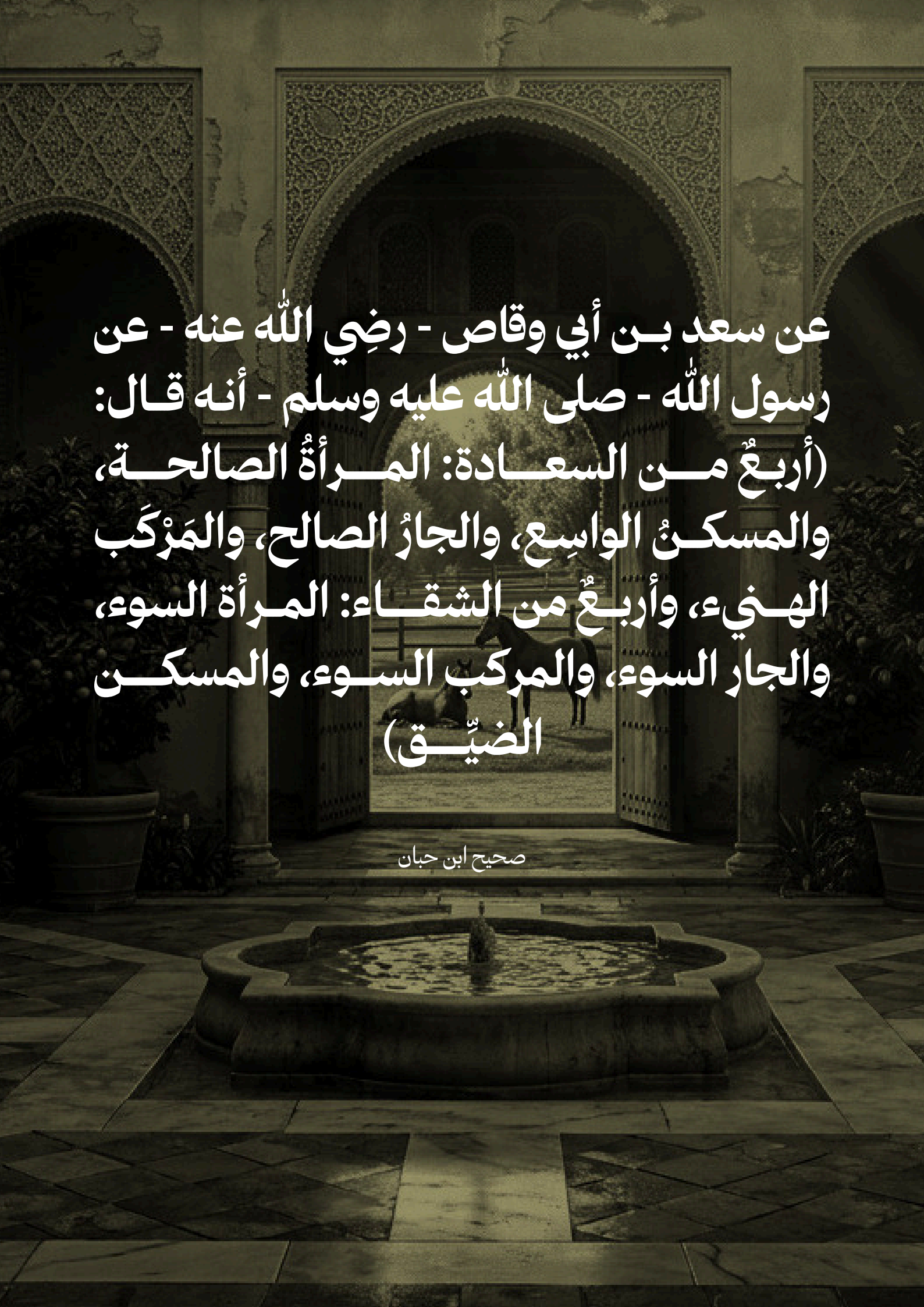
واحمدي اللّه تَبارَكَ وتَعَالى أنْ سهَّلَ علينا نهلَ العلومِ، بعدَ إذْ كانتْ تُقطَعُ السنينُ وتُذرَعُ المسافاتُ لتحصيلِ المعلومةِ الواحدةِ، فإنَّما بهذا التيسيرِ عظُمَتْ علينا الحجَّةُ إنْ نحنُ توانينا. فاللهمَّ استعملنا لِما ترضى، وارزقنا حُسنَ استعمالِ ما آتيتَنا، ولا تجعلْهُ حجَّةً علينا، يا ربَّ العالمينَ. وللهِ الحمدُ.

الزوجة



بذنبي وما
ظلمني ربي!

بقلم / سنا برق



عن سعد بن أبي وقاص - رضِي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحة، والمسكنُ الواسِع، والجارُ الصالح، والمَرْكَب الهنيء، وأربعٌ من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيِّق)

صحيح ابن حبان



بينما يدور بيننا حديث ودود، تأتي الكلمات بيننا وتروح، نسأل عن الحال والأخبار وعن الأهل والخِلان؛ إذ صمتت صديقتي فجأة، ثم استطردت بشجن متحمس كمن سيلقي بسر عظيم فقالت:

أتعلمين؟ لقد اكتشفت أمرا مذهلا؛ كلما أذنب ذنبا، تحدث بيني وبين زوجي مشكلة عظيمة جدا، على شيء تافه جدا، تكاد من عِظمها أن تكون سببا لهدم البيت كله، لولا رحمة من الله تتداركنا!

يوما ما أُذِّن للعشاء، وكنت مشغولة في عمل ما، فقلت الآن أصليها، ثم أنهيت العمل وقد شعرت ببعض التعب، فقلت لنفسي، أذهب للسرير أرتاح قليلا ثم أصلي بعدها، وعقلي ينازعني أن لو ذهبت للسرير الآن فستضيع منك العشاء لا محالة، لكن نفسي التي آثرت الدعة والراحة ارتفع صوتها بداخلي وقالت لا بأس بقليل من الراحة ثم تصلين بتركيز، وقد كان ما حذرني منه عقلي، جرّت الراحة القصيرة نوما عميقا لم أستفق منه إلا على صلاة الفجر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

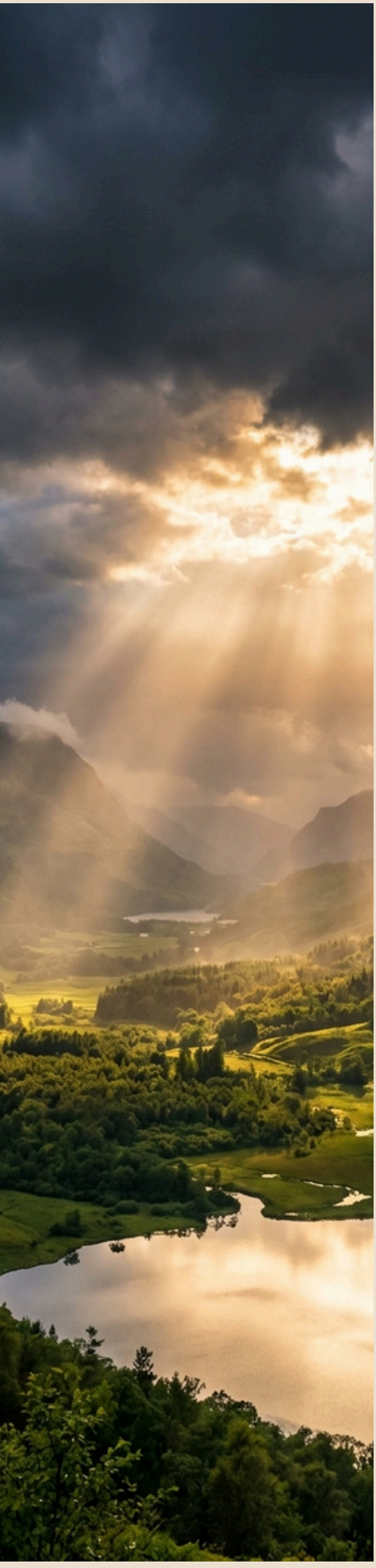


وما إن أصبح الصباح حتى حدثت تلك المشكلة بيننا، على أمر عادي وبسيط جدا، دائما ما يحدث ولا يعلق عليه زوجي. الأمر لا يستدعي كل تلك المشكلة وفي نفس الوقت هو خطأ، لا يمكن لأحد أن يشكك في ذلك.

قلت لنفسي: هذا بذنبي وما ظلمني ربي، وأيقنت حينها معنى أن يكون قلب العبد بيد الله عز وجل إن شاء أرضاه عني فتغافل عن خطئي مهما كان كبيرا، وإن شاء أسخطه علي مهما حاولت إرضائه وسعيت في ذلك، وهذا عين ما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم، لكننا للأسف نحفظ بدون معايشة للمعاني؛ حتى تقع المشاكل فنقول أليس هذا ما ندندن به دائما فلا يتجاوز تراقينا.

استطردت صديقتي قائلة:

في يوم آخر، صادفتني أغنية أغراني الشيطان بها، فأعدت الاستماع إليها مرات، وقلبي وعقلي يدوّيان بالإنذار أن توقفي واستغفري حالا، لكن تلك النفس الأمارة بالسوء ظلت تزين لي الحرام، فما المشكلة من الاستماع لكي أغنيها لزوجي من باب حسن التبعل، وهذه المرة وفقط ووو...



تكرر نفس السيناريو، مشكلة عظيمة من لا شيء، عظيمة جدا.

وتكرر الأمر مرات أخرى!

وما إن ألجأ إلى الله عز وجل وأتوب بصدق وانكسار، حتى تتبد كل تلك الغيوم التي كادت أن تطبق على البيت فتهدمه، وكأن شيئا لم يكن، سبحان الملك!

قلت لها بعد تأمل وإعجاب بهذا الفهم العظيم الذي امتن الله عز وجل به عليها: ذكرتني كلماتك بمقولة للفضيل بن عياض رحمه الله حين قال:

«إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وامرأتي وفأر بيتي».

فنعم، معك حق فعلا.

المشكلة أننا دائما نتهم كل شيء إلا أنفسنا، ونلجأ لكل أحد إلا الله عز وجل، فنشقى ونُشقي من حولنا، فقلوب العباد بيد الله عز وجل، يقلبها كيف يشاء. فلماذا لا نطلب كل شيء من الله عز وجل بصدق وافتقار؟ حتى قلوب أزواجنا ومحبتهم!

سبحان الله، العبد حين يتقرب لله عز وجل بالأعمال الصالحة وبالنوافل بعد أداء الفرائض، يحبه الله عز وجل، وإن أحبَّه الله تبارك وتعالى، أحبَّه أهل السماوات والأرض، طريق سهل واضح يسير.

سكتت صديقتي لبرهة ثم قالت:

لكن هناك أمرا لا أفهمه، هناك الكثير ممن يجترئون على حدود الله عز وجل وحرماته، ولكن الواضح عليهم الاستقرار والتفاهم، فكيف يستقيم ذلك مع كلامك؟

قلت: وما يدريك؟ لعل الله عز وجل أبسط عليهم نعمه؛ لتكون بابًا لهم



للتوبة والعودة لله عز وجل، فما قد يصلحنا نحن قد يفسدهم هم والعكس بالعكس، وربك الحكيم العليم سبحانه.

ولعل الله عز وجل أبسط عليهم نعمه، لتكون حجة عليهم يوم القيامة فيحاسبون على الجميع!

ولعل الله عز وجل أبسط عليهم نعمه، لأنه سبحانه لا يعبأ بهم أصلا، وقد سقطوا من نظر الله عز وجل لجرأتهم تلك، نعوذ بالله من ذلك، فأحيانا تكون النعم بابا للاستدراج وليس الاستدراك، بمعنى أن ينغمس الإنسان في الملذات فينسى ربه، وربُّه عز وجل الغنيُّ لا يعبأ به، وهذه فتنة كبرى ومصيبة عظمى نسأل الله عز وجل ألا يبتلينا بها أبدا.

تنهدت صديقتي وقالت: نعم، نسأل الله مولانا أن لا يميت قلوبنا ولا يكلنا لأنفسنا طرفة عين.

شكرتني الكريمة بنت الكرام، على ما ادعت أنها تعلمته مني، لكن الحقيقة التي لم يسعفني الهاتف للإقرار بها، أنها هي من علمتني درسا عظيما بالفعل، وأرشدتني إلى معانٍ وعبر لم أكن لأصل إليها إلا بفضل من الله عز وجل.



فاللهم لا تحرمنا صحبة الطيبين الصالحين، الذين يذكروننا بك، ويدلوننا عليك يا كريم.

لا أذوق غمضًا حتى ترضى



في محطَّات الحياة الزوجية يحلُّ الخلاف ضيفًا في طيَّاتها فإمَّا خلافًا يزيد حبال المودَّة قوَّةً وتماسكًا وإمَّا خلافًا يقطع حبال المودَّة حبلًا بعد آخر ولكل من الزوجين دور كبير في مآل هذا الخلاف ولكن كانت للمرأة وصيَّة خاصَّة من رسول الله ﷺ... عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود، الولود، العؤود على زوجها، التي إذا آذت أو أوذيت، جاءت حتى تأخذ بيد زوجها، ثم تقول والله لا أذوق غمضًا حتَّى ترضى.** ورواه الطبراني وحسنه الألباني.

هذا الحديث يصف صفات نساء أهل الجنَّة ولمَن تفكَّر يجد أنه موجَّه للزوجة على وجه الخصوص فليس للأم ولا للأخت ولا للابنة؛ بل للزوجة وكأنَّ أعظم أعمال المرأة وأكبرها ركنًا في كونها زوجة صالحة وقد كثرت النصوص الشرعية التى تثبت ذلك فعن حُصَينِ بنِ مِحصَنٍ أنَّ عَمَّةً له أتَتِ النَّبيَّ ﷺ فقال لها: **أذاتُ زَوجٍ أنتِ؟ قالت: نَعَم، قال: فأينَ أنتِ مِنه؟ قالت: ما آلوه إلَّا ما عَجَزتُ عنه، قال: فكَيف أنتِ له؛ فإنَّه جَنَّتُك ونارُك؟** (حديث صحيح خرجه الألباني)

أمَّا الرجل وإن كان ميدان جهاده خارج البيت لا داخله وأعظم الأجر له ليس في كونه زوجًا صالحًا كما للمرأة بل في أعمال أخرى خصَّه الله بها لا طاقة للمرأة عليها إلا أن هذا التوجيه لا يقلل أبدًا من شأن مسؤولية الرجل داخل بيته وإن الشريعة جعلت خيرية الرجال مشروطة بحسن عشرتهم لنسائهم كما قال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» غير أن الله وزَّع الميادين بحكمته فجعل جهاد الرجل الأكبر في السعي والمسؤولية وجهاد المرأة الأكبر في صناعة السكينة. لذا كانت من أعلى صفات نساء أهل الجنة صفات الزوجة الصالحة في هذا الحديث الذي تستشكله كثير من نساء اليوم مع لوثة النسوية والعلمانية التي انتشرت انتشار النار في الهشيم حتى نالت من كثير من النساء بل والمتديِّنات منهنَّ إلَّا من رحم ربِّي فلا تكاد تسمع حديثًا عن حسن التبعُّل إلَّا ملأت الدنيا عويلًا ولمَ لا يوجَّه هذا للرجل؟ لماذا يكون للنساء فقط؟ وقد وضَّحنا هذه الجزئية من قبل

لأنَّ هذا ميدان جهاد المرأة وعليه ترتبت لها عظيم الأجور وبتخلُّفها فيه سقط المجتمع واضطرب ولا يخفى ما يحدث في مجتمعات المسلمين بعد انتشار الفكر النسوي والشعارات الهابطة المنافية للدين و اتخاذ المرأة زوجها ندًّا بدعوة "الكرامة"!

أيُّ كرامة هذه التي تأتي بفعل لا يرضاه الله عزَّ وجل! الكرامة الحقيقية هي كرامة النفس التي تسعى لكلِّ ما يرضي الله عزَّ وجل عنها فتهذِّب طباعها تبعًا لما يرضى ربها لا هوى نفسها، الكرامة لا تضيع بالكلمة الطيبة والمبادرة بالصلح والمودَّة والإحسان بل ترتفع وتزداد، قال الله عز وجل: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾، فكان في الحديث وصية خاصة لكل امرأة أرادت جنة ربها ومكانة عالية يوم لا ينفع مال ولا بنون وجاء الحديث من باب الترغيب لا الأمر فهو يصف صفات الصفوة من النساء تلك التى طلبت الجنة بصدق فجاهدت نفسها لهذه المكانة مع ما تواجهه من تحديات وعقبات كثيرة فلا يخفى ثقل ما جاء في الحديث إلَّا عند من احتسبت بصدق ففي كل خطوة تستحضر فيها رضى الله عنها أولًا وتفضيلها لنيل أعلى الدرجات في أعظم ما يعطيها الله من أجر وهي كونها زوجة صالحة

هذه الصفات مَن حقَّقتها في بيتها وحفَّتها بالدعاء والرعاية ليتم الله توفيقه لها فيها ويسخر لها زوجها فيكون لها عونًا لبلوغ هذه المرتبة العالية لا عبئًا عليها حققت معنى السكينة الحقيقية أن تجعل من بيتها واحة طمأنينة، حتَّى وإن تزلزلت من حوله الأركان.

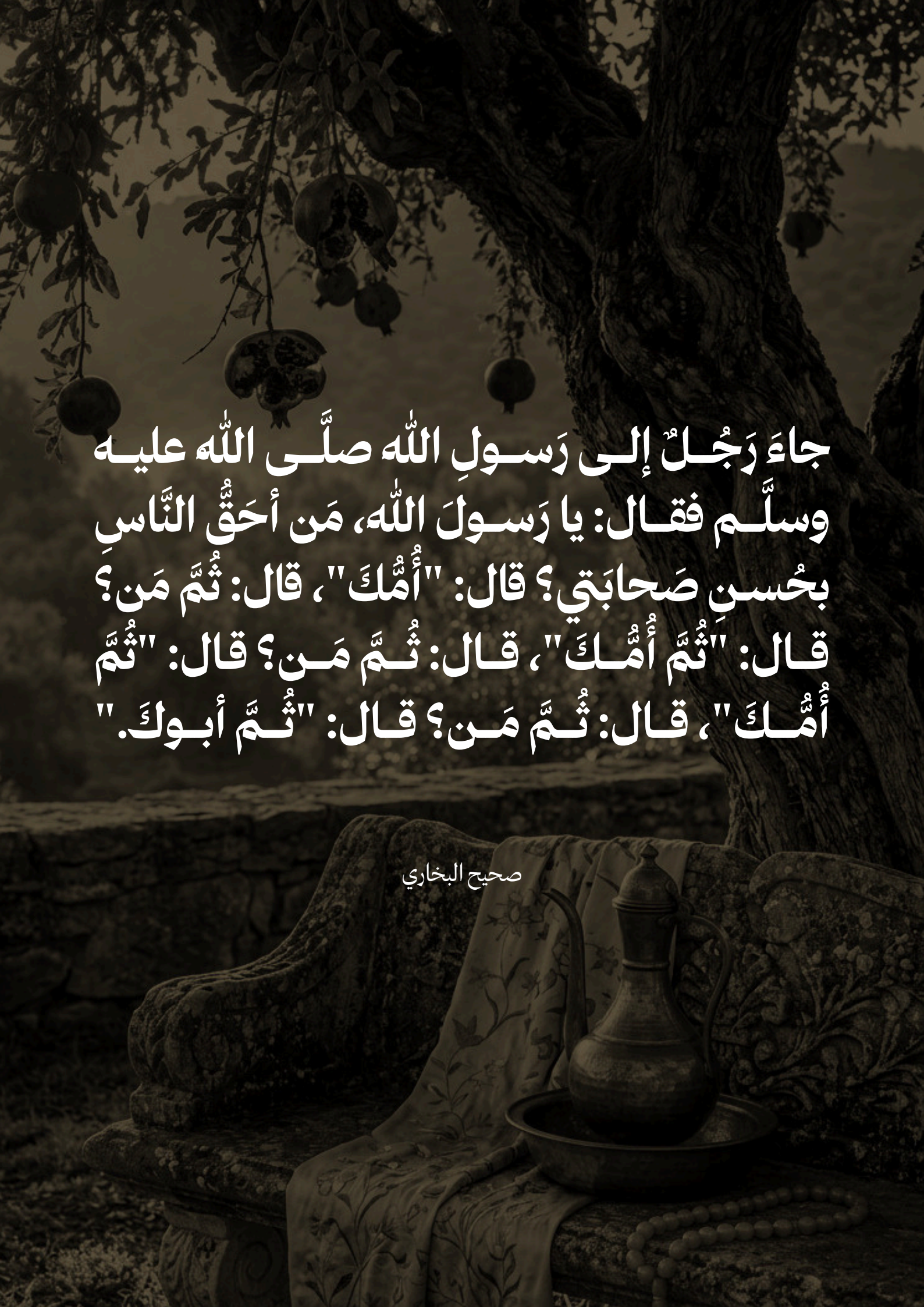
وأخيرًا هذه الصفات التي قد تستشكلها كثير من نساء هذا الزمان ستُرفع بها بعض النساء غدًا مقامات عند الله عز وجل فلتختر كل واحدة ما تريد بصدق فالخيار لها.



الأم

لأنَّ الأمَّ
تصنعُ أُمَّة

بقلم / سُميَّة الوازعي



جاءَ رَجُـلٌ إلـى رَسـولِ اللّٰه صلَّـى اللّٰه عليـه وسلَّـم فقـال: يا رَسـولَ اللّٰه، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسنِ صَحابَتي؟ قال: "أُمُّكَ"، قال: ثُمَّ مَن؟ قـال: "ثُمَّ أُمُّـكَ"، قـال: ثُـمَّ مَـن؟ قال: "ثُمَّ أُمُّـكَ"، قـال: ثُـمَّ مَـن؟ قـال: "ثُـمَّ أبـوكَ."

صحيح البخاري



جعل النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ رضى الأم طريقًا إلى الجنة، فقد قال رجل: يا رسول الله، أردتُ الغزو وجئتُ أستشيرك، فقال: "**فهل لك من أم**"؟ قال: نعم. قال: "**فالزمها فإن الجنة عند رجليها**".

عزيزتي الأم، ما أعطاكِ الله تلك المنزلةَ العظيمة، والمكانةُ الجليلة (الجنة تحت قدميكِ) إلا لمهمّتكِ العُظمى، بل الكُبرى.

أما عِلمتِ أنّكِ صانعةُ رجالٍ ومُربية أجيال؟ أنسيتِ مهمَّتكِ، أم حُجب عنكِ فضلُها؟

يا غالية، إيّاكِ والتساهل في هذه الوظيفة أو التفريط بها، فوالله إنها لأشرفُ الوظائف على وجه الأرض.

ثم اسمعي مني ما أقول وعِي، اِعلمي أنه قد شُوِّشَ عليكِ في هذا الزمن بظهورِ حملاتٍ تحرّض الأم عن أعظم وأشرفِ مُسمّى ألا وهو "الأمومة"، وبدأوا يبهرجون لها العمل خارج قلعتها الحصينة، وترك تلك الوظيفةِ الدنيّة -كما يزعمون- وما غايتهم من ذلك إلا أن تنشغل الأم عن قلعتها التي لطالما حصّنتها وحمتها، وهم يخلفونها من وراء ظهرها فيبدأون بهدمها شيئًا فشيئًا، وهي قد شُغلت بأرذل مما تركت، فليت شعري متى نستفيق!

الأمومة عملًا بالجوارح قبل أن يكونَ قولًا باللسان

قد تتطلّعين إلى أن يكونَ أبناؤكِ أسوياء أصحاب أخلاقٍ رفيعة، بل إلى أن يكونوا بعيدين عن دناءةِ سلوكيات هذا العصر، مما يضطركِ لحضورِ برامجَ تربوية، وقراءة الكثير من الكُتب عن كيفية تربية الأبناءِ تربية حسنة، في ظل ما نعيشه من انجرارٍ في الأخلاقِ والمروءة.

وأنا أقول لكِ يا صانعة الأجيال ومُربية الرجال، إن التربية الحسنة لا تكون فقط بكثرة حضور البرامج التربوية، ولا قراءة كُتب السلوكيات والأخلاق الحسنة -وإن كانت مُهمة ولها من الدور



العظيم في النفع والفائدة مالها-، ولكن أريدكِ أن تعلمي قبل كل هذا أن التربية أن تكوني قدوةً أولًا قبل إلقاء الأوامر وفرض الفرائض، فأبناؤكِ يرونكِ المثالَ السويَّ في كل تصرفاتكِ، فيستقونَ منكِ كل حركاتكِ وسكناتكِ، وأقوالكِ وأفعالكِ، لا يزنونَ ذلك في أي ميزان، فكل ما جاء منكِ فهو بالنسبة لهم الخير والصلاح.

وكم أشفق على تلك الأم التي تنقض غزلها بيدها، تتعبُ في التربية والتعليم طوال النهار، وتكد وتتعب، حتى إذا جاء الليل، وأسدل عباءته السوداء حتى غطى الأرض والسماء بالظلام، جلست إلى أريكتها ومن حولها أطفالها، فتُشرع في مشاهدة المسلسل تلو الآخر، لا تحسب لكل ما يُعرضُ حِسابًا، وكأنها لم تعلم "أن الطفل مثل الإسفنجة يمتص السلوكيات من البيئة المحيطة به"، وأي بيئةٍ أحاطت به وهو جالس بالقربِ من أمه يشاهد تلك المناظر!

بالله عليكِ أنّى لأطفالكِ أن يكونوا صالحينَ أسوياء، وأنتِ بيدك تفتحين التلفاز لتشاهدوا سويًّا تلك الأفلام الخليعة الوضيعة، التي لا تحمل إلا أفكارًا سلبية غير أخلاقيةٍ البتّة؟

وأنّى لأبنتكِ حصادُ زرعكِ وثمرةُ جهدكِ أن ترى العشق ومصاحبة الجنس الآخر حرامًا، أو حتى عيبًا، وهي مُذ وعَت تشاهد معكِ المسلسلات والأفلام التي تتبنى هذا الأمر، بل وتُروّجَ له؟

وأخبريني بالله عليكِ أنّى لطفلكِ أن يحب الصلاة أو حلقات الذكر، وقد رأى منكِ ومن والده انشغالكما بالدنيا وزينتها، ولم يلحظ والده قد ذهب للمسجد ولو مرةً واحدة؟

وكم سأعد لكِ وأحصي من الأقوال والأفعال التي



يتعلمها الطفل منكِ، فالتربية يا عزيزتي أولًا وآخرًا هي أن تكوني لأبناءكِ قدوة، لا فقط مُلقية أوامر وأفعالكِ عكس ما تقولين.

اعلمُ يا عزيزتي أن الحِملَ ثقيل، والزمنُ مَحِشٌ، فالفتنُ تتداعى عليكِ أنتِ وأطفالكِ تداعي الأكلة إلى قصعتها، ذاك أن الشبهات تتقاذف بنا كموجٍ عاتٍ لا يهدأ.

ولكن أمام هذا كله نحن نوقنُ بل نعلم يقينًا أن هذه الدارَ ليست بدارِ قرار، إنما هي طريقٌ نسلكه، فنأخذ منه زادًا لدارٍ هي المُستقر (دار الخلد). وبين هذا وذاك ندرك أيضًا أن لكلِّ شيءٍ ثمنًا، لذلك يستحيل أن نشُمَّ ريحَ الجنة دون أن نكابد نصبَ الدنيا أو وصبَها.

فيا أمّنا ومربية أجيالنا، وقرة عيون مجتمعنا، احتسبي مصاعب ومتاعب تربية الأبناء، واحتسبي كل غصَّةٍ أو ألمٍ يلُمُّ بكِ لوجه الله، كي تُجازي الجزاءَ الأوفى والأقنى عنده سبحانه وتعالى.

وكلما أنهكتكِ الخطوب وتكالبَت عليكِ من كل حدبٍ وصوب، حتى كاد اليأس يتمكن منكِ، اِهمسي لقلبكِ بهذه الآية: ﴿**وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾، وتشبثي بغايتكِ الأسمى، أن تكوني أُمًّا رؤومًا حنونًا، تربي أطفالًا صالحين فاتحين مُحررين، ولا تقولي ذاك صعبٌ أو مستحيل، فالله هو خيرُ مُعينٍ ونصير، فتوكلي عليه وامضي لا تهابي المستحيل.

أيّدكِ الله بنصره وثبّتكِ وأراكِ الحقَّ حقًا ورزقكِ اتباعه، والباطل باطلًا ورزقكِ اجتنابه، وأصلح لكِ أبناءكِ وأعانكِ على تربيتهم تربية صالحة كما يحب جلّ شأنه ويرضى.

فقه الأمومة



لتعلم الأمهات أن الأمومة ليست في تلبية كل حاجة وتنفيذ كل طلب، وإنما الأمومة الحقة في تربية النشء على الدين ومكارم الأخلاق، وقد يكون ذلك بالمنع والحرمان كما يكون بالبذل والعطاء. وسبحان من جعل في الحرمان عطاءً، وفي القسوة رحمةً؛ كفعل البستاني يعرض أغصان أشجاره لألم القطع والتقليم؛ لتنمو أكثر ويشتد عودها.

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاعة، وإن تفطمه ينفطم.

ولننظر إلى تاريخنا وميراث أمتنا، كيف كانت الأمومة ترتع في أرقى معانيها وتتجلى في شبابٍ شمٍّ كالجبال، كأسد الشرى في ميادين البذل ومسيرة البناء.

فهذه صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ، وما أدراك ما صفية! كانت تقسو على ابنها الزبير بن العوام وتغلظ عليه، حتى اعترض عليها بعض الناس ظانين أنها تبغضه، فردت بحزم الأم التي تدرك ما تفعل: «من قال إني أبغضه فقد كذب»، وقالت: «إنما أضربه لكي يلب ويهزم الجيش ويأتي بالسلب».

وكانت إذا رأته يتردد أو يتراجع عن اقتحام المخاطر عاتبته وشددت عليه. وقد جاء مرة رجل يهدده، فكتّفه الزبير رضي الله عنه وألقى به أمام أمّه، فضربت رأس الرجل بمغزل وقالت مفتخرة بابنها:

«كيف وجدت زُبرًا؟ عسلًا وتمرًا أم أسدًا هزبرًا؟»

فأثمرت هذه الأمومة الصارمة في الحق تنشئة حواري رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة، فارس الإسلام الأول الذي سل سيفه في سبيل الله.



وهذه أم أحمد، التي كانت حريصة على أداء ابنها للصلوات، فكانت توقظه لصلاة الفجر وهو ابن سبع سنين، وتأخذه بنفسها إلى المسجد حرصًا على صلاة الجماعة ومجالس الذكر، ولم تقل إنه صغير سأدعه ينام، بل كانت عيناها تبصران أفقًا لا تراه إلا أمهات نجيبات عرفن معنى الأمومة والمسؤولية، فكان أن قدمت للبشرية عالمًا جليلًا وفقيهًا محدثًا، نصر الله به الإسلام يوم فتنة خلق القرآن؛ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

هؤلاء النسوة لم يكن من أهل المال والثراء، بل كانت البساطة ملازمة لهن، وعرفن الفقر والفقد مرات كثيرة، لكن ذلك لم يمنعهن من أداء واجب الأمومة على أكمل وجه، لأنهن عرفن الأمومة على حقيقتها، وأدركن أنها فن تعبيد الأبناء لله تعالى في السر والعلن، وفي المنشط والمكره، وفي الفقر والغنى، وفي الصحة والمرض، وفي كل حال.

ومن رحم هذه الأمومة النبيلة خرج القادة الأفذاذ الذين يبادرون ويسارعون إلى كل خير رجاء القرب من الله تعالى:

﴿والسابقون السابقون * أولئك المقربون﴾.

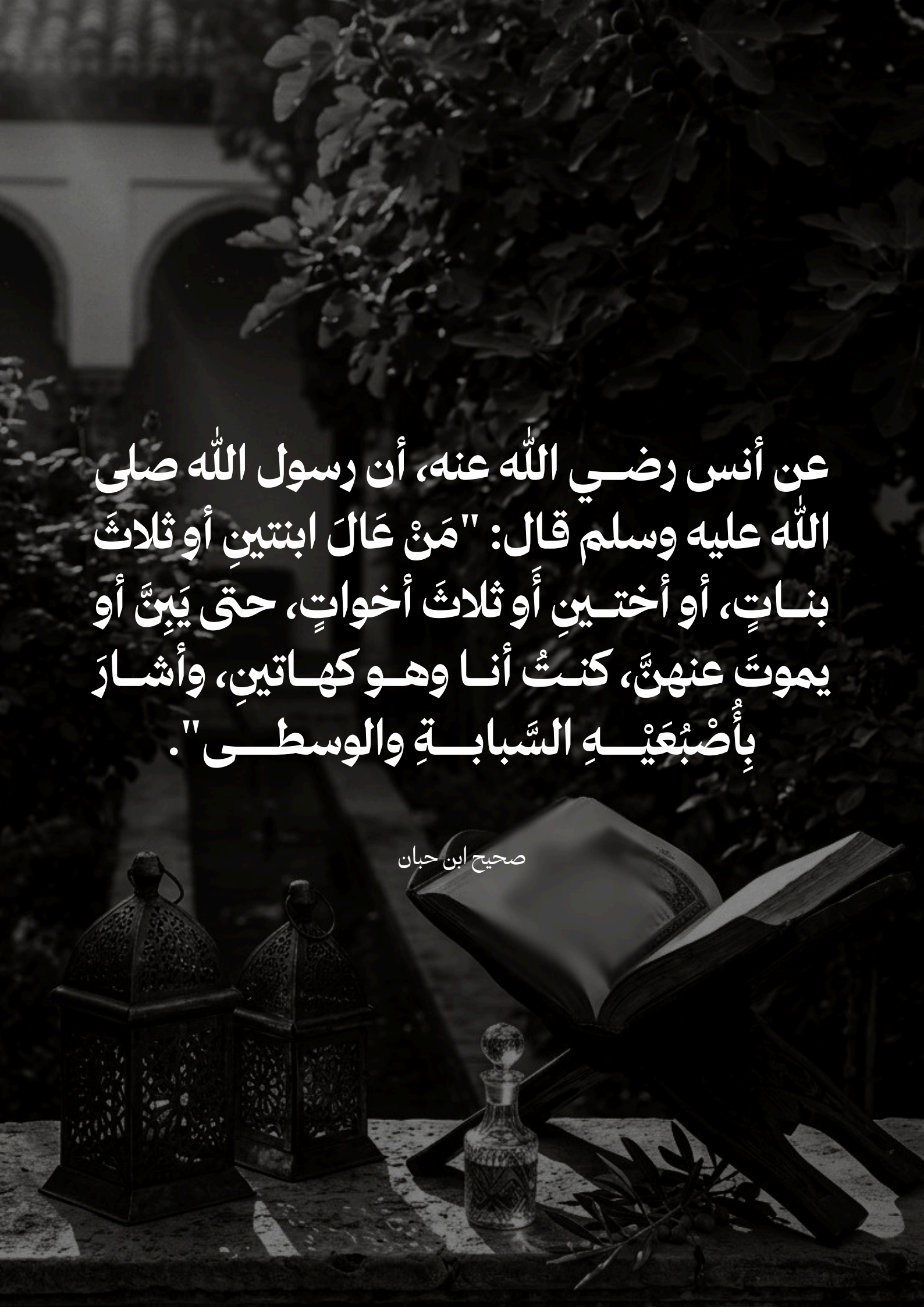
فهل لنا بأمومة كأمومة صفية بنت عبد المطلب، وأسماء ذات النطاقين، ونساء السلف رضي الله عنهن جميعًا؟



الابنة

البر يا أختي هو
اليقظة!

بقلم / دعاء الغيث


عن أنس رضـــي اللّٰه عنه، أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال: "مَنْ عَالَ ابنتينِ أو ثلاثَ بنـاتٍ، أو أختـينِ أَو ثلاثَ أخواتٍ، حتى يَبِنَّ أو يموتَ عنهنَّ، كنـتُ أنـا وهـو كهـاتينِ، وأشـارَ بِأُصْبُعَيْـــهِ السَّبابـــةِ والوسطـــى".
صحيح ابن حبان



تلك اليد التي كانت تلملم الغطاء على جسدي، هي التي هزتها ارتعاشة صغيرة عندما رفعت كوب الماء إلى فمها، لم ينتبه أحدٌ لذلك غيرها، كان يمكن لها أن تمر مرور الغافلين، لكن البر يا أختي هو اليقظة!

متى كانت آخر مرة جلستِ فيها إلى والدكِ تنظرين إليه لا تنتظرين منه؟ متى كانت آخر مرةٍ تذوقتِ فيها كفِّ أمكِ بقبلةٍ لا بطعامها؟ كم مرة هذا الأسبوع شعرتِ بمكنونكِ أن والديكِ يسرَّان برؤيتك ودنوُّكِ منهما؟ هل جعلتِ هذا هدفًا في حياتك؟



إن البر يا حبيبة هو ميدانٌ أطلقت صفَّارةُ السباق فيه مذ تفتح زهرُ وعينا، خاسرٌ كلُّ من تباطأ أو تكاسلَ للحظةٍ؛ فالميدان هذا للجميع، كما تسارعين للجنة، فإنه عليكِ المسارعة في البرِّ، بل إن البر هو الطريق الأخصر للوصول للجنة، فيا فوز من سلكَ المختصرات وظفر بالغاية!

نرى كثيرًا من الشاباتِ والنساء، تعرفُ ما تفضلُ صديقاتهنَّ من أنواع الملابس والأكلات، بل وما تحتاج جاراتهنَّ من أثاث المنزل، فتتودد لها بهديَّة، ويا لجمال ذلك إن كان على خيرٍ وتقوى! لكن المشكلةَ تقع حيث يُهملُ الطرف الأَولى، حيث تكون صاحبتكِ الأُولى ليست محطَّ ذاك الاهتمام، قد لا تعرفين ما تحبُّ من الألوان بعد أن تعدتِ الأربعين أو الخمسين أو أكثر، تغير مزاجها تجاه الأشياء وما زلتِ تحفظين مزاج الطفولة، وعلى العكس من ذلك؛ ربما تظنينها كبرت ولم تعد تأبه للحُليِّ والمجوهرات وأنواع العطور! وهنا يكمنُ البرُّ الدقيق، الذي يخترق شغافَ قلبها حبًّا...



نصيحةٌ عملية عن الجمال:

لأمك... أخبريها أنها ما زالت يافعةً جميلة، التجاعيدُ -إن وُجدت- زادتها وقارًا ولم تخفِ بريقها، ويليقُ بها

ارتداءُ اللون كذا في الصباح، كما يليق المخمل عليها في الاجتماعات العائلية.

لأبيك... أخبريه أنه زينةُ الرجال، وأن بياض لحيته دلالة حكمةٍ أضيفت إلى شبابه، وامتدحيه بالقوةِ، حتى عندما يفتحُ علبةً -بدون مبالغةٍ واضحة، فهذا نقيضُ قصدنا-؛ فالقوة من أكثر ما يهتم به الآباء كما تهتم الأمهاتُ ببقاء الجمال، والاثنان متفقانِ على أهمية الإحساس بعمر الشباب وعدم فقده.

يقولان كثيرًا: "خلِص عمرنا، راح الشباب، تركنا الشباب لكم، هذا لم يعد ملائمًا لسننا"، ليسمعوا ردَّكِ؛ فصوتكِ الحنون المنسابُ على شقوق عمرهم، هو ما يرمم شيخوختهم ويحيي الشباب فيهم! آمني بذلك...

نصيحةٌ عملية في الاجتماعات:
عندما تكونون في زيارةٍ عائلة، لا تتركيهما وحدهما وتنشغلي بالأقاربِ، أعرفُ أنكِ مشتاقةٌ للجميع ربما، وتودين الحديث مع هذا، وأن تري تلك حقيبتك، وإلخ... لكنَّ هذه الزيارة والأقارب سيختفون بعد سويعات، ويبقى والداكِ معكِ في المنزل، وإن كنتِ متزوجةً وعدتِ لبيتك الذي لا يسكن معكِ فيه والداكِ فلا يختلف الأمر، الناس والأقارب يتغيرون، ووحدهم من يبقى للعمر هم والداكِ؛ لذا آثري هذه اللحظات، والتفي حولهم، هم أنجبوا وأحسنوا التربية ليتباهوا بكِ أمام أهلهم، كما تتباهينَ بزينتك الجديدة التي اشتريتها بسعرٍ غالٍ بين أقرانك، فإنهم قد دفعوا عمرهم وصحتهم ثمنًا لشراء التربيةِ الحسنةِ والتعليمِ الحسنِ والصحةِ الحسنة، حقٌّ لهم أن يروكِ أمامهم، وإن كنتِ ما زلتِ مصرَّةً على التباهي بشيءٍ، فواللّه لا أجد لكِ شيئًا تتباهين به أكثر من كون أن لديك والدان يتباهيان بكِ...

ثم امتدحيهما بالطيباتِ أمام أعمامكِ وأخوالك، واذكري حسن طهي أمك أمام عماتك وخالاتك، ولا تخشي فقدان قريب أو قريبةٍ لقولك؛ فالكلّ يعلم أن الأب والأم هما الشخصانِ الأعلى، ومن لا يدركُ القيمة للأعلى التي لا اختلاف فيها، لن تدركي لكِ قيمةً عنده؛ فلا حاجة لكِ به.

وأظهري برَّكِ لهما أمام الجميع؛ فهذا يصنعُ لكِ حظوةً عند والديكِ فيقولان في نفسيهما: "ما زالت تهتمُ بنا علنًا كأنها طفلةٌ صغيرة، بلا انكساف أو خجل!"، اقفزي واسألي: "أبي ماذا تريد؟ أمي هل تحتاجين شيئًا؟" قدِّمي كأس ماء، احملي عنهما شيئًا أمسكاه... وهذا التصرف أيضًا يجدد الاحترامَ بين والديكِ والناس؛ فعندما يرى الناس عمومًا والأقرباء خصوصًا أن لهذين الأبوين من يتنبه لأدق





تفاصيلهما سيُكنُّون لهما مزيدًا من التقدير.

نصيحةٌ قلبية:
عوِّدي قلبك على برهما، وإن لم تكوني تعرفين ذلك؛ فالخير عادة. تعوَّدي أن تذكريهما في قلبك، كلما رأيتِ ما تحبينه اسألي قلبك: "هل هما يحبانه؟ هل يحتاجانه؟" عندما تجوعين تذكريهما: "هل هما جائعان ولا يريدان إتعابي؟" تعودي أن تسألي نفسك... مع الأيام إذا بها نفسكِ تسألك! وإذا به قلبكِ يخفق!



قال نبينا صلى الله عليه وسلم: "**مَن يَتصبَّرْ يُصبِّرْه الله...**". الحديث.

نصيحةٌ عملية للزوجة مع والديها:
وقد علمتِ ياحبيبة أن طاعة الزوج مقدمة على طاعة الوالدين، وماكان ذاك منقصةً لحق الوالدين عليك بعد الزواج حاشى لله، وإنما كما علمتِ تنبيهًا لمكانة الزوج، ولأن الله لطيف بنا إذ خلقنا، علِمَ في سالف علمه أن المرأة بعد زواجها ستشعر بحياةِ أمها وصبرها على الأعباء وتنظر لتعب زوجها وتتذكر عرق والدها، فمن تأخر عنها البر قبل الزواج فلم تبر والديها قبله وغفلت عن تلك المنزلى العلية من الدنيا وهي عازبة فقد ضيعت العظيم، فكيف إذا حملت وأنجبت.. سيتضاعف الشعور بالتقصير الكبير في حق الوالدين، ومعرفة ألمهما وشقائهما وفي ذلك دموعٌ كثيرةٌ لا حروف.. والله المستعان.



فتعالي نحاول استدراك مافات بدلًا من الندم، وإن كنتُ أرجو ألا تكني نادمةً على تفريط، لكنني لا أزكي نفسي من

التقصير معهما بشكلٍ عام:

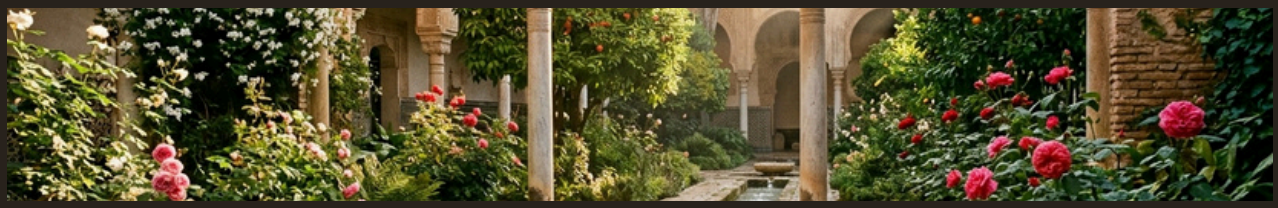
بعد الزواج أفصحي لهما عن اللحظات القاسية التي عشتها فتذكرتِ أرقهما، احكي لأمك أنك دعوتِ لها عندما صاح ابنك الصفير في جوف الليل "آه كيف صبرتِ علينا ياحبيبتي أدعو الله أن يجازيكِ بالجنة"، بدلًا من أن تتشكي من المصاريف والغلاء وتحمّلي والدك عبء الاستماع وإن كان لمجرد الفضفضة لا طلب المساعدة. استبدلي ذاك واحكي له أن الحياة ليست سهلة كما ظننتها، فكيف وفرت لنا كل مانحتاج ثم أغرقتنا دلالًا رغم قسوة الظروف.

عندما تلتقون؛ استذكري طفولتك بين رحابهم، "لولاكما لما استطعت أن أكون أنا ما أنا عليه" "لولا حنية أمي لم أستطع أن أعطي أطفالي حنانًا" "لولا شفقة أبي وصبره الشديد لم أكن لأقدر الصبر على أخطاء ابني".

وأعرف أنه ليس كل الآباء والأمهات رحيمون، وأنهم ليسوا جميعًا عطوفين، وقد يحصل أن يقسوا على أبنائهم لظروفٍ معينة غيرتهم، أقول لكِ يا حبيبة، اغفرلي لهما من كلِّ قلبك ليساعدك الله على تخطي الألم القديم، ولترمي الماضي هلف ظهرك، فأنت ابنة الحاضر، استغلي حتى الذكرى السيئة لصالحك، اشتري بها تذاكرَ لدخول الجنة، وحين تكبسين على جرحكِ بملح الصبرِ وتقولي ملا تبطنين -لا نفاقًا وإنما تربيةً للنفس ومرضاة للرب بمرضاة الوالدين- فإنك تضاعفين أجرك مرتين، مرةً ببرك ومرة بصبرك. تعالي لنقول لهم "لولا قسوةُ أبي في بعض الظروف لم أكن لأتعلم كيف أتعامل مع زوجي" "لولا شدة أمي وحرصها لما نجحتُ في إرضاء حماتي" .. وكلُّ هذا وإن لم يكن دقيقًا في وقوعه في حياتك فإنه والله قريبٌ منه، لأن الله عندما ابتلاكِ ببعض القسوة من أحدهما أو كليهما فإنما كان هذا لحكمة، ستعلمينها غدًا أو لن تعرفيها، لكن اعتقدي بربك خيرًا.

والزمي قدم أمك فثمَّ الجنة واستوصي بها خيرًا، سواءً كانت شابةً أو كبيرةً أو عجوزًا، كما أوصاكِ حبيبنا صلى الله عليم وسلم (**أمك. ثم أمك، ثم أمك**) كأنه بهذا التكرار كان يريكِ شريط حياتها لا حياتك، كوني وفية معه

1- أمك للمرة الأولى: شابةً.
2- أمك للمرة الثانية: كبيرةً.
3- أمك للمرة الثالثة: عجوزًا.





ودلَّكِ على مكانة بر والدك حيث قال بأبي هو وأمي: **(رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد)**

ختامًا

إن مضمار السباق عذا لا ختام له، لكنني أضطر أن أختم مقالتي علَّنا نجتمع في أخرى، طبِّقي ما استحسنته، وابتعدي عمّا لا يحبه والداكِ وإن كان حسنًا، صحيحٌ أن النصائح لم تكن نظرية وإنما مجربة، لكن الآباء مختلفون، لكل منهم رأي خاص في كل شيء، والواحد منهم يختلف في الحين والآخر، البر ياعزيزتي ليس عملًا معينًا.. البر كما اتفقنا.. يقظة!..



وأختم بشيء من شعر أحمد شوقي حيث قال:

اِنظُرِ الكَونَ وَقُل في وَصفِهِ
كُلُّ هَذا أَصلُهُ مِن أَبَوَين
فَإِذا ما قيلَ ما أَصلُهُما
قُل هُما الرَحمَةُ في مَرحَمَتَين
فَقَدا الجَنَّةَ في إيجادِنا
وَنَعِمنا مِنهُما في جَنَّتَين
وَهُما العُذرُ إِذا ما أُغضِبا
وَهُما الصَفحُ لَنا مُستَرضِيَين
لَيتَ شِعري أَيُّ حَيٍّ لَم يَدِن
بِالَّذي دانا بِهِ مُبتَدِأَين
وَقَفَ اللَهُ بِنا حَيثُ هُما
وَأَماتَ الرُسلَ إِلّا الوالِدَين



الأنوثة بين الفطرة والتشويه



في عصرنا الحالي تغيرت المعايير، واختلت الموازين، حتى صرنا نرى الأنوثة على غير ما خُلِقت له، لم يعد يُحتفى بها بوصفها قيمة إنسانية وفطرية، بل جرى اختزالها في صورة استعراض، وتسليع، وحضورٍ صاخب على الشاشات والمنصات، فمَن تتزين وتُظهر ذاتها أمام الجميع، وتعرض جسدها وصوتها، تُمنَح لقب "أنثى جذّابة"، بينما تُوصَف من اختارت الستر والالتزام بأوصافٍ لا تليق، وكأن العفة تهمة، والحياء قيد.

لقد تحول العالم إلى غابةٍ تُلتهم فيها المرأة بالأعين قبل الألسن، وتُقيَّم فيها -لا بإنسانيتها- بل بمدى قدرتها على الإغراء، وغاب عن هذا المشهد أن الله سبحانه هو الذي خلق المرأة، وأنعم عليها بأنوثةٍ تميزها، وجعل في رقتها قوة، وفي حيائها جمالًا، وفي سكينتها حضورًا لا يحتاج إلى ضجيج.

الأنوثة كما أرادها الله ليست زينةً ظاهرة فحسب، ولا "مكياجًا" متقنًا، ولا جواهر باهظة، بل هي قبل ذلك كله حالةٌ داخلية.

كيف أنتِ من الداخل؟

قلبك، أخلاقك، نقاء نيتك، خلوكِ من الحسد والحقد، محبتكِ للخير وللناس، كل ذلك ينعكس على مظهرك الخارجي دون تكلف؛ فالاهتمام الحقيقي بالأنوثة يبدأ من الداخل، من القلب، ثم يمتد أثره إلى السلوك والهيئة.

وحين يستقيم الداخل؛ يأتي الاهتمام الخارجي في موضعه الصحيح.

فالأنوثة ليست في رائحة عطرٍ فواحة تملأ الشارع، ولا في رفع الصوت، ولا في الضحكة الصاخبة، ولا في مشيةٍ متكسرة تلفت



الأنظار، وإنما الأنوثة في الهدوء، في الوقار، في الحياء. وقد خلد القرآن الكريم هذا المعنى حين قال تعالى:

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

فجعل الحياء صفةً بارزة للأنثى، ومشهدًا يُذكر في سياق المدح لا النقص.

ولذلك، لا ينبغي أن تنخدع المرأة بخطاباتٍ تُصور لها أن كمالها في الصخب، أو أن إثبات ذاتها لا يكون إلا بمزاحمة الرجال في الميادين ورفع الصوت بينهم؛ فدور المرأة أعمق وأبقى، أن تصنع الرجال في بيئتها، وتغرس القيم، وتُنشئ الأجيال ليقوموا هم بأدوارهم في مواقعهم.

وفي الوقت ذاته، لا يدعو الإسلام إلى إهمال الجسد أو المظهر، بل على العكس، حثّ على العناية بالنظافة، والصحة، والجمال، والاهتمام بالبشرة والشعر والملبس؛ فالجسد أمانة، والزينة فطرة. غير أن الإسلام، بحكمته، وضع ضوابط تحفظ للمرأة كرامتها وتصون المجتمع من الفتن، فأمر بعدم إظهار الزينة لغير المحارم، لا تضييقًا ولا قمعًا، بل حمايةً ووقاية، في زمنٍ كثرت فيه الفتن، وسهُل فيه الانزلاق.

إذن فالأنوثة ليست مشروع عرضٍ دائم، ولا بطاقة عبور للقبول الاجتماعي، بل جوهرة تُصان، وقيمة تُحفظ، وهوية تُبنى على الفطرة لا على تقليدٍ أعمى، ومن وعَت أنوثتها على هذا الأساس؛ لم تحتج أن تُشبه غيرها، ولا أن تُنافس في مساحات لا تشبهها.

لذلك اهتمي بأنوثتكِ، واعتني بها، واحفظيها من التشويه، ودلليها بما يُرضي الله، لا بما يُرضي أعين الناس؛ فكل أنوثةٍ تُصان، تُثمر سكينة، وكل أنوثةٍ تُبتذل، تُنهك صاحبَتها قبل أن تُنهك غيرها.

الحجاب والجلباب



جاء الإسلام بعد معاناةٍ طويلةٍ عاشتها المرأة، فرفع قدرها، وأثبت حقها، وصان كرامتها. ولم يترك جمالها نهبًا للأعين ولا عرضةً للأذى، بل جعله أمانةً محفوظة. وكان من أعظم ما صانها به أن شرع لها الستر، فجعل لجمالها حارسًا ولأنوثتها حرمةً.

فشُرع الحجاب ليحفظ زينتها ويصون جمالها، فلا تُظهره إلا لمن أذِن الله لهم من محارمها؛ حمايةً لها، ووقايةً لقلبها، وإكرامًا لمكانتها.

بُنَيَّتي، إن الله سبحانه أوصاكِ بنفسك، واعتنى بكِ عنايةً ظاهرةً في كتابه، فقال جل شأنه في سورة الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

وسُميت هذه الآية بآية الحجاب، وكان المؤمنات أحرص الناس على امتثال أمر الله ورسوله ﷺ.

وقد وصفت أم سلمة -رضي الله عنها- حال نساء الأنصار حين نزلت الآية، فقالت:

«لما نزلت: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية».

أي: خرجن مختمرات، قد غطَّين رؤوسهن وأجسادهن بكسوتهن، حتى شُبِّهن بالغراب الذي يقف على الرأس؛ كناية عن شدة التزامهن بالحجاب وسرعة امتثالهن لأمر الله دون تردد أو تسويف.

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى:

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾:

أي: يلبسن الجلابيب التي تكون فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحو ذلك، فيغطين بها وجوههن وصدورهن.

ثم بيَّن الحكمة من هذا التشريع فقال:

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

فدل ذلك على أن ترك الاحتجاب مظنةٌ للأذى، إذ قد تُتَّهم المرأة أو يُساء الظن بها أو يتعرض لها من في قلبه مرض.

أما الحجاب فهو حاجز يحسم أطماع الطامعين، وسياج يحفظ المرأة من أذى المؤذين.

وللحجاب -يا بُنَيَّتي- شروط تحفظ مقصده وتبقيه عبادة لا عادة، وهي:

١. أن يستر جميع بدن المرأة.
٢. ألّا يكون شفافًا يُظهر ما تحته.
٣. ألّا يكون ضيقًا يصف حجم الأعضاء.
٤. ألّا يكون زينة في نفسه.
٥. ألّا يكون معطَّرًا أو مبخَّرًا.



وجاء في صحيح البخاري عن أم عطية نُسيبة بنت كعب -رضي الله عنها- قالت: «**أُمِرْنَا أن نُخْرِجَ الحُيَّضَ يوم العيدين، وذوات الخدور، فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم...**»

فلما قالت امرأة: يا رسول الله، إحدانا ليس لها جلباب؟ قال ﷺ: «**لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِن جِلْبَابِهَا**».

وفي هذا دليل واضح على عظيم شأن الجلباب، وأنه ليس أمرًا ثانويًا، بل لباس مقصود شرعًا لا يُترك حتى في مواطن الاجتماع والطاعة.

يا بُنَيَّتي، الحجاب طاعة، والطاعة طريق المحبة، ومن أحبه الله حفظه. شرع الله لك الحجاب ليكون درعًا لك، وصيانةً لقلبك، وسترًا لكرامتك، لا عبئًا ولا قيدًا كما يصوّره أهل الهوى.

فكوني -يا بُنَيَّتي- كاللؤلؤة الثمينة، لا تُترك مكشوفة، بل تُحفظ في صدفها، فلا يراها إلا من يستحق، وتبقى جميلة نقية محفوظة بعناية ربها.





يوميات زهرة

الجزء الخامس

بقلم / سُهى الندى

الباب الذي لم يُفتح

الأحد، 27/9/2026م

كان الظرف أمامي منذ الصباح، مغلقًا كما وصلني، ومع ذلك كنت أعرف تقريبًا ما فيه.

أحيانًا لا تحتاجين إلى فتح الرسالة لتعرفي جوابها؛ يكفي أن تري اسم المرسل، أو تتذكري طول الانتظار، أو تلتقطي من جملة مقتضبة في أولها ما يكفي ليهبط قلبك قبل أن تقرئي البقية.

وضعت هاتفي على الطاولة، ثم عدت إليه، ثم تركته مرة أخرى.

قلت لنفسي:

لن يتغير شيء إن قرأت الآن أو بعد ساعة.

لكن الحقيقة أنني لم أكن أخشى الكلمات، بل كنت أخشى ذلك الشعور القديم الذي يأتي بعدها؛ شعور أنني طرقت بابًا طويلًا ثم عُدت منه وحدي.

وأخيرًا فتحت الرسالة.

قرأت السطر الأول، ثم الثاني، ولم أحتج إلى الثالث.

لم يتم الأمر.

انتهى كل ما انتظرته في أسطر قليلة مهذبة، ليس فيها ما يؤذي، ومع ذلك آلمتني.

جلست على طرف السرير أحدّق في الشاشة. كان أول ما خطر لي سؤال أعرف أنه لا يليق أن يتحول إلى اعتراض، لكنه خرج من قلبي قبل أن أتمكن من تهذيبه:

لماذا؟

لماذا بعد كل هذا الدعاء؟

ولماذا بعد أن بدا الأمر قريبًا إلى هذه الدرجة؟

ولماذا يفتح الله للإنسان نافذة حتى يظن أن الفرج جاء، ثم تغلق؟

أغلقت الهاتف، وفي تلك اللحظة سمعت أمي تناديني للصلاة.

قمت ببطء.

وفي السجدة لم أجد دعاءً طويلًا، ولا الكلمات التي اعتدت أن أرتبها حين أطلب شيئًا. خرجت مني جملة واحدة: يا رب، إن كان هذا المنع منك، فعلّمني كيف أرضى به.

وبقيت ساجدة.

كنت أعرف أن الرضا لا يعني ألا يؤلمني الأمر، ولا أن يتحول الحزن فجأة إلى ابتسامة، ولا أن أفهم الحكمة في اللحظة ذاتها. ربما يكون الرضا أحيانًا ألّا نهرب من الله حين لا نفهم أقداره، بل نهرب إليه.

بعد الصلاة فتحت المصحف بلا قصد إلى موضع معين، فوقعت عيناي على قوله تعالى:

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: 216].

توقفت طويلًا عند آخرها:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

كم مرة قرأت هذه الآية؟ كثيرة.

ولكن بعض الآيات لا تدخل إلى الموضع الأعمق فيك إلا عندما تحتاج إليها فعلًا.

كنت طوال الأسابيع الماضية أقول في دعائي: يا رب، إن كان خيرًا فيسره لي.

ثم حين لم يُيسَّر، تصرفت في داخلي وكأنني قلت: يا رب، يسره لي على كل حال.

وهنا فهمت شيئًا أخجلني قليلًا: نحن أحيانًا نقول «إن كان خيرًا» بألسنتنا، بينما تكون قلوبنا قد حسمت مسبقًا أنه الخير، ثم لا ننتظر من الله إلا أن يوافق اختيارنا.

لكن ماذا لو كان الدعاء الحقيقي يحتاج إلى شجاعة أكبر؟

أن تقولي:

يا رب، أنا أحب هذا، وأرجوه، وأتمناه، ولكنني لا أعرفه كما تعرفه أنت، ولا أعرف غده، ولا ما سيصنعه بقلبي وديني وحياتي؛ فإن كان خيرًا فقرّبه، وإن لم يكن خيرًا فاصرفه عني، ثم اصرف قلبي عنه.

هذه الأخيرة هي الأصعب:

واصرف قلبي عنه.

الاثنين، 28/9/2026م

استيقظت وأنا أظن أن الحزن سيصبح أخف، لكنه كان في مكانه.

أعددت القهوة، وجلست قرب النافذة، وبدأت أتصفح هاتفي، ثم وقعت في الخطأ الذي نقع فيه حين نتألم: بدأت أبحث عن حياة الآخرين.

هذه حصلت على ما تريد.

وتلك سبقتني.

وهذه أعلنت خبرًا سعيدًا.

وتلك كتبت أنها حققت حلمًا انتظرته سنوات.

وفي دقائق تحولت خيبة واحدة في حياتي إلى محاكمة كاملة لكل حياتي.

كأن النعم التي أعيش فيها اختفت لأن نعمة واحدة تأخرت.

دخلت أمي، وتأملت وجهي دون أن تسأل أولًا، ثم قالت:

— ما زلت حزينة؟

قلت وأنا أحاول أن أبتسم:

— قليلًا.

جلست بجواري وقالت:

— وهل كنت تظنين أن التوكل يعني ألا تحزني؟

نظرت إليها.

قالت:
— احزني، لكن لا تتهمي ربك في حزنك.
كانت جملة قصيرة، لكنها بقيت في رأسي بقية اليوم.
احزني، لكن لا تتهمي ربك في حزنك.
فالحزن يقول: تمنيت ولم يحدث.
أما سوء الظن فيقول: لم يحدث لأنني منسية.
الحزن يقول: لا أفهم.
أما سوء الظن فيقول: لا توجد حكمة.
الحزن دمعة بشرية، أما سوء الظن فجرح في معرفة العبد بربه.
وأنا لا أريد أن يجعلني ما فقدته أفقد شيئًا أعظم منه.

في المساء أخرجت دفتري القديم.
كنت أبحث عن شيء كتبته قبل سنوات، فوجدت صفحة تحمل قائمة دعوات كنت ألح بها على الله في زمن مضى.
قرأت الأولى، فضحكت.
لم تتحقق.
والثانية كذلك.
أما الثالثة، فقد تحققت بطريقة مختلفة تمامًا عما طلبت.
والرابعة تأخرت عامًا كاملًا، ثم جاءت في وقت كنت قد كدت أنساها.
أما الخامسة، فحمدت الله وأنا أقرأها أنها لم تتحقق أصلًا.
بقيت أنظر إلى الصفحة.
يا الله...
كم من شيء بكيت يومًا لأنه لم يقع، ثم لو خُيّرت اليوم بين وقوعه وعدم وقوعه لاخترت ألا يقع!
وكم من باب ظننته مغلقًا في وجهي، فإذا به كان يغلق الطريق إلى شيء لم أكن أراه!
كيف ينسى الإنسان بهذه السرعة؟
كيف نظن في كل مرة أن هذه الحادثة بالذات مختلفة، وأننا هذه المرة نعرف أين الخير؟
وضعت يدي على الصفحة وقلت:
ربما سأقرأ بعد سنوات ما حدث بالأمس بالطريقة نفسها.
وربما لن أعرف الحكمة أبدًا.
ولكن هل يجب أن أعرفها كي أثق بالله؟

الخميس، 1/10/2026م

اتصلت بي آية.

عرفت من صوتي أن شيئًا حدث، ولم أكن أريد أن أحكي، لكن الصديقات الصادقات يملكن قدرة غريبة على الوصول إلى المواضع التي نحاول سترها.

قلت لها القصة.

سكتت قليلًا ثم قالت:

— وهل تريدين مني أن أقول لك إنه سيأتيك شيء أفضل؟

قلت:

— سيكون ذلك لطيفًا.

ضحكت وقالت:

— لكنني لن أقوله.

— لماذا؟

قالت:

— لأننا لا نعرف. ربما يأتيك أفضل مما أردت، وربما لا يأتي الشيء نفسه أصلًا. المشكلة أننا أحيانًا نحاول مواساة بعضنا بوعد لم يعدنا الله به. نقول: تركتِ شيئًا؟ سيأتيك أحسن منه في الدنيا. تأخر زواجك؟ سيأتي الشخص الذي يعوضك. خسرتِ فرصة؟ ستأتي فرصة أكبر. وماذا لو لم يحدث ذلك بالشكل الذي رسمناه؟

سكتُّ.

ثم أكملت:

— الذي نعرفه يقينًا أعظم من ذلك كله: أن الله لا يضيع ما كان له، وأن المؤمن لا يخرج من الصبر خاسرًا، حتى لو لم يرَ التعويض بالصورة التي ينتظرها.

كانت محقة.

كم مرة ربطنا حسن الظن بالله بأن يعطينا النسخة التي نتمناها من النهاية؟

مع أن حسن الظن الحقيقي أوسع من ذلك: أن أثق به سواء فهمت النهاية أم لم أفهمها.

قال الله تعالى:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[التغابن: 11]

تأملت قوله:

﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

لم يقل إن كل ما فقده سيعود.

ولم يقل إن كل سؤال سيُجاب عنه.
ولكنه ذكر هداية القلب.
وربما كانت تلك من أعظم العطايا؛ أن يمر عليك القدر فلا يضيع قلبك معه.

الجمعة، 2/10/2026م
اليوم حدث شيء صغير، لكنه جعلني أفهم لماذا أردت أن أكتب هذه الصفحة.
كنت أرتب مكتبتي، فسقط من بين الكتب ظرف قديم. فتحته، فإذا فيه ورقة كتبت عليها منذ سنوات: «اللهم اختر لي، فإني لا أحسن الاختيار.»
ضحكت وأنا أمسح الغبار عنها.
كم هي سهلة هذه الجملة حين لا يكون أمامنا خيار نحبه!
أما حين نتعلق بشيء، فهنا يظهر معنى الدعاء حقًا.
وضعتها أمام مكتبي.
أريدها حيث أراها كلما بدأت أبني في خيالي حياة كاملة خلف باب لم يفتحه الله بعد.
تعلمت هذا الأسبوع أن الانتظار لا يصبح مؤلمًا فقط لأن الشيء تأخر، بل لأننا نسكن في المستقبل قبل أن يأتي. نبني الغرف، ونختار الألوان، ونتخيل الحوارات، ونوزع الأدوار، ثم إذا لم يقع الأمر شعرنا كأن بيتًا كاملًا قد هُدم، مع أنه لم يكن موجودًا إلا في خيالنا.
وربما لهذا يحتاج القلب أن يتعلم أن يعيش يومه.
أن يسعى، ويدعو، ويأخذ بالأسباب، لكنه لا يجعل سعادته رهينة نتيجة لم تأت بعد.
قال تعالى:

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾
[الحديد: 23]

ليس المطلوب أن يصبح القلب حجرًا، وإنما ألا يصبح أسيرًا.
أغلقت دفتري هذه الليلة وأنا أكثر هدوءًا.
لم يتغير الخبر.
الباب الذي تمنيت فتحه ما زال مغلقًا.
ولم يصلني اتصال مفاجئ يخبرني بأن القرار تبدل، ولم تحدث معجزة تجعل النهاية كما أردت.
لكن شيئًا آخر تغير: لم أعد واقفة أمام الباب نفسه أطرقه طوال الليل.
عدت إلى الطريق.
وهذه أيضًا نعمة.
ربما نضيّع أعمارًا كثيرة ونحن نقف أمام أبواب كتب الله ألا تُفتح، بينما خلفنا طرق واسعة تنتظر أن نمشي فيها.

وليس معنى ذلك أن نتوقف عن الدعاء، ولا أن نتظاهر بأن الأمنيات لا تعني لنا شيئًا؛ بل أن ندعو دون أن نعبد الإجابة، وأن نرجو دون أن نجعل رجاءنا اعتراضًا إذا جاء القدر على غير مرادنا، وأن نبذل السبب ثم نترك لله حق الاختيار.

يا زهرة...

سيأتي عليك في الحياة ما تحبين، وما لا تحبين، وما تفهمين حكمته سريعًا، وما تمضين سنين دون أن تعرفي لماذا وقع.

فلا تجعلي معرفتك بالحكمة شرطًا لطمأنينتك.

يكفيك أن تعرفي مَن دبّرها.

وحين يغلق اللّٰه بابًا كنت متعلقة به، لا تستعجلي الحكم على القصة وهي في منتصفها؛ فقد يكون المنع حماية، وقد يكون التأخير إعدادًا، وقد يكون اللّٰه يصرف عنك ما لا ترينه، وقد يبقى السر سرًا إلى أن تلقينه.

وفي كل الأحوال لا تتركي قلبك عند الباب المغلق.

خُذيه معك إلى اللّٰه، ثم امضي.

فليست النجاة دائمًا أن يُفتح لك الباب الذي أحببتِه؛ أحيانًا تكون النجاة أن يحرر اللّٰه قلبك من الوقوف أمامه.

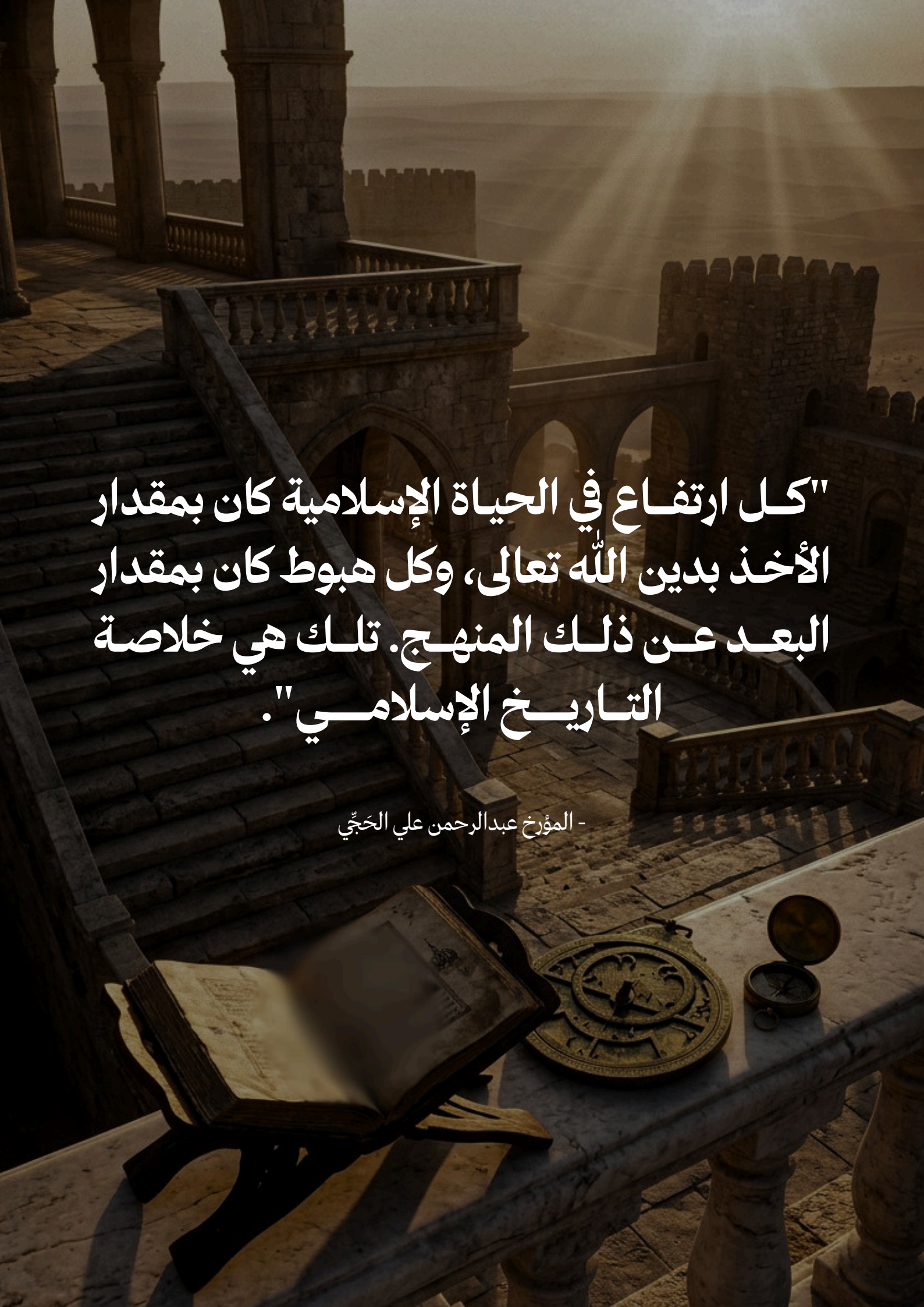




قدوات أمتي

الغُمَيصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ،
المُكنَّاةُ بِأُمِّ سُلَيمٍ

بقلم / تباريح


"كـل ارتفـاع في الحيـاة الإسلامية كان بمقدار
الأخذ بدين الله تعالى، وكل هبوط كان بمقدار
البعـد عـن ذلـك المنهـج. تلـك هي خلاصة
التـاريـــخ الإسلامـــي".
- المؤرخ عبدالرحمن علي الحَجّي

«مَا سَمِعْنَا بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ؛ إِذْ كَانَ مَهْرُهَا الإِسْلاَمُ».

- أَهْلُ المَدِينَةِ.

كانت الغميصاء بنت ملحان -حين أهل الإسلام بنوره على الأرض- نصفًا تخطو نحو الأربعين من عمرها، وكان زوجها مالك بن النَّضر يسبغ عليها من وارف حبِّه، وظليل وداده ما ملأ حياتها نضرةً ورغدًا وكان أهل «يثرب» يغبطون الزَّوج السَّعيد على ما تتحلَّى به عقيلته من رجاحة العقل، وبُعد النَّظر، وحسن التَّبعُّل.

وفي ذات يومٍ من أيَّام الله الخالدة نفذ إلى «يثرب» -مع الدَّاعية المكِّيِّ مصعب بن عمير- أوَّل شعاعٍ من أشعَّة الهداية المحمَّديَّة، فتفتَّح له قلب الغميصاء كما تتفتَّح أزاهير الرِّياض لتباشير الصَّباح؛ فما لبثت أن أعلنت إسلامها يوم كان المسلمون -في المدينة- يعدُّون على الأصابع.

ثمَّ دعت الزَّوجة الوفيَّة زوجها الأثير لينهل معها من هذا المنهل الإلهيِّ العذب الطَّهور، ويحظى بما حظيت به من سعادة الإيمان...

لكنَّ مالك بن النَّضر لم يَشرح للدِّين الجديد صدرًا، ولا طاب به نفسًا، بل إنَّه دعا زوجه بالمقابل إلى الرُّجوع عن الإسلام والعودة إلى دين الآباء والأجداد، وتشبَّثَ كلٌّ من الزَّوجين بموقفه، فالغميصاء تكره أن تعود إلى الكفر بعد الإيمان كما يكره المرء أن يقذف في النَّار، ومالكٌ يتعصَّب لدين الآباء والأجداد في عنادٍ.

وكانت الغميصاء تملك من قوَّة الحجَّة ما تفحم به زوجها، وكان في دعوتها من نور الحقِّ ما يفضح باطله الواهي المتهافت...

وكان لمالكٍ صنمٌ من خشبٍ يعبده من دون الله، فكانت تحاجُّه في أمره قائلةً:

أتعبد جذع شجرةٍ نبت في الأرض التي تطؤها بقدميك، وترمي فيها فضلاتك؟!... أتدعو -من دون الله- خشبةً نجرها لك حبشيٌّ من صنَّاع المدينة؟!

ولمَّا ضاق الزَّوج ذرعًا بحجج زوجته الدَّامغة غادر المدينة ومضى هائمًا على وجهه متَّجهًا نحو بلاد

الشام، ثمَّ إنه لم يلبث هناك قليلًا حتَّى مات على شركه.

وما إن شاع في المدينة خبر ترمُّل الغميصاء، حتَّى تشوق كثيرٌ من الرِّجال إلى الاقتران بها، لولا أنَّهم كانوا يخشون أن تردَّهم خائبين لما بينها وبينهم من الاختلاف في الدِّين.

غير أنَّ زيد بن سهلٍ المكنى بأبي طلحة أطمعه في رضاها به ما كان بينهما من روابط القربى؛ فكلاهما من بني «النَّجَّار».

مضى أبو طلحة إلى بيت الغميصاء وخاطبها بكنيتها قائلًا:

«يا أمَّ سليم، لقد جئتك خاطبًا، فأرجو ألَّا أردَّ خائبًا». فقالت: «والله ما مثلك يردُّ يا أبا طلحة، ولكنَّك رجلٌ كافرٌ وأنا امرأةٌ مسلمةٌ، ولا يحل لي أن أتزوَّجك، فإن تسلم فذاك مهري ولا أريد منك صداقًا غير الإسلام». فقال: «دعيني حتَّى أنظر في أمري». ومضى... ولمَّا كان الغد عاد إليها وقال: «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله». فقالت: «أما وإنَّك قد أسلمت، فقد رضيتك زوجًا»... فجعل النَّاس يقولون: «ما سمعنا بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أمِّ سليم إذ كان مهرها الإسلام».

نَعمَ أبو طلحة بما كانت تتحلَّى به أمُّ سليمٍ من كريم الشَّمائل، ونبيل الخصائل، ثمَّ زاده سعادةً بها أنَّها وضعت له غلامًا غدا قرَّة عينه، وفرحة قلبه.

لكنَّه بينما كان يتأهَّب لسفرٍ من أسفاره اشتكى الطِّفل الصَّغير من علَّةٍ ألمَّت به؛ فجزع عليه جزعًا شديدًا كاد يصرفه عن السَّفر. وفي غيبته القصيرة ذوى الغصن النَّضير، ثمَّ وُري الثَّرى، فقالت أمُّ سليمٍ لأهلها:

لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه حتَّى أخبره أنا.

عاد أبو طلحة من رحلته فتلقَّته أمُّ سليمٍ هاشَّةً باشَّةً فرحةً مستبشرةً؛ فبادرها بالسُّؤال عن ابنه، فقالت: «يا أبا طلحةَ ما كان منذ اشْتَكَى أَسْكَنَ منه الساعةَ وأَرْجُو أن يكونَ قد استراح!»

ثمَّ قربت إليه العشاء، وجعلت تؤنسه وتدخل على قلبه السرور، فلمَّا وجدت أنَّه شبع واستراح قالت له:

«يا أبا طلحةَ أَرَأَيْتَ لو أنَّ قومًا أعارُوا قومًا عاريةً لهم، فسألوهم إياها أكان لهم أن يمنعوهم؟».



قال: «لا».

قالت: «فإنَّ اللّٰه عَزَّ وجَلَّ كان أعارك ابنَك عاريةً، ثم قبضه إليه، فاحْتَسِبْ واصْبِرْ!»...

فتلقى أبو طلحة قضاء اللّٰه بالرِّضا والتَّسليم.

ولما أصبح غدا على رسول اللّٰه ﷺ وحدَّثه بما كان من أم سليمٍ، فدعا له ولها بأن يعوِّضهما اللّٰه خيرًا ممَّا فقداه، وأن يبارك لهما في العوض؛ فاستجاب اللّٰه جل وعز دعاء نبيه ﷺ، وحملت أمُّ سليمٍ، ولما أتمت حملها كانت عائدةً إلى المدينة من سفر هي وزوجها مع رسول اللّٰه ﷺ.

فلمَّا دنوا من «يثرب» جاءها المخاض فتوقَّف أبو طلحة معها ومضى النَّبيِّ الكريم ﷺ يريد دخول المدينة قبل أن يجنَّ عليه الليل، فرفع أبو طلحة طرفه إلى السَّماء وقال:«يا رَبِّ إنك لَتَعْلَمُ أنه يُعْجِبُنِي أن أخرجَ مع رسولِك إذا خرج، وأدخلَ معه إذا دخل، وقد احْتَبَسْتُ بما تَرَى».

فقالت له أمُّ سليمٍ: «يا أبا طلحةَ ما أَجِدُ الذي كنتُ أَجِدُ». فانطَلَقا. حتَّى إذا بلغا المدينة وضعت حملها، فإذا هو غلامٌ، فقالت لابنها أنس:

«يا أَنَسُ! لا يَطْعَمُ شيئًا حتى تَغْدُوا به إلى رسولِ اللّٰه صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم».

فلمَّا أصبح حمله إليه أخوه أنس بن مالكٍ، فلمَّا نظر النَّبيُّ ﷺ إلى الغلام قال:

«**أَوَلَدَتْ بنتُ مِلْحَانَ؟**» فقال: «نعم»... ووضع



الغلام في حجره، فأخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعضَ التمرِ فمَضَغَهُنَّ فمه الشَّريف حتَّى ذابت، ووضعها في فم الصَّبيِّ، فجعل يتلمّظها[1] يَمُصُّ بعضَ حلاوةِ التمرِ وريقِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فكان أولُ مَن فَتَحَ أمعاءَ ذلك الصبيِّ على رِيقِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: «**انظروا إلى حُبِّ الأنصارِ التمرَ**»، قال أنس: قلت: «يا رسولَ الله سَمِّهِ»، قال: فمسح وجهَه وسماه عبدَ الله، فما كان في الأنصارِ شابٌّ أفضلَ منه، قال: فخرج منه رَجِلٌ كثيرٌ، واستُشْهِدَ عبدُ الله بفارِسٍ.

ولقد كان من شأن أمِّ سليمٍ أنها أحبَّت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حبًّا خالط منها اللَّحم والعظم، وسكن في حبَّة القلب.

وقد بلغ من حبِّها له ما حدَّث عنه ابنها أنسٌ، قال:

كان رسول الله ﷺ نائمًا في بيتنا ذات نهارٍ، وكان الحرُّ شديدًا، فأخذ العرق يتصبَّب من جبينه، فجاءت أمِّي بقارورةٍ، وجعلت تُسلت فيها العرق فاستيقظ النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام وقال: «**ما هذا الذي تصنعين يا أمَّ سليمٍ؟!**» قالت: «هذا عرقك أجمعه وأجعله في طيبنا، فيغدو أطيب الطِّيب».[2]

ومن شواهد حبِّها لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهي كثيرةٌ وفيرةٌ، أن ابنها أنسًا كانت له ذؤابةٌ تنوس على جبينه، فرغب إليها زوجها أن تقصَّها له بعد أن طالت فأبت ذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ صلوات الله وسلامه عليه كان كلَّما أقبل عليه أنسٌ مسح رأسه بيده ومسَّ ذؤابته المدلّاة على جبينه.

ولم تقتصر خصائل أمِّ سليم على أنَّها كانت مؤمنةً راسخة الإيمان، عاقلةً وافرة العقل، زوجًا وأمًّا من الطراز



الأول؛ وإنما كانت فوق ذلك كلِّه مجاهدة في سبيل الله. فلكم ملأت رئتيها من غبار المعارك العبق بطيوب الجنَّة! وخضَّبت أناملها من جراح المجاهدين، وهي تمسحها بيديها وتحكم عليها الضِّماد. ولكم سكبت الماء في حلوق العطاش وهم يجودون بنفوسهم في سبيل الله، وحملت لهم الزَّاد، وأصلحت السِّهام.

لقد شهدت «أُحُدًا» هي وزوجها أبو طلحة مع رسول الله ﷺ، ودأبت هي وعائشة رضوان الله عليهما على نقل قرب الماء على ظهريهما وإفراغها في أفواه القوم.

كما شهدت «حنينًا» أيضًا، وقد اتخذت لنفسها يومذاك خنجرًا وتمنطقت به، فلمَّا رآه زوجها أبو طلحة قال: «يا رسول الله، هذه أمُّ سليم معها خنجرٌ». فقال لها النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**ما هذا الخِنْجَرُ؟**». قالت: «اتَّخَذْتُهُ إنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ به بَطْنَهُ»... فجعل رسول الله ﷺ يضحك.

وبعد...

أفتظنُّ أن على ظهر الأرض امرأةً أسعد سعادةً وأزهى خاتمةً من أمِّ سليمٍ بعد أن قال فيها رسول الله ﷺ:

«دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذِه الغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ».

---

[1] أي: يحرك لسانه ليبتلع ويتطعم ما يبقى في الفم من أثر الطعام.

[2] دخول النبي ﷺ إلى بيت أم سليم الغميصاء لمكانتها الخاصة، كما ورد في السُّنة الصحيحة أن النبي ﷺ كان لا يدخل على النساء أبدًا إلا على أزواجه، إلا بيت أم سليم رضي الله عنها. حين سُئل عن ذلك قال: إني أرحمها؛ قُتِل أخوها معي». فهذه خصوصية ويجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لا يجوز لغيره.
واختلف العلماء في مسألة كونها من محارمه ﷺ أم لا، فقِسم قال إنها كانت من محارمه من جهة الرضاعة أو النسب. وآخرون قالوا بأن النبي ﷺ له خصوصيات في سنته تسمح له بالدخول على غير المحارم في حالات خاصة، وأن هذا لا يمكن تعميمه على غيره من الناس مثل قضية تعدد الزوجات، فهذه خصوصية.
النبي ﷺ مُعصوم ومخصوص بفضائل وخصائص لا يُعمَّم منها حكمٌ لغيره بدون دليل شرعي واضح، ولا يجوز لغيره أن يفعل ذلك والله أعلم.


الواقع
السودان
لا بواكي له!
بقلم / أمة لله



"إِنَّكُم كُنتُم أَذَلَّ النَّاسِ، وَأَقَلَّ النَّاسِ، وَأَحقَرَ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمُ اللّٰه بِالإِسلَامِ، فَمَهمَا تَطْلُبُوا العِزَّ بِغَيْرِهِ؛ يُذِلَّكُمُ اللّٰه".

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه



من عمق الحضارة الإسلامية إلى مأساة الحرب والنزوح

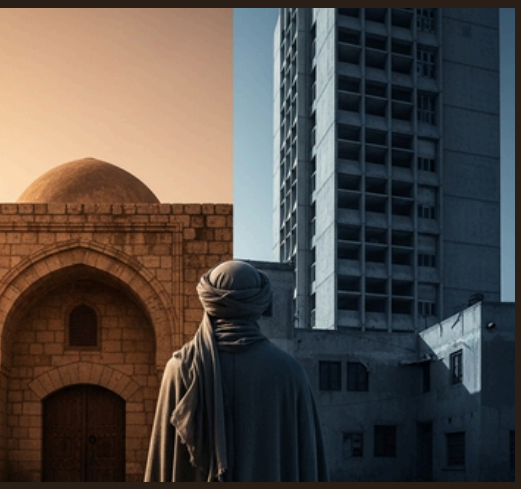
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في حديثه عن وحدة المسلمين وتناصرهم:

«والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة»، وقال: «وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يُغلب، والجند الذي لا يُخذل». مجموع الفتاوى، الجزء الثامن والعشرون.

ليس السودان أرضًا طارئةً على تاريخ الأمة الإسلامية، ولا بلدًا يمكن اختزال مأساته في أخبار القتال والنزوح التي تتصدر نشرات الأخبار حينًا ثم تتوارى حينًا آخر. إنه بلدٌ ضارب الجذور في التاريخ، تعاقبت على أرضه الحضارات والممالك، وعرف الإسلام منذ قرونه الأولى، ثم أصبح عبر الزمن موطنًا لمجتمعات إسلامية عريقة، ومركزًا للعلم والتجارة وطرق الحج.

غير أن هذا البلد، الذي احتضن تاريخًا طويلًا من التفاعل بين الشعوب والثقافات، يعيش اليوم واحدةً من أشد محنه؛ حربًا دمّرت المدن والقرى، وشردت الملايين، ودفعت قطاعات واسعة من سكانه إلى الجوع والمرض والخوف، حتى غدت مأساة السودان من أكبر الكوارث الإنسانية في العالم المعاصر.





السودان: الاسم والموقع والجذور التاريخية

تقع جمهورية السودان في شمال شرقي إفريقيا، وتبلغ مساحتها نحو 1,886,068 كيلومترًا مربعًا، بعد انفصال جنوب السودان سنة 2011م، وهي بذلك ثالث أكبر دولة إفريقية مساحةً.

تحدّها مصر شمالًا، وليبيا شمالًا غربيًّا، وتشاد غربًا، وجمهورية إفريقيا الوسطى جنوبًا غربيًّا، وجنوب السودان جنوبًا، وإثيوبيا جنوبًا شرقيًّا، وإريتريا شرقًا، وتمتد سواحلها على البحر الأحمر لمسافة تقارب 850 كيلومترًا.

ويتميّز السودان بتنوعه الجغرافي؛ إذ تمتد الصحاري في شماله، وتتدرج جنوبًا إلى مناطق شبه صحراوية وسهول وسافانا ومناطق زراعية، بينما يجري النيل وروافده في أنحاء واسعة من البلاد، وقد ارتبطت به حياة السكان ونشوء المراكز العمرانية منذ أقدم العصور.

أما اسم «السودان»، فأصله من التعبير العربي التاريخي «بلاد السودان»، الذي استخدمه الجغرافيون المسلمون للدلالة على نطاق واسع من البلاد الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى، ولم يكن مقصورًا على حدود الدولة المعاصرة.



وقد عُرفت أجزاء من وادي النيل السوداني قديمًا ببلاد النوبة، وازدهرت في المنطقة حضارات عريقة، من أبرزها مملكتا كوش ومروي، قبل أن تظهر في العصور اللاحقة الممالك النوبية النصرانية.

وهكذا فإن تاريخ السودان أقدم بكثير من حدوده السياسية الحديثة، وهو تاريخ تشابكت فيه الحضارات الإفريقية مع مصر والبحر الأحمر والجزيرة العربية.

دخول الإسلام إلى السودان: من الاتصال المبكر إلى الانتشار التدريجي

بدأ اتصال المناطق الواقعة ضمن السودان الحالي بالعالم



الإسلامي في وقت مبكر، عقب دخول المسلمين إلى مصر في القرن السابع الميلادي، ثم تطورت تلك الصلات عبر التجارة والهجرات والعلاقات السياسية والتواصل عبر البحر الأحمر.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، قاد عبد الله بن سعد بن أبي السرح حملةً إلى بلاد النوبة، نحو سنة 31هـ/652م، وواجه مقاومة من مملكة المقرة النصرانية، التي كانت عاصمتها دنقلا القديمة.

ولم تنتهِ تلك الحملة إلى إخضاع النوبة وضمّها إلى الدولة الإسلامية، بل أعقبتها اتفاقية عُرفت تاريخيًّا باسم «البَقْط»، نظّمت العلاقات بين المسلمين وحكام المقرة، وتضمنت ترتيبات تتعلق بالأمن والتبادل والالتزامات المتبادلة.

وكان لهذه الاتفاقية دور في استمرار الاتصال بين وادي النيل الإسلامي والممالك النوبية، دون أن يعني ذلك دخول جميع سكان النوبة في الإسلام آنذاك؛ فقد استمرت الممالك المسيحية قرونًا بعد الاتفاق.



ومن المهم هنا التفريق بين السودان والحبشة؛ فالهجرة التي لجأ فيها الصحابة إلى حماية النجاشي كانت إلى مملكة أكسوم في الحبشة التاريخية، لا إلى أراضي جمهورية السودان الحالية، ولا يصح جعلها بدايةً مباشرة لانتشار الإسلام في السودان.

وقد اتسع حضور الإسلام في السودان تدريجيًّا بفعل الهجرات والتجارة والمصاهرة ونشاط العلماء والدعاة والطرق الصوفية، إلى جانب التحولات السياسية التي شهدتها الممالك النوبية خلال القرون التالية.

ومع تراجع مملكة المقرة في العصور الوسطى، ثم ظهور سلطنة الفونج في سنار مطلع القرن السادس عشر الميلادي، تعزّز حضور الإسلام في أواسط السودان، وازدهرت مراكز للتعليم الديني والقضاء والفقه.



كما شهدت دارفور قيام سلطنة إسلامية كان لها دور في الحياة السياسية والعلمية والتجارية في غربي البلاد.

ولم يكن هذا التحول حدثًا واحدًا أو فتحًا عسكريًّا سريعًا، بل عملية تاريخية طويلة، أسهمت فيها عوامل متعددة، حتى صار الإسلام الدين الغالب بين سكان السودان الحالي، مع استمرار تنوعه الإثني والثقافي واللغوي.

السودان وطرق الحج الإفريقية

كان لموقع السودان بين أواسط إفريقيا والبحر الأحمر أثرٌ مهم في حركة الحجاج والتجار والعلماء.

فقد سلك حجاج من مناطق غرب إفريقيا ووسطها طرقًا برية طويلة تمر بدارفور وسنار ووادي النيل، ثم تتجه نحو موانئ البحر الأحمر، ومنها يعبرون إلى الحجاز.

وبرز ميناء سواكن، ولا سيما في العصور المملوكية والعثمانية، بوصفه أحد الموانئ الرئيسية للتجارة والحج، ومحطةً تصل المجتمعات الإفريقية بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

وكانت رحلات الحج تلك أكثر من مجرد انتقال لأداء المناسك؛ فقد رافقها تبادل للمعارف والعلاقات الاجتماعية والتجارية، وأسهمت في تعزيز الصلات بين المجتمعات المسلمة في إفريقيا والمشرق الإسلامي.

وهكذا لم يكن السودان متلقيًا للتأثيرات الحضارية وحده، بل كان أيضًا معبرًا مهمًّا في شبكة التواصل الواسعة التي ربطت أجزاءً من العالم الإسلامي بعضها ببعض.

السودان بين الدولة المهدية والاحتلال البريطاني

شهد السودان خلال القرن التاسع عشر تحولات كبرى؛ فقد دخلت قوات محمد علي باشا أجزاء واسعة منه سنة 1821م، لتبدأ مرحلة الحكم التركي المصري، التي رافقتها صراعات سياسية واقتصادية واجتماعية.

وفي سنة 1881م، ظهرت الحركة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي، وتوسعت مواجهاتها مع الحكم القائم حتى سيطرت قواتها على الخرطوم سنة 1885م، وأقامت دولةً استمرت بعد وفاة مؤسسها.



لكن بريطانيا، التي كانت قد احتلت مصر سنة 1882م، دفعت لاحقًا نحو استعادة السيطرة على السودان عبر حملة عسكرية بقيادة هربرت كتشنر، انتهت إلى هزيمة القوات المهدية في معركة كرري، قرب أم درمان، في 2 سبتمبر 1898م.

وكانت المعركة من أشد المواجهات تفاوتًا في التسليح؛ إذ امتلكت القوات البريطانية والمصرية مدفعيةً وأسلحة رشاشة حديثة، واجهت بها قوات الدولة المهدية.

وتشير التقديرات التاريخية إلى مقتل أكثر من عشرة آلاف من مقاتلي المهدية، وإصابة أعداد كبيرة أخرى، مقابل خسائر أقل بكثير في صفوف القوات البريطانية والمصرية.

ولم تتوقف المأساة عند ساحة القتال؛ فقد أثارت معاملة الجرحى المهدويين بعد المعركة انتقاداتٍ معاصرة، وتناولت الصحافة البريطانية والبرلمان البريطاني اتهاماتٍ بقتل بعض الجرحى وترك آخرين دون إسعاف.

وفي سنة 1899م أُعلن قيام الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، الذي استمر حتى استقلال السودان سنة 1956م، وإن كانت السلطة الفعلية في معظمه بيد الإدارة البريطانية.

لقد كانت كرري لحظةً فاصلة في التاريخ السوداني، لا لأنها أنهت مرحلة سياسية فحسب، بل لأنها كشفت كذلك حجم التفوق العسكري الذي استخدمته القوى الاستعمارية لإخضاع البلاد.

الاحتلال البريطاني وسياسات الفصل بين الشمال والجنوب

لم يقتصر تأثير حكم الاحتلال على السيطرة السياسية والعسكرية، بل امتد إلى الإدارة والتعليم وتشكيل العلاقات بين أقاليم السودان المختلفة.

وقد اتبعت الإدارة البريطانية، خصوصًا خلال النصف الأول من القرن العشرين، سياساتٍ أسهمت في الفصل المؤسسي والثقافي



بين الشمال والجنوب؛ فكان الشمال، ذي الغالبية المسلمة والناطقة بالعربية، يخضع لنظام تعليمي وإداري يختلف عن النظام الذي تطور في الجنوب المتعدد الأديان واللغات.

وأُتيح للبعثات التبشيرية النصرانية دور واسع في التعليم بجنوب السودان، بينما كان حضورها التعليمي في الشمال أكثر محدودية، إلى جانب المدارس الحكومية والأهلية وغيرها.

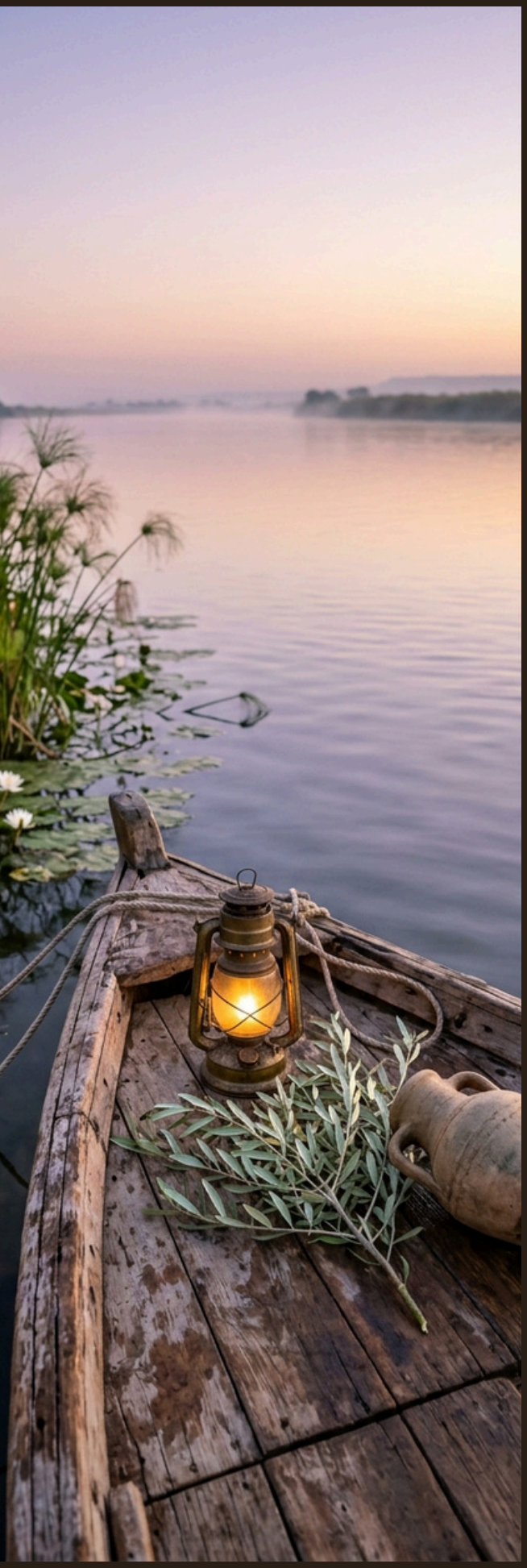
ولم تكن هذه السياسة مجرد نشاطٍ ديني، بل تداخلت فيها أهداف إدارة الاحتلال ومخاوفها السياسية، ومواقفها من انتشار اللغة العربية والإسلام، ورغبتها في إدارة الأقاليم بطرائق مختلفة.

وقد أسهمت هذه السياسات في تعميق التباعد بين أجزاء البلاد، وأثّرت في تكوين النخب التعليمية والإدارية، لكنها لم تكن السبب الوحيد في النزاعات اللاحقة؛ إذ تداخلت معها اختلالات التنمية والتمثيل السياسي، والصراع على السلطة، والمظالم الاجتماعية والثقافية.

وكانت المدارس التنصيرية في الجنوب من القضايا التي أثارت نزاعات سياسية ودينية متزايدة، خصوصًا مع اقتراب الاستقلال وما تلاه.

ومن الضروري التمييز بين المراحل التاريخية: فقد جرى تأميم المدارس التبشيرية سنة 1957م، بعد استقلال السودان، ثم اتخذت حكومة إبراهيم عبود العسكرية، التي تولت الحكم سنة 1958م، إجراءاتٍ أشد تجاه البعثات التنصيرية، انتهت بطرد أعداد كبيرة من المبشرين الأجانب خلال أوائل الستينيات، وصولًا إلى قرارات الطرد الواسعة سنة 1964م.

وبذلك فإن تاريخ العلاقة بين التنصير والاحتلال والدولة السودانية اللاحقة أكثر تعقيدًا من اختزاله في صراع ديني واحد؛ فقد تداخلت فيه سياسات الاحتلال، ومنافسات دينية، وقرارات حكومية، ومطالب سكان الجنوب بحقوقهم السياسية والثقافية.



الاستقلال وأزمة الجنوب وانفصاله

سبقت الاستقلالَ توتراتٌ حادة في جنوب السودان، كان من أبرز مظاهرها تمرد توريت في أغسطس 1955م، قبل أشهر من إعلان استقلال البلاد في 1 يناير 1956م.

وقد ارتبطت تلك الاضطرابات بمخاوف قطاعات من الجنوبيين بشأن مستقبلهم السياسي، وتمثيلهم في مؤسسات الدولة، والعلاقة بين أقاليم السودان المختلفة.

وتحوّلت هذه التوترات، مع مرور الزمن، إلى صراع طويل؛ فشهد السودان حربًا أهلية أولى انتهت باتفاق أديس أبابا سنة 1972م، ثم اندلعت حرب أهلية ثانية سنة 1983م، استمرت أكثر من عقدين.

وفي عام 2005م، وقّعت الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان اتفاقية السلام الشامل، التي نصّت على ترتيبات سياسية وانتقالية، وعلى إجراء استفتاء لتقرير مصير الجنوب.

وأُجري الاستفتاء في يناير 2011م، وصوّت نحو 98.83% من المشاركين لصالح الانفصال، ليُعلن قيام جمهورية جنوب السودان رسميًّا في 9 يوليو 2011م.

وكان الانفصال تحولًا تاريخيًّا كبيرًا، أعاد رسم حدود السودان، لكنه لم يُنهِ الأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية التي ظلت تؤثر في البلاد.

السودان المعاصر: من تعثر الانتقال السياسي إلى الحرب

عقب الاستقلال، شهد السودان انقلابات عسكرية وحروبًا أهلية واضطرابات سياسية متكررة، إلى جانب فترات من الحكم المدني ومحاولات الانتقال السياسي.



وفي دارفور، اندلع نزاع مسلح واسع سنة 2003م، رافقته انتهاكات جسيمة ضد المدنيين، ونزوح جماعي، واتهامات دولية بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

ثم شهد السودان احتجاجات شعبية واسعة انتهت بإطاحة الرئيس عمر البشير في أبريل 2019م، لتبدأ مرحلة انتقالية شديدة التعقيد، تعثرت بعد انقلاب أكتوبر 2021م.

وفي خضمّ المرحلة الانتقالية، شهد السودان تحولًا لافتًا في سياسته الخارجية؛ ففي 23 أكتوبر 2020م، أعلنت السلطات الانتقالية السودانية، برئاسة عبد الفتاح البرهان وعبد الله حمدوك، موافقتها على تطبيع العلاقات مع إسرائيل، بوساطة إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، ضمن مسار «اتفاقيات أبراهام».

وجاء الإعلان في سياق مساعٍ لإخراج السودان من العزلة الاقتصادية والدبلوماسية، وتزامن مع إجراءات أمريكية لرفع اسمه من قائمة الدول الراعية للإرهاب، ووعود بتخفيف أعباء ديونه وتوسيع التعاون الاقتصادي. وقد أثارت الخطوة خلافات داخل الأوساط السياسية والشعبية السودانية بشأن مشروعيتها وأولويات المرحلة الانتقالية.

وفي 6 يناير 2021م، وقّع وزير العدل السوداني نصر الدين عبد الباري على «إعلان اتفاقيات أبراهام» في الخرطوم، بحضور وزير الخزانة الأمريكي ستيفن منوتشين، دون أن يكتمل توقيع اتفاق ثنائي نهائي مع إسرائيل.

وفي 2 فبراير 2023م، استقبل البرهان وزير الخارجية الإسرائيلي إيلي كوهين في الخرطوم، حيث بحث الجانبان استكمال مسار التطبيع، وأعلن الجانب الإسرائيلي التوصل إلى صيغة لاتفاق يُوقّع بعد تشكيل حكومة مدنية سودانية.

غير أن اندلاع الحرب في أبريل 2023م عطّل هذه المساعي، وبقي



مسار التطبيع غير مكتمل، دون توقيع اتفاق ثنائي نهائي أو تبادل للسفارات حتى أكتوبر 2026م.

وفي 15 أبريل 2023م، انفجر القتال بين القوات المسلحة السودانية بقيادة عبد الفتاح البرهان، وقوات الدعم السريع بقيادة محمد حمدان دقلو، المعروف بحميدتي، بعد تصاعد الخلاف بشأن إعادة تنظيم السلطة ودمج قوات الدعم السريع في الجيش وترتيبات الانتقال السياسي.

وسرعان ما تجاوزت الحرب حدود المواجهة بين قوتين عسكريتين، فامتدت إلى مدن وأقاليم واسعة، ودخلت فيها تشكيلات مسلحة أخرى، وتفاقمت معها الانقسامات السياسية والاجتماعية.

ودفعت البلاد ثمنًا إنسانيًّا فادحًا؛ فدُمّرت أحياء سكنية ومنشآت عامة ومستشفيات ومدارس، وتعطلت مصادر الرزق، وتعرض المدنيون للقتل والنهب والتهجير والعنف الجنسي، وسط اتهامات موثقة لطرفي الحرب بارتكاب انتهاكات خطيرة.

غير أن بعض أشد الجرائم جماعيةً ووضوحًا في التوثيق وقعت خلال هجمات قوات الدعم السريع على المدنيين في دارفور والجزيرة وسنار ومناطق أخرى.

مجازر لا يجوز أن تُنسى

ود النورة: يونيو 2024م

في الخامس من يونيو 2024م، تعرضت قرية ود النورة بولاية الجزيرة لهجوم شنّته قوات الدعم السريع، وأسفر، وفق تقارير محلية ودولية، عن مقتل أعداد كبيرة من المدنيين.

وقد أشارت تقارير اعتمدتها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية آنذاك إلى سقوط ما لا يقل عن 150 قتيلًا، فضلًا عن مئات المصابين والنازحين.



وكان بين الضحايا أطفال، فيما أثار الهجوم إدانات دولية ودعوات إلى التحقيق وحماية السكان المدنيين.

جلقني: أغسطس 2024م

في قرية جلقني، المعروفة أيضًا باسم دماتورو، بجنوب ولاية سنار، أفادت شهادات وتقارير محلية في أغسطس 2024م بأن هجومًا لقوات الدعم السريع أسفر عن مقتل أكثر من مئة شخص وإصابة آخرين.

ونقل راديو دبنقا عن مصادر محلية حصيلة بلغت 108 قتلى، في واقعة جسدت اتساع نطاق الاعتداءات على المجتمعات الريفية، وخطر تحول القرى الآمنة إلى ساحات قتل ونزوح.

الفاشر: أكتوبر 2025م

أما مدينة الفاشر، عاصمة ولاية شمال دارفور، فقد شهدت واحدةً من أفدح الكوارث في تاريخ الحرب، بعد حصار طويل انتهى بسيطرة قوات الدعم السريع عليها في 26 أكتوبر 2025م.

ووثّق مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، في تقرير صدر في فبراير 2026م، مقتل أكثر من ستة آلاف شخص خلال الأيام الثلاثة الأولى من الهجوم النهائي، بينهم ما لا يقل عن 4,400 شخص داخل المدينة، وأكثر من 1,600 على طرق الفرار.

وأكد المكتب أن الحصيلة الفعلية يُرجّح أن تكون أعلى من الأعداد التي أمكن توثيقها.

كما أعلنت منظمة الصحة العالمية، في أكتوبر 2025م، تلقي تقارير عن مقتل أكثر من 460 مريضًا ومرافقًا لهم داخل المستشفى السعودي للولادة، في واحدة من أخطر الوقائع التي استهدفت المرافق الصحية والمرضى خلال الحرب.



وتحدث ناجون ومنظمات حقوقية عن إعدامات ميدانية، وعنف على أساس الانتماء الإثني، واعتداءات على المدنيين أثناء محاولات الفرار.

وقد خلصت تقارير أممية إلى أن الانتهاكات التي رافقت السيطرة على الفاشر تشكل جرائم حرب، وقد ترقى بعض الأفعال إلى جرائم ضد الإنسانية؛ كما أشارت بعثة تقصي الحقائق الدولية إلى مؤشرات خطيرة على ارتكاب أعمال تحمل سمات الإبادة الجماعية.

ولم تكن هذه الوقائع حوادث منفصلة، بل جزءًا من نمط أوسع من الاعتداءات التي جعلت المدنيين يدفعون الثمن الأكبر لهذه الحرب.

السودان اليوم: ملايين النازحين وخطر المجاعة

حتى أكتوبر 2026م، جمادى الأولى 1448هـ، لا تزال الأزمة الإنسانية في السودان تتفاقم، رغم عودة بعض النازحين إلى مناطق شهدت تراجعًا نسبيًّا في القتال.

وبحسب خطة الاستجابة الإنسانية للأمم المتحدة لعام 2026م، يحتاج نحو 33.7 مليون شخص إلى مساعدات إنسانية، بينهم ملايين الأطفال.

وأظهرت بيانات المنظمة الدولية للهجرة وجود نحو 8.6 ملايين نازح داخل السودان في أغسطس 2026م، بينما تشير تقديرات أممية إلى فرار نحو 4.6 ملايين شخص إلى خارج البلاد منذ اندلاع الحرب، مع استمرار تغير هذه الأرقام بفعل النزوح والعودة وتجدّد المعارك.

وتفاقمت الأزمة الغذائية مع انهيار الزراعة وتعطّل الأسواق وصعوبة إيصال الإغاثة، ثم جاءت موجات الجفاف خلال عام 2026م لتزيد الأوضاع سوءًا.



وفي 12 أكتوبر 2026م، حذّر التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي من تصاعد خطر المجاعة في أجزاء من دارفور وكردفان، نتيجة اجتماع الحرب والنزوح والجفاف ونقص التمويل الإنساني.

ولم تعد المأساة تقتصر على من فقدوا بيوتهم في القتال؛ فهناك أطفال يواجهون سوء التغذية، ومرضى تعذّر وصولهم إلى العلاج، وعائلات فقدت مصادر رزقها، ونازحون يقيمون في ظروف قاسية، يخشون أن تصل إليهم الحرب مرة أخرى.

كما تعاني المنظمات الإغاثية نقصًا في التمويل وصعوبات في الوصول إلى المحتاجين، فيما تتعرض المنشآت الصحية والعاملون فيها لاعتداءات متكررة.

والأشد إيلامًا أن هذه الأزمة مستمرة منذ أكثر من ثلاث سنوات، دون أن تنجح الجهود السياسية والدبلوماسية في فرض تسوية تنهي القتال وتحمي المدنيين.

كلمة أخيرة: لا تتركوا السودان وحيدًا

ليست مأساة السودان خبرًا عابرًا، ولا مجرد أرقام تُحصى في نشرات الأخبار. وراء كل رقم أسرةٌ فقدت عائلها، أو أمٌّ تبحث عن أطفالها، أو طفلٌ حُرم الأمان والتعليم، أو مريضٌ انقطع عنه العلاج، أو نازحٌ لا يعلم متى يعود إلى بيته.

وإن من الوفاء لأهل السودان ألا تُنسى معاناتهم كلما انصرفت أنظار العالم إلى أزمة أخرى، وألّا يُترك المدنيون رهائن لصراعٍ تتنازع أطرافه السلطة والسلاح، بينما يدفع الأبرياء الثمن.

إن السودان اليوم بحاجةٍ إلى وقفٍ فعلي للقتال، وحماية المدنيين، ومحاسبة المسؤولين عن الانتهاكات، وتأمين الممرات الإنسانية، وتوفير الغذاء والدواء والمأوى، ودعم المبادرات المحلية التي تكافح لإنقاذ الأرواح رغم المخاطر الهائلة.

كما يحتاج إلى موقفٍ إنساني صادق يُعيد قضيته إلى دائرة



الاهتمام، ويجعل إنقاذ الأرواح مقدّمًا على المصالح السياسية والتنافس العسكري.

وللمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها نصيبٌ من واجب النصرة والإغاثة والمواساة، كلٌّ بحسب استطاعته، دون أن ينحصر ذلك في العاطفة العابرة أو الدعاء المجرد مع القدرة على تقديم العون.

فلا تنسوا إخوانكم وأخواتكم في السودان من صالح الدعاء، وبذل العون عبر الجهات الموثوقة، ونشر أخبار معاناتهم بصدقٍ وأمانة؛ فإن وراء هذه المأساة أرواحًا تستحق الحماية، وحقوقًا لا يجوز أن تضيع، وبلدًا يستحق أن ينعم أهله بالأمن بعد سنوات طويلة من الحروب.

اللهم فرّج عن السودان وأهله، واحقن دماءهم، وارحم قتلاهم، واشفِ جرحاهم، وآوِ مشرّديهم، واحفظ نساءهم وأطفالهم، وردّ النازحين إلى ديارهم آمنين.

اللهم اكشف عنهم الجوع والخوف، واجمع كلمتهم على الحق والعدل، واكتب لهم أمنًا وسلامًا ورحمةً من عندك، يا أرحم الراحمين.

العلاقات المحرّمة: بين الغفلة والضياع



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا الذي وصف حياؤه باجتياز حياء العذراء في خدرها، كما وصفة أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وأرضاه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، ورضي الله عن الصحابة وأمهات المؤمنين اللائي أرشد الله عزّ وجل إلى أدبٍ في التعامل معهن:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

وقال تبارك وتعالى:

﴿ يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

[الأحزاب - ٣٢].

في زمن الانفتاح وسهولة التواصل، أصبحت العلاقات بين الجنسين أكثر قربًا، وأحيانًا بلا ضوابط؛ مما أدى إلى تفشي العلاقات المحرّمة التي نهى الله ورسوله عنها، وبيّن خطورتها في الدنيا والآخرة.

وفي سير أعلام النبلاء هذا عطاء يقول: "لو ائتمنت على بيت مال لكنتُ أمينًا، ولا آمن نفسي على أمة شوهاء".

يأمن ماذا؟

بيت مال المسلمين بأمواله الكثيرة، ولا يأمن نفسه على امرأة حتى وإن كانت دميمة قبيحة.

من الذي يقول هذا الكلام؟



عطاء ابن رباح العابد الزاهد وأحد التابعين، فكيف بحالنا نحن في زماننا والفتن تحيط بنا من كل جانب؟

فما هي العلاقات المحرّمة...؟

العلاقة المحرمة هي كل علاقة عاطفية أو جسدية تقوم بين رجل وامرأة أجنبيين (غير متزوجين) خارج إطار الزواج الشرعي، وتشمل:

- العلاقات العاطفية الخفية.
- المحادثات الخاصة التي تتجاوز حدود الأدب والحياء، بل المحادثات بين الجنسين بشكل عام.
- التعلق القلبي والوجداني المُفضي إلى الفتنة.
- الخلوة، أو اللقاءات الخاصة.
- العلاقات الجسدية (الزنا وما دونه).

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾.

• لماذا حُرّمت؟

لأنها تؤدي إلى:

- خيانة الله تبارك وتعالى، قبل خيانة النفس والناس (كخيانة الأهل، أو خيانة الزوج والعياذ بالله).
- ضياع العفّة، وتشويه مفهوم الطهر.
- تفكك الأسر وضياع الثقة.
- الأمراض النفسية والجسدية والتعلقات المؤلمة.
- غضب الله وعقابه، كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
[الإسراء - ٣٢]

قال السعدي رحمه الله تعالى:

"والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرَّد فعله؛ لأنَّ ذلك



يشمل النهي عن جميع مقدّماته ودواعيه؛ فإنَّ من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، خصوصاً هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داعٍ إليه...".

لم يقل سبحانه وتعالى: "ولا تزنوا"، بل قال: "ولا تَقْرَبُوا". فالمحرمات تبدأ بخطوة، بنظرة، بكلمة، برسالة... ثم تنتهي بذنب يثقل القلب ويطفئ النور.

مداخل الشيطان

أغلب العلاقات تبدأ بـ"مجرد صداقة" (ولا توجد صادقة بين أجنبي وأجنبية) أو "نصيحة" من باب الدين وتعاليمه أو "سؤال بسيط" كالفتوى، ولأنه شيخ أو مُفتٍ ويتسم بالصلاح؛ تجد المرأة تتساهل معه، ثم تنزلق شيئًا فشيئًا نحو التعلّق، فالمشاعر، فالمعصية. أو العكس بالعكس، إذا كنتِ قائمة على ثغر ما، قد تُفتنين أو تَفتنين بدون قصد.

انظري يا حبيبة إلى عمر بن عبد العزيز حيث قال لميمون بن مهران: "ولا تخلون بامرأة، وإن قلت: أقرئها القرآن..."

لا تخلو بامرأة وإن كنت تعلمها القرآن!

يقول تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

ويقول النبي ﷺ:

"ما تَرَكتُ بَعدي فِتنةً أضَرَّ على الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ".

العلاج والوقاية:

- **غض البصر، وحفظ الجوارح.**



قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور - ٣٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ الآية.

فإطلاق البصر يؤدي إلى الفاحشة والعياذ بالله، وأمرُ الله تبارك وتعالى بغض البصر سَدَّ الذريعةَ.

قال ابن الجوزي:

"ذكِّرْ عينَك إذا امتدت إلى الحرام سيلانَها على جمرِ جَهنَّمَ؛ لعلها تغُضُّ..."

- **إشغال النفس بالطاعات والهدف والغايات العظام**؛ الأمة تزدهر بكِ يا غالية، فلا تضيعي شبابكِ وتهدري أوقاتكِ من أجل علاقات محرمة لا تسمن ولا تغني من جوع وترقبي الفتات مِمّنْ لا يستحق الالتفات إليه!

- **اختيار الصحبة الصالحة**، الصحبة التي همتها في القمم، الصحبة الطاهرة التي تستحين أن تفعلي أمامها المعاصي، الصحبة التي تأخذ بيدك إلى طريق الصلاح.

- **ملء القلب بحب الله لا حب المخلوقات.**

"فقلب العبد ينبغي أن يكون لله تعالى، فيحب لله، ويبغض لله، ويوالي في الله ويعادي في الله، ويخشى الله ويرجو رضاه ويعمل لأجله، ولا يزاحمه فيه حب أو قصد أو إرادة، لأن هذه المزاحمة تكون أحيانًا مخالفة لعبودية العبد التي



يجب أن تكون للرب لا لغيره، فيحب أشياء تزاحم محبة الله، حتى يصير عبدا لها؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**)".

- **التوبة والرجوع؛ فباب الله التوّاب الرحيم لا يُغلق.**

عودي أخية، ولا تنجرفي في متاهات الطرق الملتوية المظلمة، عودي إلى طريق الطهر والعفاف والحياء.

وقبل الختام، قد تسألن: "لماذا ركزت في حديثي عن شريحة المحافظين أو المحافظات الذين نحسبهم والله حسيبهم؟"

هذا لأن الشيطان يحارب هذه الشريحة أكثر من غيرها، ولأن الواحدة منا ربما تتساهل وتقول: "هو ملتزم ومتقٍ، وأنا ليست غايتي معصية الله..."

أختي، لا أحد معصوم، ونحن مركبون من شهوة وغريزة تنجذب فطريًا للجنس الآخر، لا أحد معصوم...

الخاتمة:

يا ونيسة، حديثي معك لم يكن تأنيبًا أو لومًا، بل حديث قلبٍ لقلب... حديث روح لروح.

العلاقة المحرّمة ليست مجرّد ذنب عابر، إنها نزيفٌ خفيّ، يتسلل إلى قلبكِ فيغرقه، تُخدِّر العقل، وتربك الروح، ثم تتركِ منهكة، فارغة، باكية لا تدري لماذا.

قد تبدأ بعذر صغير، صغّره الشيطان في نظرك، بـ"نية طيبة"، ثم تكبر حتى تنزلقي فيها دون وعي؛ فتعيشين صراعًا بين قلبكِ وإيمانكِ... بين مشاعركِ وخوفكِ من الله تبارك وتعالى.



من أحبّكِ حقًّا؛ سيخاف الله فيكِ. لن يطلبكِ سرًّا، ولن يسرقكِ من طريق النور إلى ظلمة الهوى. الحب لا يُختبر في الخفاء، بل يُثبت في الحلال، تحت نور الله ورضاه.

احفظي قلبكِ... فالقلب حريّ به أن يمتلأ حبًّا وخشيةً، خوفًا ورجاءً، لله سبحانه وتعالى، لا غيره... فلا يليق أن تُسكني في قلبكِ من يُبعدكِ عنه عز وجل.

وإن كنتِ قد وقعتي، فباب التوبة لا يزال مفتوحًا، هاتِ يدك يا حبيبة، فالله أرحم بكِ من نفسكِ، فقط عودي إليه، بدمعة صادقة، وخطوة ثابتة... وستُدهشكِ الرحمة، ويبهرك الستر، وستعلمين أن الله ما أغلق بابه في وجه أحد.

العلاقة الوحيدة المباحة والمباركة هي التي تبدأ بميثاق الزواج. وما دونها، وإن تزينت بمسميات واهمة: حب، اهتمام، خوف، نصيحة أو تعليم الدين... فهي في حقيقتها خروج عن حدود الله. فاحفظي قلبكِ، وأكرمي مشاعركِ، ولا تهدري طهركِ ولا تذبحي عفافكِ...

اللهم اجعلنا من التائبين الطاهرين، اللهم ثبّتنا على الصراط المستقيم، واصرف عنا كل علاقة لا ترضيك عنا، وأنِر قلوبنا بحبك وحدك، حتى لا نرى غيرك ملجأً وسكنًا يا كريم.

أحكام الطلاق



الحمد لله الحكيم الرزّاق، والصلاة والسلام على خير الأنام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما بعد، فإن الله تبارك وتعالى شرع لنا الزواج وأكرم من يسلك سبيله في الحلال ابتغاء رضاه سبحانه وتعالى بأن ييسر أمره، ويبارك له، ويأجره، ويعنيه على تحقيق مقاصد الزواج التي منها: تحقيق السكن، والمودة، والرحمة.

فإذا حدث بين الزوجين ما يخلّ بهذه المقاصد إخلالًا تتعسر به حياتهم وتشق أيامهم ويحلّ به الأذى بينهم، أو غير هذا من الأسباب التي تغيّب مصالح الزواج، فسَعيا لإعادة الأمور إلى نصابها وفضِّ الخلاف، ثم تعذّر الصلح والحلّ لا من قريب ولا من بعيد؛ فحينها لا مناص من التفريق بينهما بأحد الطرق، التي منها الطلاق؛ حتى لا تنقلب الزوجيّة إلى عكس ما شُرِعت له، بلا سكن، ولا مودة، ولا رحمة.

قال الله تعالى: ﴿**يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً**﴾ [الطلاق: ١].

وللطلاق أحكام وآداب، وسنأتي على ذكر مُهِمِّ أحكامه في مقالنا هذا إن شاء الله.

• تعريف الطلاق:

- الطَّلاقُ لُغةً: الحلُّ ورفع القَيد، مُشتَقٌّ مِن الإطلاقِ: وهو الإرسالُ والتَّركُ.

- الطَّلاقُ اصطِلاحًا: هو رفع قيد النكاح في الحال أو المآل



بعبارة تفيد ذلك صراحة أو دلالة.

• مشروعية الطلاق:

الأصل في مشروعية الطلاق الكتاب والسنة:

١. الكتاب: قوله تعالى: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة - ٢٢٩]

٢. السنة: روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّم، كانَ طلَّقَ حفصَةَ، ثمَّ راجعَها**". (صحيح النسائي).

وقد أجمع أهل العلم على مشروعية الطلاق.

• حكم الطلاق

اتفق الفقهاء على أن الطلاق تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة تبعًا لاختلاف حالات وقوعه ويظهر ذلك فيما يأتي:

- التحريم: ويكون الطلاق محرمًا في الحيض أو في طهر جامع الرجل امرأته فيه، وقد أجمع الفقهاء في جميع الأمصار على تحريمه لمخالفته أمر الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو المسمى بالطلاق البدعي.
- الكراهة: يكون الطلاق مكروها إذا كانت حياة الزوجين مستقرة ولم تكن هناك حاجة إليه؛ لحديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-: "**أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق**"، وحديث محارب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما أحل الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق**". ولأنه مزيل للنكاح المشتمل على المصالح المندوب إليها فيكون مكروها. وقيل يحرم في هذه الحال وهو رواية عن الإمام أحمد؛ لأنه ضرر بنفسه وزوجته



وإعدام للمصلحة الحاصلة لهما من غير حاجة إليه فكان حرامًا كإتلاف المال لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا ضرر ولا ضرار**".

- الوجوب: يكون الطلاق واجبًا في حالة الإيلاء بعد مضي المدة وإباء الزوج الفيئة، وكذلك طلاق الحكمين في الشقاق بين الزوجين إذا رأيا ذلك.

وقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية بأن طلاق المرأة التي لا تصلي إذا لم تجدِ نصيحتها يكون واجبًا في فتواها رقم (٦٣٩١).

وفي المقابل، فإن الحكم لا يختص بالمرأة إذا كانت هي التاركة للصلاة؛ بل للمرأة أيضًا أن تطلب الطلاق من زوجها إذا كان لا يصلي، ولا سيما إذا أصرّ على ترك الصلاة بعد نصحه. وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز بأن المرأة التي يكون زوجها تاركًا للصلاة في غالب الأحيان لا يجوز لها البقاء معه، وأن عليها التخلّص منه، ولها رفع الأمر إلى المحكمة الشرعية إذا تعذّر الطلاق.

- الإباحة: ويكون ذلك عند الحاجة إليه لسوء خلق المرأة، أو سوء عشرتها، وحصول الضرر بمعاشرتها.
- الندب: ذكر الفقهاء أن الطلاق يكون مندوبًا إليه في حالة عدم عفة المرأة، وفي حال الشقاق، وطلب المرأة الخلع لتزيل عنها الضرر.

• شروط الطلاق:

يشترط لوقوع الطلاق ما يلي:

١) العقل: ذهب الفقهاء إلى عدم صحة طلاق المجنون، والمعتوه، والنائم، والمغمى عليه؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «**رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ: عن النَّائِمِ حتَّى يستيقِظَ، وعن المجنونِ حتَّى يُفيقَ، وعن الصَّبيِّ حتَّى**



يَبلُغَ». وأما السكران، فإن كان متعدّيًا بسكره فيقع طلاقه عقوبة له، وإن لم يكن متعدِّيًا فلا يقع.

طلاق الغضبان: ينقسم طلاق الغضبان إلى قسمين:
أ. أن يدرك الزوج الغضبان ما يقول ويقصده فيقع طلاقه.
ب. أن لا يعي الزوج الغضبان ما يقول، وهنا لا يقع طلاقه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا طلاقَ، ولا عِتاقَ في غِلاقٍ**». (صحيح أبي داود)

٢) القصد: أن يقصد الزوج إيقاع الطلاق، فلا يقع طلاق المخطئ، ويقع طلاق الهازل عند أكثر أهل العلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثٌ جِدُّهنَّ جدٌّ وَهَزلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكاحُ والطَّلاقُ والرَّجعةُ**». (صحيح أبي داود)

٣) الاختيار: بأن يكون الزوج مختارا في إيقاع الطلاق، فلا يقع طلاق المُكرَه إذا توفرت في الإكراه الشروط التالية:

أ. أن يكون التهديد من شأنه أن يلحق ضررًا كبيرًا بالزوج.
ب. أن يكون المُكرِه قادرا على تنفيذ ما هدد به.
ج. أن يغلب على ظن الزوج أن المُكرِه سينفِّذ ما هدّدَ به.

• أنواع الطلاق:
يتنوع الطلاق من حيث الصيغة والأثر والصفة:

* يقسم الطلاق من حيث الصيغة إلى قسمين:

أ. الطلاق الصريح: وهو ما لا يفهم منه إلا إرادة الطلاق كقول الرجل لزوجته: "أنت طالق"، وهذا يقع بدون نية.
ب. الطلاق الكنائي: وهو ما احتمل الطلاق وغيره لقلة ظهوره ولقلة استعماله في الطلاق، كقول الرجل لزوجته: "الحقي بأهلك"، أو "اخرجي من البيت"، وهذا لا يقع إلا مع نية الطلاق.



* يقسم الطلاق من حيث الأثر الناتج عنه إلى قسمين:

أ. الطلاق الرجعي: وهو إيقاع الزوج الطلقة الأولى والثانية على زوجته التي دخل بها حقيقة، حيث يحق له إرجاعها إلى عصمته بالقول أو الفعل، وذلك في فترة العدة دون رضاها ودون عقد ومهر جديدين.

ومن آثار هذا الطلاق:

١. تبقى الزوجية بينهما قائمة ما دامت المرأة في عدتها[1].
٢. يرث كل من الزوجين الآخر إذا مات أحدهما في فترة العدة.
٣. نقصان عدد الطلقات.

ب. الطلاق البائن: وينقسم إلى قسمين:

١. الطلاق البائن بينونة صغرى وهو الطلاق الذي لا يستطيع معه الزوج أن يعيد مطلقته إلا بعقد ومهر جديدين ورضاها.

وحالات هذا الطلاق هي:

أ. انقضاء عدة الطلاق الرجعي دون أن يعيدها إلى عصمته.
ب. الطلاق قبل الدخول.
ت. الطلاق على مال تبذله الزوجة لزوجها (المخالعة).

٢. الطلاق البائن بينونة كبرى: وهو إيقاع الزوج الطلقة الثالثة على زوجته، قال تعالى: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ الآية. فلا يحق للزوج حينئذ أن يعيد زوجته إلى عصمته إلّا إذا تزوجت بآخر ودخل بها، ثم يفارقها أو يموت عنها وتنتهي عدتها، فيمكن عندئذ أن تعود للزوج الأول برضا الطرفين وإجراء عقد جديد، ومهر جديد.

* ويقسم الطلاق من حيث الصفة إلى قسمين:



أ. الطلاق السنّي: هو الطلاق الموافق للشرع، وذلك بأن يطلق الرجل زوجته طلقة واحدة في طهر لم يمسها فيه.
ب. الطلاق البدعي: هو الطلاق المخالف للشرع، كأن يطلق الرجل زوجته في فترة الحيض أو النفاس، أو في فترة طهر مسّها فيه، أو يطلقها ثلاثا بلفظ واحد أو ثلاث تطليقات متفرقات في مجلس واحد، ويقع مع الإثم.

مسائل:

• تعليق الطلاق:

وهو أن يعلق الزوج طلاق زوجته على وقوع شيء في المستقبل، وهو لا يقع إلا إذا وقع الأمر الذي علق عليه.

والمفترض أن يحذر الزوج من هذا التعليق لأنه قد يؤدي إلى تدمير البيوت ويهدد الحياة الزوجية إذا لم يهدمها.

مثل أن يقول الزوج لزوجته: "أنت طالق إذا ذهبت لبيت أهلك"، فإذا ذهبت الزوجة سرا أو علانية يحدث الطلاق حتى لو ذهبت بإذنه إلا إن كان قد قال وقت تعليقه الطلاق "إلا بإذني".

• الشك في الطلاق:

ومعناه أن يشك الزوج هل طلق زوجته أم لا، والحكم فيه:

إذا شك الزوج في طالق زوجته فلا يلتفت إليه ولا يعد طلاقا.

• طلاق الرسائل:

مثل أن يرسل لها كتابيا أو رسالة صوتية، فهنا يقع الطلاق.

• طلاق النية:

أي نوى الطلاق في قلبه ولم يتلفظ به فهذا الطالق لا يقع؛ لأن شرط الطلاق هو التلفظ به حتى لو لم يسمع أحدا.

• أحكام الرجعة:



وهي إعادة مطلقة غير بائن (التي انتهت عدتها) إلى ما كانت عليه بغير عقد، إذا طلق الرجل من خلا بها أو دخل بها فإنه يجوز له أن يرجعها إلى ذمته دون عقد جديد إن طلقها طلقة واحدة. ويجوز التشهير بالرجعة.

تحصل الرجعة بطريقتين إما بالتلفظ أو الجماع.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

[1] العِدَّةُ لُغةً: تَرَبُّصُ المرأةِ المُدَّةَ الواجِبةَ عليها، مأخوذٌ مِنَ العَدِّ والحِسابِ، وسُمِّيَ زَمانُ التربُّصِ عِدَّةً؛ لأنَّها تَعُدُّه، وأصلُ (عدد): يدلُّ على الإحصاءِ، يُقالُ: عَدَدْتُ الشَّيءَ، أي: أحصَيتُه.

العِدَّةُ شَرعًا: اسمٌ لِمُدَّةٍ تتربَّصُ فيها المرأةُ عن التَّزويجِ بعدَ وفاةِ زَوجِها أو فِراقِه لها؛ إمَّا بالوِلادةِ، أو بالأقراءِ، أو الأشهُر.


التاريخ
زينب بنت الكمال...
مسندة الشام
بقلم / الغريبة المجاهدة


"دراسة التاريخ الإسلامي هي ليست لملء الرأس ولكن لملء النَفْس، وإقامَتِها على دين الله، سلوكاً يشاهده كل الناس حين ينظرون إلى المسلم".

- عبدالرحمن الحَجّي



قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

"المرأة الصالحة كنزٌ من كنوز الدنيا."

في تاريخ الأمة الإسلامية أسماءٌ اشتهرت حتى ملأت شهرتُها الآفاق، وأسماءٌ أخرى خفت بريقها مع مرور الأزمان رغم ما قدّمته من علمٍ وفضل. ومن هذه الأسماء العالمة المحدثة زينب بنت الكمال، التي مثّلت نموذجًا نادرًا للمرأة التي انشغلت بحفظ الحديث وروايته وتعليمه، حتى أصبحت من أبرز محدّثات عصرها.

قد لا يكون اسم زينب بنت الكمال من الأسماء المتداولة اليوم، غير أن صفحات التاريخ الإسلامي حفظت لهذه العالمة الصالحة التقيّة مكانةً رفيعة؛ فتعالين نتعرف إلى جانبٍ من سيرتها العطرة، رحمها الله تعالى.

في أواخر القرن السابع الهجري ومطلع القرن الثامن، كانت دمشق من أعظم حواضر العلم في العالم الإسلامي، تعجّ بحلقات الحديث والفقه والتفسير، وتقصَد من طلاب العلم من مختلف الأقطار. في هذا المناخ العلمي الزاخر برزت زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية، المشهورة ببنت الكمال، التي تحولت من طفلةٍ حضرت مجالس السماع إلى واحدةٍ من أشهر المحدّثات في تاريخ الإسلام.

وُلدت زينب سنة 646هـ الموافق 1248م في الصالحية بدمشق، في أسرةٍ عُرفت بالعلم والصلاح. وتنتمي إلى أسرة المقادسة الحنبلية التي تعود أصولها إلى بلدة جماعيل قرب بيت المقدس، وقد نزحت عائلتها إلى دمشق بعد احتلال الصليبيين للقدس، فاستقرت في حي الصالحية، الذي أصبح مركزًا علميًا بارزًا في بلاد الشام. ومن هذه الأسرة خرج علماء كثر، كان من أشهرهم الإمام موفق الدين ابن قدامة رحمه الله، حتى عُدّت هذه الأسرة من



أعمدة المذهب الحنبلي في المنطقة لعدة قرون.

ولم تكد أسرة المقادسة تستقر في دمشق بعد هجرتها من بيت المقدس بسبب الحروب الصليبية، حتى اجتاح التتار بلاد الشام وزحفوا إلى دمشق سنة 658هـ. وفي الوقت الذي كان فيه المجاهدون يحملون السيوف دفاعًا عن ديار المسلمين، كانت زينب تُهيَّأ لجهادٍ من نوعٍ آخر؛ جهاد العلم والكلمة وحفظ السنة. وإذا كان جهاد السيف يحمي الأوطان، فإن جهاد العلم يحفظ الدين، ويصون علوم الأمة ويبقيها حيةً حتى بعد انقضاء الحروب.

كان والدها كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم المقدسي من أهل العلم، فأدرك مبكرًا أهمية تنشئة ابنته في بيئة علمية، فحرص على إدخالها مجالس الحديث منذ طفولتها. ولم تكن قد تجاوزت العامين حين أُحضرت إلى مجالس المحدّثة حبيبة بنت أبي عمر، لتبدأ رحلة علمية امتدت أكثر من تسعين عامًا.

نشأت زينب بين حلقات السماع ومجالس الرواية، فسمعت من عدد كبير من علماء عصرها ومحدّثيه، وتلقت الإجازات عن شيوخ الشام ومصر والعراق، حتى أصبحت من أكثر أهل زمانها اتصالًا بالأسانيد. ولم تقتصر رحلتها على بلدها، بل اتسعت لتشمل كبار المحدثين، فجمعت قدرًا كبيرًا من الروايات والأجزاء الحديثية، مما جعلها مقصدًا لطلاب العلم من مختلف الأمصار.

ومع مرور الوقت، تحولت الطالبة إلى شيخةٍ يقصدها طلاب العلم. فأصبحت زينب بنت الكمال مقصدًا للراغبين في سماع الحديث العالي والإجازات، وازدحمت مجالسها بالطلاب والعلماء. وقد قُرئت عليها كتب الحديث الكبرى، مثل صحيح الإمام مسلم، وكتب الفضائل والمسانيد وغيرها من المصنفات المعتمدة في العلم الشرعي.



وكان من أبرز من أخذ عنها الإمام المؤرخ والمحدّث شمس الدين الذهبي، صاحب المصنفات الشهيرة في التاريخ والرجال، كما أخذ عنها عدد كبير من الحفاظ والمؤرخين والأدباء، فانتشر علمها في الأقطار عبر تلامذتها.

وقد أثنى عليها العلماء ثناءً كبيرًا، فقال الذهبي إنها شيخة صالحة متواضعة خيّرة، كثيرة المروءة، متوددة للناس، وذكر أنها لطيفة الأخلاق، طويلة الصبر على الطلاب. كما وصفها في مواضع أخرى بأنها محبة لأهل الحديث، كريمة النفس، لا تملّ من السماع والإقراء، حتى إن الطلاب كانوا يقرؤون عليها ساعات طويلة دون كلل.

ومن الجوانب اللافتة في سيرتها أنها لم تتزوج قط، فكرّست حياتها للعلم والعبادة والرواية حتى اشتهرت بين أهل عصرها بلقب العذراء. وقد أصيبت في طفولتها برمدٍ في عينيها، حتى ذكرت بعض المصادر أنها فقدت بصرها، ومع ذلك لم يمنعها ذلك من مواصلة طريق العلم والتحديث، وظلت كذلك حتى أواخر حياتها، وإن أقعدها المرض في سنواتها الأخيرة.

وقد عُرفت بألقاب متعددة مثل "مسندة الشام" و"مسندة الدنيا"، كما وصفها الرحالة ابن بطوطة بأنها "رَحلة الدنيا"، إشارة إلى كثرة من يقصدها من طلاب العلم.

ومن الشواهد على مكانتها العلمية أن تلميذها المؤرخ والمحدث علم الدين البرزالي جمع أحاديثها العالية الإسناد في كتاب سماه «الأحاديث الموافقات العوالي للحافظة زينب بنت كمال المقدسية»، مما يدل على علو منزلتها في الرواية وحرص تلامذتها على حفظ علمها.

وفي ليلة الاثنين التاسع عشر من جمادى الأولى سنة 740هـ الموافق 22 نوفمبر 1339م، توفيت زينب بنت



الكمال في الصالحية بدمشق، عن عمرٍ ناهز أربعةً وتسعين عامًا. وشُيعت في جنازةٍ مهيبة حضرها قضاة المذاهب الأربعة وجموع كبيرة من العلماء والعامة، قبل أن تدفن في مقبرة أسرتها المعروفة بـ«تربة ابن قدامة».

وبرحيلها فقدت الشام واحدة من أبرز حافظات الحديث في عصرها، حتى قيل إن الناس نزلوا بموتها منزلةً ظاهرة في علم الرواية والإسناد. غير أن سيرتها لم تنقطع، بل بقيت محفوظة في كتب التراجم والحديث، شاهدةً على امرأةٍ جمعت بين العلم والعمل، وبين العبادة والرواية، فكانت مثالًا للعالمة الصابرة التي خدمت السنة النبوية بإخلاص.

وإذا كان الزمن قد غيّب كثيرًا من الأسماء، فإن سير العلماء الصادقين تبقى حية بما خلفوه من علمٍ وأثر. وقد كانت زينب بنت الكمال واحدة من أولئك الذين حملوا العلم بصدقٍ وأمانة، فبقي ذكرهم في صفحات التاريخ، وإن واراهم الثرى منذ أزمانٍ طويلة.

فرحمها الله رحمةً واسعة وجزاها عن الإسلام وأهله خير الجزاء.


همسات

حبيبتي الغالية، وفتاتي الحبيبة، افتحي لي بابَ قلبكِ؛ لأنفثَ فيه شيئًا من روحي، روحًا تُحبُّكِ، وتحبُّ لكِ ما تُحبُّه لنفسها. ولعلَّكِ تظنِّين أني أقول هذا تودُّدًا أو مجاملةً، ولكنني أخطُّه بمداد قلبي صدقًا؛ فهذا الدين هو الذي أودع هذه المشاعر في قلبي.

وبعد، فإني أعلم حاجتكِ الفطرية إلى السَّكن، وأتفهم حنينكِ الفطري إلى زوجٍ تُؤنسينه ويؤنسكِ، وتجدين عنده ما جعل الله بين الزوجين من مودةٍ ورحمة، رجلٍ خُلقتِ من ضِلَعه.
ولكن قلبكِ غالٍ، وليس بالثمن البخس لبعض المشاعر الخافتة، ولا يليق به أن يُلقى في مستنقع العلاقات المحرمة.
فإن كان في تلك العلاقات المحرمة أنسٌ، فهو أنسٌ كاذب؛ لأن الله تبارك وتعالى غيرُ راضٍ عنه، وما كان الله عز وجل غير راضٍ عنه فلا يلبث وهجُه أن يخفت، ولا سرورُه أن يزول، ولا سببُه أن يُمحق.
وإني لا أرضى لكِ أن تقدمي قلبكِ قربانًا، فلا تنالي إلا الحسرة، ويكون الله عز وجل عليكِ ساخطًا وغضبانا، ولا أن تكوني محطةً عابرةً يطؤها العابرون، فيكون أول ما يُدهس فيها فؤادُكِ الصادق.
ولا أقبل لكِ أن يكون قلبكِ وعاءً لفتات المشاعر، ولا مكبًّا لفائض الوحشة، ولا استراحةً عابرةً يُقصد إليها على سبيل التسلية أو سدِّ الفراغ.
قلبكِ أثمنُ من أن يُؤخذ على الهامش، وأكرمُ من أن يُمنح صدقًا ذابلًا أو اهتمامًا مبتورًا.
ومن أرادكِ حقًّا أتاكِ علنًا بقلبٍ كامل، ووقتٍ حاضر، واهتمامٍ صادق، لا ببقايا قلب، ولا بفضلات مشاعر، ولا بساعاتٍ فائضةٍ من يومه.
والعاقل لا يقيس الأمور بلذّة بداياتها، وإنما بعاقبة نهاياتها.
وإني لا أرضى لكِ أن يُذهِب الحنينُ بعضَ حيائكِ، فتُصرِّحي برغبتكِ على الملأ، وكأنكِ تعرضين أنوثتكِ ومشاعركِ الفطرية في سوق الوهم.

إن مكان هذه الأشواق الحقيقي سجدةٌ بين يدي الله تبارك وتعالى، تبثِّين فيها شكواكِ، وتُفضين إليه بما في قلبكِ، وبكل ما تشائين وتريدين؛ فهو سبحانه أرحمُ بكِ من نفسكِ.

فاصبري على ما تجدين من فراغٍ ووحشة؛ فإن القلب لا يبرأ بما يُفسده، ولا يُشفى بما كان داؤه فيه، ولا يرتوي من شرابٍ عكَّر صفوَه الخبثُ. قد يُشبع لحظةً، لكنه يورث ألمًا طويلًا وندمًا ثقيلًا.

ولا تفقدي رصانة قلبكِ، واعلمي أن السعيد من حفظ قلبه قبل جوارحه، وصانه عن مواطن الذلِّ والمهانة، وانتظر رزق الله تبارك وتعالى وهو موقنٌ أن ما عند الله لا يُنال بمعصيته.

والسلام، وعلى الله نوال المرام.

– هُجيرة

احذري صفات المنافقين

داءٌ عضالٌ يستحوذ على القلوب..

النفاق من أخطر الأمراض التي تتسلل إلى القلب، مرضٌ خفيّ يتسلل إلى القلب، فيظن صاحبه أنه مصلح، وهو في الحقيقة مفسد.

فالمنافق ليس بالضرورة أن يعرف أنه منافق، وليس النفاق شيئًا يختاره الإنسان، بل هو خصال وأفعال إذا تكررت أورثت القلب نفاقًا يتغلغل فيه.

فلا بد من مراقبة القلب والتفتيش فيه والخوف من أن يصيبه نفاق أو رياء أو كذب، فالنفاق له ساقان: ساق الكذب، وساق الرياء.

قال ابن عثيمين - رحمه الله-:

" لا يأمن النفاق إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن، فعلى العبد أن يحرص على الإخلاص وأن يجاهد نفسه عليه. " [شرح الأصول الستة، ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، 7/117]

تأمل معي كيف صوّر القرآن المنافقَ بأنه قد يصلي وقد يتصدق ويذكر الله، ومع ذلك لم يخرجهم ذلك كله من حفرة النفاق بسبب أفعالهم المصادمة لكتاب الله.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

ومن هنا كان السلف يخشون من ثقل الصلاة على القلب.

فإذا رأيت الصلاة ثقيلة عليك، حتى ولو كانت نافلة، فاعلم أن في قلبك نفاقاً، لأن هذا شأن المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ** ﴾، وإذا رأيت من قلبك خفة واستبشارًا فاعلم أن هذا دليل على قوة إيمانك. وقد قال رسول الله ﷺ: **"تلك صلاةُ المنافق، تلك صلاةُ المنافق، تلك صلاةُ المنافق؛ يجلس يرقبُ الشمسَ حتى إذا كانت بين قرني شيطانٍ قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلًا"** — رواه صحيح مسلم

فتأمل أيها القارئ حالك مع صلاتك، وأنزِل هذه الكلمات على نفسك، ولا تجعلها تمرّ على قلبك مرورًا عابرًا...

قِف مع صلاتك وقفة صدق:

هل تقوم إليها بنشاطٍ واشتياق؟ أم بتثاقلٍ وتسويف؟

هل تحضر بقلبك بين يدي الله؟ أم تؤديها على عجلٍ بلا روح؟

وقد أشار القرآن إلى كون المنافق يتصدق:

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

المؤمن الصادق يخشى على نفسه النفاق، انظر كيف كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يخافون النفاق ويخشون على أنفسهم منه، وكانوا ينزلون آيات المنافقين والكفار على أنفسهم، فتولَّد لدينا نفوس سوية بعيدة تمام البعد عن أي صفة مذمومة من صفات المنافقين والكفار.

قال عبد الله بن أبي مليكة -رحمه الله-:

"أدركتُ ثلاثين من أصحاب محمد بن عبد الله ﷺ، كلهم يخافون النفاق على أنفسهم، ما منهم أحدٌ يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل."

فالمنافق قد لا يعلم أنه منافق ويظن أنه أطلق الكلمات مزاحًا فقط.

لقد فصَّل القرآن الكريم صفاتهم تفصيلًا والهدف من ذلك ألا نتشبه بهم، فاعرض الصفات على نفسك عرضَ المُمحِّص؛ فما كان منها فيك فطهِّرْ قلبك منه تطهيرًا، وما لم يكن فاستمسكْ

بمجاهدة النفس ألّا تتلبَّس به، فإن النجاة في المحاسبة والوقاية قبل الدواء.

من صفاتهم نقض العهد مع الله عز وجل:

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾

شحت نفوسهم بعد معاهدة الله فقام النفاق في قلوبهم، تذكر كم مرَّة عاهدت الله وخالفت، كم مرة قلت لَئِنْ آتانيَ الله من فضله لأفعلن كذا وكذا ولم تفعل.
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

"أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"

— رواه البخاري ومسلم.

فانظر نفسك في حديثك في خِصامك في عهودك وأماناتك، تعوذ بالله من النفاق فوالله إن المسلم قد يغفل عن دينه ساعةً فيُسلبه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"تجدون شرَّ الناسِ يوم القيامةِ عندَ الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ"

— رواه البخاري ومسلم.

فأسوأ الناس عند الله يوم القيامة هو الشخص المنافق في التعامل، الذي يُظهر لكل فئةٍ وجهًا مختلفًا

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾

مع جماعة يظهر الصدق والولاء، ومع جماعة أخرى يظهر عكس ذلك ويطعن فيهم ويستهزئ بهم.
ركنت لصحبة المفتونين بالدنيا فقام النفاق في قلبك.

وفي هذا المعنى قالت الدكتورة ليلى حمدان:

"ستضعف حتمًا وترتبك خطواتك وتتعثر مسيرتك وتتكبد الخسائر ويضيق صدرك وتضيع منك خريطة الوجهة والبوصلة فتتخلف عن ركب المسابقين لله، وذلك حين تقدم صحبة المفتونين بالدنيا على صحبة القرآن والسنة وسير السلف الصالح. فهناك في هذه المرجعية المهيبة مخزون من الرسوخ والثبات واليقين لا يفرط فيه إلا محروم! وحدهم الذين آمنوا حقًا واقتدوا بالسابقين الأولين يملكون القدرة على التحليق في قلب النوازل والخطوب والمحن. وهو تمامًا ما يحتاج له كل مؤمن ومؤمنة في زماننا، فارجعوا لمعين القوة!"

إن أخطر ما يُبتلى به الإنسان في طريقه إلى الله هو فساد القلب بالتلون والنفاق، لأنه يضيّع البوصلة، ويُفسد الوجهة، ويُسقط صاحبه من ركب الصادقين السائرين إلى الله، فاحذر أن تظن نفسك مُصْلِحاً ثم تكون عاقبتك الدرك الأسفل من النار

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

إن وجدت فيك خِصَالاً من النفاق لا تيأس وسارع بالتوبة والإصلاح والإخلاص:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ
فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

اللهم ارزقنا قلوبًا سليمة منيبة، مخبتة لك، خاشعة بين يديك.

- ظلال وارفة

بين المِحْنة والمِنْحة

الحمد لله رب العالمين، أما بعد، فمن المعلوم من الدين، والمشاهَد بين الأعيان، أن الكروب والابتلاءات سنّة ماضية في هذه الحياة، فإذا توغلت المحن، وأحاطت بالمرء إحاطة غياهب الدّرك، خارت قواه، وتبددت حيله، وفترت عزائمه، فلم يبق له ملجأ، لا من الصاحب والقريب، ولا من الأسباب والأحباب، إلا الله سبحانه وتعالى.

ولأن زماننا هذا زمانُ تمحيصٍ وفتنٍ ومحنٍ، يتجلى هذا المعنى عند الصابرين الذين أنعم الله تبارك وتعالى عليهم بمحبتِه، كلما ارتقت قلوبهم عند قوله سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾

وعند القابضين على جمر الثبات، المتمسكين بأواصر الصبر واليقين.

فما بين المحنة والمنحة الربانية المتجلية في الفرج والتمكين، تتضح معالم السير إلى الله سبحانه وتعالى، وتنكشف مقامات العبودية والتوحيد بما قد لا يدركه العبد في أوقات الرخاء. وما بين الهم والفرج، تتبين مسالك القلب إلى نيل لذة القرب من الله عز وجل، حتى يغدو الابتلاء نفسه منحةً ربانية؛ منحةً توقظ قلب العبد، وتذكره بأنه من الله، ولله، وإلى الله، وتخوله استشعار عبوديته لربه؛ فلا يلتفت إلى الدنيا ومشاغلها، ولا تستميله حظوظ النفس ومآربها.

وهذا المعنى مما أدركه أرباب العقول، وأولو الكياسة والفطنة من سلف هذه الأمة، من استبشارهم بالبلاء الذي يزيدهم أنسا بالله تبارك وتعالى، وفرارًا إليه، و تكفيرا لأثقال الذنوب والخطايا.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى نعم البلايا: «**ما يُصيبُ المُسلِمَ مِن نَصَبٍ ولا وصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزنٍ، ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتَّى الشَّوكةِ يُشاكُها، إلَّا كَفَّرَ اللهُ بها مِن خَطاياه**».

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

«ما ابتُليتُ ببلاءٍ إلا كان لله تعالى عليَّ فيه أربعُ نِعَم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم منه، وإذ لم أُحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه».

وقد رُوي عن القاضي شُريح رحمه الله كلامٌ قريب من هذا المعنى في شكر الله على ما يصيب العبد من المصائب.

وقال سفيان الثوري رحمه الله:

«ليس بفقيهٍ من لم يعدَّ البلاء نعمةً، والرخاء مصيبةً».

وقال الحسن البصري رحمه الله:
«لا تكرهوا البلايا الواقعة، والمصائب الحادثة؛ فلرُبَّ أمرٍ تكرهونه فيه نجاتكم، ولرُبَّ أمرٍ تؤثرونه فيه عطبكم».

هذا وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

– أُم مَرْيَم


زاد


وَزِدْنَاهُمْ هُدًى

حديثٌ وفوائد

بسم الله الرحمن الرحيم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نضَّرَ الله امرأً سمِعَ مِنَّا حديثًا فحفِظَهُ حتى يُبَلِّغَه غيرَهُ، فرُبَّ حامِلِ فقْهٍ إلى من هو أفقَهُ منه، وربَّ حامِلِ فقهٍ ليس بفقيهٍ".

نستشعر من هذا الحديث نِعمةَ السَّمْعِ وأهميته، إذ حريٌّ بالمرءِ أن يصرِفَ هذه الحاسةَ في إبلاغِ ما وَعَى من الفوائد والنصائح، سواءٌ أكانت دينيةً أم دنيوية، ومما فيه نفع المسلمين.

يجب عليك إبلاغهم بما سمعته من خيرٍ عمومًا؛ فلعلَّ منهم من ينشرح صدره لقولك، ويتعلم منك ما قد يبثه في غيره، فيعمَّ الخير على إخوانك، وتستمر الملائكة في كتابة الحسنات في صحيفتك. فاحتسبي النية في هذا العمل الكريم، وأخلصي في تبليغك ما سمعت؛ لعلك تنجين بهذا.

أثرٌ عن سلفنا

«وَاللّٰه مَا نَالَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السَّفَهِ بِسَفَهِهِمْ وَلَا أَدْرَكُوهُ مِنْ لَذَّاتِهِمْ؛ إِلَّا وَقَدْ أَدْرَكَهُ أَهْلُ المروءات بمروءاتهم، فَاسْتَتِرُوا بِسِتْرِ اللّٰه!».

فاطمة بنت الحسين (ت: ١١٠هـ) رحمها الله عز وجل.

آيةٌ وتفسير

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

نقل البغوي في تفسير هذه الآية عن الثوري أنه قال: **لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا، فقال يوسف: يا أبت بكيت حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال: بلى يا بني، ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك.**

وروى مالك في الموطأ عن نافع، أنه سمع عبد الله بن عمر وهو على الصفا يدعو ويقول: اللهم إنك قلت: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾، وإنك لا تخلف الميعاد، وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني، حتى تتوفاني وأنا مسلم.


فتوى

حكم طلاء الأظافر للنساء

قال الإمام ابن باز رحمه الله



السؤال:
تسأل أختنا وتقول: بالنسبة لطلاء الأظافر سمعت أن المرأة إذا وضعته على أظافرها وهي طاهر جاز لها أن تصلي وإن انتقض الوضوء بعد ذلك فنريد الجواب الصحيح؟ بارك الله فيكم.

الجواب:
إذا كان الموضوع على الأظافر لا جرم له، لا جسم له فلا يضر، مثل الحناء الذي لا جسم له مثل إذا غمست أصابعها في الحناء من غير أن يكون له جسم أو ما أشبه ذلك من الدهونات التي لا جسم لها فإنه لا يضر، إذا توضأت ثم انتقضت الطهارة وأعادت الوضوء وذلك عليها لا يضر.

أما إذا كان له جسم كالذي يسمونه مناكير أو غير ذلك مما يكون له جسم على الظفر هذا لابد من إزالته، إذا أرادت الوضوء تزيله عن أظفارها؛ لأنه يمنع وصول الماء إلى الظفر فيزال، ولا بد من إزالته، كما لو كان على ذراعيها عجين أو طين يزال، وهكذا على رجلها أو وجهها يزال، فهكذا مكان الأظافر إذا شيء له جسم من عجين أو مناكير أو قطعة من الحناء لها جرم أو ما أشبه ذلك يزال، أما مجرد الصبغ صبغ الحناء في أظفارها صار له أثر صفرة حمرة أو غير ذلك من الأصباغ لا يضر هذا؛ لأنه لا جسم له. نعم.

حكم إظهار المرأة للخاتم والأسورة أمام الأجانب

قال الإمام ابن باز رحمه الله



السؤال:

قرأت في سنن النسائي حديثًا عن الرسول ﷺ يبين كراهية إظهار الذهب للنساء، وأسمع كثيرًا من الفتاوى تفيد على أن إظهار الخاتم أو الأسورة بالنسبة للمرأة ليس حرامًا؛ لأنه من الزينة الظاهرة التي أجازها الله عز وجل، فأرشدونا حول هذا الأمر للأهمية مأجورين؟

الجواب:

الله جل وعلا يقول: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ**﴾ [النور:31] الآية، فإظهار الزينة من الحلي في اليدين أو في الحلق أو في الأذن كل هذا من المحرمات، لا يجوز لها إبداء الزينة بل يجب عليها التستر والحجاب، قال الله جل وعلا: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب:53].

فالواجب على المرأة أن تستر وجهها وجميع بدنها عند غير المحارم، ومن ذلك ستر يديها وما فيها من الأسورة والخواتم وستر حلقها وما فيه، وستر وجهها وما في أذنيها كل هذا واجب، وقال الله جل وعلا: ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب:33] قال العلماء: معنى ذلك إظهار المحاسن، معنى التبرج: إظهار المحاسن والمفاتن. نعم.

حكم كشف المرأة وجهها أمام غير محارمها

قال الإمام ابن باز رحمه الله



السؤال:
أختنا تقول: إني متحجبة، ولكن لا أغطي فمي وأنفي، فهل هذا حرام؟

جزاكم الله خيرًا.

الجواب:
الصواب وجوب تغطية الوجه؛ لأنه عنوان المرأة جمالًا ودمامة، وقد اختلف الناس في ذلك.

والصواب: هو أنه يجب أن تغطي المرأة وجهها جميعًا؛ لقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم في سورة الأحزاب: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب: 53] ولم يستثنِ سبحانه الوجه ولا غيره.

وقال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب: 59]، والجلباب يغطى به الرأس والبدن والوجه والأيدي، هو عام، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ**﴾ [النور:31] الآية.

وفي أولها يقول سبحانه: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ**﴾ [النور:31] الآية، فقوله سبحانه: ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ [النور:31] قد تعلق به بعض أهل العلم، وقالوا: إن المراد بذلك الوجه والكفان، ولكن هذا ليس بصحيح، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن المراد بذلك الملابس الظاهرة»، وقال ابن

عباس رضي الله عنه فيما روي عنه: «إن المراد به الوجه والكفان» قال بعض أهل العلم: إنما أراد ابن عباس قبل النسخ، قبل نزول آية الحجاب، كانت المرأة يباح لها إظهار الوجه والكفين، وبعد ما نزلت آية الحجاب مُنعت من ذلك، وهذا هو الأقرب والأظهر فيما رآه ابن عباس أن المراد يعني: فيما مضى قبل نزول آية الحجاب، أما بعد نزول آية الحجاب فالوجه داخل في الزينة التي قال الله فيها: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ**﴾ [النور:31] الآية.

ثم يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لما سمعت صوت صفوان بن المعطل في غزوة الإفك، لما سمعت صوته قالت: «**خمرت وجهي**»، قالت: «**وكان قد رآني قبل الحجاب**» فهذا يدل على أنهم بعد الحجاب مأمورون بتخمير الوجه.

والأُمة تَبَعٌ لأزواج النبي ﷺ في ذلك، الحكم للجميع.

فالحاصل: أن الأرجح والأظهر من الأدلة الشرعية هو وجوب ستر المرأة وجهها وكفيها وبقية بدنها؛ لأنها عورة وفتنة، والله سبحانه وتعالى أرشدها إلى أسباب النجاة، وأسباب السلامة والعفة، حتى قال في آخر الآية: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور:31] قال أهل العلم: معناه أنها لا تضرب برجلها حتى يسمع صوت الخلخال؛ لأن السامع قد يفتن بذلك.

وأما قوله سبحانه: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور:31] معنى الخُمُر: ما يغطى به الرأس، فضرب الخمار على الجيوب، معناه على الوجه والرأس؛ لأن الجَيب مدخل الرأس، هذا الجَيب -من الجوب وهو الشق- وجيوبهن: مدخل الرأس، فالمعنى: ليضربن بخمرهن على موضع الجَيب؛ وذلك هو الرأس والوجه، هو موضع الجيب، فإنه يخرج من الرأس، ويبدو منه الوجه، هذا هو محل التخمير. وأما قول بعضهم: "إنه لم يقل: على وجوههن"، فلا يحتاج إلى هذا؛ لأنه لو قال: على وجوههن لقال آخرون: لِمَ لم يقل على رؤوسهن، فيبقى الأمر أيضًا يحتاج إلى أن يقول: على رؤوسهن، وكلام الله أحكم وأعظم سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:31] يعني: على محل الجيب، وهو الرأس والوجه هو الذي خرج من الجيب، وشق من أجله الجيب، فيخرج الرأس من هذا المحل، فيغطى بالخمار الذي هو ستر الرأس والوجه، وما قد يبدو من الصدر.

وأما قول بعضهم: "إنه لم يقل: على وجوههن"، فلا يحتاج إلى هذا؛ لأنه لو قال: على وجوههن لقال آخرون: لِمَ لم يقل على رؤوسهن، فيبقى الأمر أيضًا يحتاج إلى أن يقول: على رؤوسهن، وكلام الله أحكم وأعظم سبحانه وتعالى فقال: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور:31] يعني: على محل الجيب، وهو الرأس والوجه هو الذي خرج من الجيب، وشق من أجله الجيب، فيخرج الرأس من هذا المحل، فيغطى بالخمار الذي هو ستر الرأس والوجه، وما قد يبدو من الصدر.

وأما حديث الخثعمية، وأن الفضل نظر إليها، وصرف النبي ﷺ وجه الفضل، فليس في حديث الخثعمية أنها كانت سافرة كاشفة وجهَها، بل الأظهر والأصل في ذلك أنها ساترة وجهَها، ولو فرضنا أنها سافرة لكان هذا في الإحرام، وقد قال بعض أهل العلم: إنه يجوز لها كشف وجه في الإحرام؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: **لا تنتقب المرأة[1] ولا تلبس القفازين** قالوا: نهيها عن النقاب يقتضي إسفارها، فيكون هذا في حال الإحرام، وهي قادمة من مزدلفة، ما بعد رمت الجمرة، ولا بعد تحللت.

فلو فرضنا أنها كاشفة لكان هذا في الإحرام، مع أن الصواب أن المحرمة تستر وجهها بغير النقاب، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**كنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع إذا حاذانا الرجال سدلت إحدانا خمارها من فوق رأسها على وجهها، فإذا بعدوا عنا كشفنا**» هكذا روي عن أم سلمة أيضًا.

فالمقصود: أن هذا يدل على أنهن يسترن بغير النقاب، وهو الخمار الذي يوضع على الرأس والوجه، أما النقاب فهو شيء يصنع للوجه، ويُخاط للوجه يقال له: النقاب، ويقال له: البرقع، يجعل على الوجه، هذا هو الذي يمنع منه، تمنع منه المحرمة، أما كونها تستر وجهها بغير ذلك فهذا باقٍ على أصله، مأمورة به، حذرًا من الفتنة، وسدًا لباب الفتنة.

وبهذا يعلم القارئ ويعلم المؤمن أنه ليس فيما ادعاه من رأى الكشف، ليس في حديث الخثعمية حجة في ذلك، والصواب: أنها ليست سافرة، ولو فرضنا أنها سافرة لكان ذلك في حال الإحرام، والمحرمة قد قال بعض أهل العلم بأنها تكشف وجهها، فلا حجة في ذلك في كشفه خارج الإحرام.

والصواب: أنها لا تكشف لا في الإحرام، ولا في غيره، وأن حديث الخثعمية ليس فيه صراحةٌ بأنها سافرة، وإنما النظر يمكن أن تنظر إليه وينظر إليها من دون كشف الوجه، فالنظر ممكن بأن تدير وجهها إليه ويدير وجهه إليها، إما لحسن صوتها وأدبها حين سألت النبي ﷺ، وإما لأسباب أخرى، ولا يلزم من ذلك أن تكون سافرة الوجه، كما أنه لا يلزم منه أن تكون كاشفة الرأس أيضًا، نعم.


الأدب العربي

قال الإمام ابن القيم رحمه الله، في وصف تقلّب أحوال الدنيا:

«وأنَّ سرورَ الدنيا أحلامُ نومٍ، أو كظلٍّ زائلٍ؛ إن أضحكت قليلًا أبكت كثيرًا، وإن سرَّت يومًا ساءت دهرًا، وإن متَّعت قليلًا منعت طويلًا».

- زاد المعاد في هدي خير العباد، (4/190)،
في سياق كلامه عن علاج المصيبة وتسلية المصاب.

من درر الرافعي

"إن هذه الأخلاق الفاضلة في هذا الإنسان لا تجد تمام معناها إلا في حالة بعينها من أحوال القلب، وهي حالة خشوعه على وصفها الذي شرحته الآية الكريمة: **(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)** [الحديد: 16]. ... ما أصبحت ولا أمسيت منذ حفظت تفسير الآية إلا في حياة منها وهذه الآية هي التي دلتني بمعانيها أن ليست الحياة الأرضية شيئاً إلا ثورة الحي على ظلم نفسه، يستكف عنها أكثر مما يستجر لها، والناس من شقائهم على العكس، يستجرون أكثر مما يستكفون، وإنما السعيد من وجد كلمات روحانية إلهية يعش قلبه فيهن، فذاك لا يعمل أعماله كما يأتي ويتفق، بل يحذو على أصل ثابت في نفسه، ويختار فيما يعمل أحسن ما يعمل، ومن ثم لا يكون جهاده مراغمة أو خضوعًا في سيل الوجود كالحيوان، بل في سبيل صحة وجوده؛ ولا يكون غرضه أن يلابس الحياة كما تأخذه هي وتدعه، بل أن يحيا في شرف الحياة على ما يأخذها هو ويدعها".

– وحيُ القلم

"إنَّ العصبية هي دائمًا نصفُ الجهل، وإن كانت في أعلم النَّاس وأذكاهم".

– تحت راية القرآن

« تعتري المصائب هذا الإنسان لتمحوَ من نفسه الخِسَّة والدناءة، وتكسر الشرَّ والكبرياء، وتَفثَأ الحدَّةَ والطيش؛ فلا يكون من حمقه إلا أن يزيد بها طيشاً وحدة، وكبرياءَ وشراً، ودناءة وخسة، فهذه هي مصيبة الإنسان لا تلك المصيبة هي ما ينشأ في الإنسان من المصيبة».

– وحي القلم

"المصيبة ليست مصيبةً بمادتها، ولكن بما يُقابل هذه المادة من نفوسنا؛ ومِنْ ثَمَّ فهي لا تؤثر فينا بنفسها، ولكن بالكيفية التي نقابلها بها."

– كتاب المساكين

"إنَّ شرَّ النِّفاق ما داخلَتْهُ أسباب الفضيلة، وشر المنافقين قوم لم يستطيعوا أن يكونوا فُضلاء بالحق، فصاروا فضلاء بشيءٍ جعلوه يشبه الحق"! السحاب الأحمر

"إنَّ شرَّ النِّفاق ما داخلَتْهُ أسباب الفضيلة، وشر المنافقين قوم لم يستطيعوا أن يكونوا فُضلاء بالحق، فصاروا فضلاء بشيءٍ جعلوه يشبه الحق"!

- السحاب الأحمر

"وكان النبي ﷺ خافض الطرف، من رآه بديهةً هابَه، ومن خالطَهُ معرفةً أحَبّه، لا يطوي عن أحد من الناس بِشْرَه، قد وسِع الناس بسطُه وخُلُقُه؛ فصار لهم أبًا، لا يثبّتُ بصرَه في وجه أحد، له نورٌ يعلوه، كأنّ الشمس تجري في وجهه".

- وحي القلم

"وأنَّ الذي يحيا بالثقة تحييه الثقة".

- وحي القلم

وأشواقُ النَّفسِ هي مادَّةُ الأدب."

- وحي القلم

"إنما الناس صور الفكر وصور القلب، فمن لم نرَ فيه صورةً من أفكارنا التي نلتمسها أو من أهوائنا التي نحبّها، فذلك ليس منَّا ولسنا منه، وإن سُمي أخا في لغة النفاق، وإنْ دُعي حبيبا في لغة المجاملة!"

- السحاب الأحمر

"يزعمون أننا في عصر العلم وفي دهر القانون، ويريدون أن يسلبوا الناس إيمانهم، كأن الإيمان هو مشكلة الإنسانية!".

- كتاب المساكين

الإنسان فقير بمعنى من معاني الفقر، وما البغض إلا فقر من المحبة، ولا الحسد إلا فقر من الثقة، ولا الطمع إلا فقر من العقل".

- وحي القلم

وتظل حكمة الله مطوية في ظلمات الغيب، لا يتنوَّرها إلا مَن غمره شعاع الإيمان وسطع في قلبه نور الحكمة، أما الذين تعبَّدتهم شهواتُ أنفسهم فهم أبدًا في حيرة وضلال".

- وحي القلم

ودقيقةٌ باقيةٌ في العمرِ هي أملٌ كبيرٌ في رحمةِ الله".

- وحي القلم

"إذا استقبلتَ العالم بالنفس الواسعة رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع، وحقائق الهموم تصغر وتضيق، وأدركت أن دنياك إن ضاقت فأنت الضيق لا هي".

- وحي القلم



إضاءة نفسية

بقلم / ليلى حمدان

الحساسية الزائدة

حين يصبح القلب أكثر تألمًا مما يحتمل الموقف



ليست كل امرأة حساسة امرأة هشة، كما أن قوة القلب لا تعني أن يصبح القلب قاسيًا لا يتأثر. فمن النساء من تدمع عيناها سريعًا، وتتأثر بالكلمة، وتلتقط تغير نبرة الصوت، وتبقى بعض المواقف في ذاكرتها طويلًا، وقد تكون هذه الرهافة بابًا إلى الرحمة، وحسن فهم الآخرين، ورقة القلب، ودقة ملاحظة المشاعر.

لكن المشكلة تبدأ حين لا تعود الحساسية مجرد سرعة تأثر، وإنما تتحول إلى طريقة مستمرة في تفسير الحياة؛ فتصبح الكلمة العابرة إهانة، وتأخر الرد رفضًا، والنقد البسيط حكمًا على القيمة الشخصية، والخلاف العابر دليلًا على أن العلاقة كلها مهددة. وهنا لا يعود السؤال: «لماذا أنا حساسة؟» بقدر ما يصبح: ماذا أفعل بما أشعر به؟



بين رهافة القلب وهشاشة الاحتمال

هناك فرق مهم بين أن تكون المرأة مرهفة الشعور، وبين أن تكون شديدة التأثر إلى درجة تعطل حياتها أو علاقاتها. فالرهافة قد تجعلها تنتبه إلى حزن صديقتها، وتستشعر تعب زوجها، وتتألم لمشهد ظلم، وتتأثر بآية أو موعظة، وتلتقط تفاصيل قد لا يلاحظها غيرها، أما الحساسية الزائدة فقد تجعل المشاعر تقود تفسير الأحداث بدل أن تكون مجرد استجابة لها.

فقد تقول في نفسها: «لم ترد عليّ، إذن هي غاضبة مني»، أو «انتقدني، إذن هو لا يراني جيدة»، أو «لم تدعني إلى المناسبة، إذن لا أحد يريدني»، أو «تغيرت نبرته، إذن فعلت شيئًا خاطئًا». وهنا يحدث شيء بالغ

الأهمية: تتحول المعلومة الصغيرة إلى قصة كبيرة.

المشكلة ليست دائمًا في الشعور الأول؛ فقد يكون الشعور طبيعيًا، وإنما في المعنى الذي نبنيه فوقه، ثم نبدأ بالتعامل مع ذلك المعنى وكأنه حقيقة مؤكدة.

لا تصدقي كل تفسير يأتي مع شعورك

من أكثر المهارات التي تحتاجها المرأة الحساسة أن تتعلم الفصل بين ثلاثة أشياء: ما حدث، وما شعرت به، وما فسّرته. فإذا حدث مثلًا أن أختا لم ترد على رسالتك، فهذه هي الواقعة، وقد تشعرين بسببها بالقلق، وهذا شعور حقيقي ينبغي احترامه، لكن تفسيرك بأنها تتعمد تتجاهلك ليس حقيقة بالضرورة، وإنما احتمال قد يصيب وقد يخطئ.

وهذه المسافة الصغيرة بين الحدث وتفسيره قد تغير كثيرًا من حياتك. اسألي نفسك: ماذا أعرف يقينًا، وماذا أفترض؟ وهل توجد تفسيرات أخرى؟ ولو حدث الأمر نفسه لصديقتي، فهل سأعطيه المعنى ذاته؟ هذه الأسئلة لا تعني أن تنكري مشاعرك، وإنما تمنع الشعور من أن يتحول إلى قاضٍ يصدر أحكامه دون بينة.

الحساسية قد تجعل المرأة تعيش المعركة أكثر من مرة

قد ينتهي الموقف في الواقع، لكنه يبقى مستمرًا في ذهن المرأة الحساسة؛ فتعود إليه مرارًا وتتساءل: ماذا كان يقصد؟ ولماذا قالها بهذه الطريقة؟ وماذا لو كنت أجبت بطريقة أخرى؟ وهل كان ينبغي أن أدافع عن نفسي بصورة مختلفة؟ وهكذا ينتهي الحدث خارجيًا، لكنه يتكرر في الداخل عشرات المرات.

وهنا يأتي الاجترار، وهو إعادة التفكير في التجربة المؤلمة بصورة متكررة دون الوصول إلى حل جديد. وقد يبدو في بدايته محاولة لفهم ما حدث، لكنه قد يتحول إلى استنزاف يزيد الحزن والقلق ويثبت الانتباه على الجرح، ولذلك ليس كل تفكير عميق نافعًا.

أحيانًا تحتاجين إلى أن تقولي لنفسك: «لقد فهمت ما أستطيع فهمه من الموقف، وما بقي منه لن أصل إليه بإعادته ألف مرة»، ثم تسمحين لنفسك بالعودة إلى حياتك بدل أن تبقي أسيرة حدث انتهى منذ ساعات أو أيام.

ليس كل نقد رفضًا لك

من أكثر ما تتعب منه المرأة الحساسة أنها قد تسمع الملاحظة المتعلقة بسلوك واحد وكأنها حكم

على شخصيتها كلها؛ فإذا قيل لها: «تأخرتِ»، سمعتها في داخلها: «أنت مهملة»، وإذا قيل: «كان يمكن أن تفعلي الأمر بطريقة أفضل»، تلقتها وكأن المعنى: «أنت فاشلة». وهذا انتقال غير واعٍ من نقد السلوك إلى إدانة الذات.

والنضج النفسي يقتضي أن تتعلمي استقبال الملاحظة بحجمها الحقيقي؛ فقد أكون أخطأت في موقف دون أن يعني ذلك أنني إنسانة سيئة، وقد أكون قصرت في أمر دون أن يعني أنني عاجزة، وقد يختلف معي شخص دون أن يكرهني، وقد لا أعجب شخصًا ما دون أن يكون فيَّ نقص يجب أن أقضي عمري في إصلاحه.

وفي المقابل: لا تستخدمي «أنا حساسة» لإلغاء حقك

هناك خطأ آخر في الاتجاه المقابل، فبعض النساء حين يكتشفن مفهوم الحساسية الزائدة يبدأن بلوم أنفسهن على كل ألم، حتى في المواقف التي تستحق الوقوف عندها. وليس كل انزعاج مبالغة، ولا كل بكاء هشاشة، ولا كل تأثر يحتاج إلى علاج؛ فقد تتعرض المرأة لإهانة فعلًا، أو يكون هناك من يتعمد التقليل منها، أو تكون العلاقة مؤذية، أو يكون النقد متكررًا والسخرية مستمرة والحدود منتهكة.

في هذه الحالات، لا يكون الحل أن تقولي لنفسك: «أنا حساسة أكثر من اللازم»، ثم تجبري نفسك على احتمال الأذى. فالصحة النفسية ليست أن تتعلمي تحمل كل شيء، وإنما أن تعرفي أيضًا ما الذي ينبغي احتماله، وما الذي ينبغي رفضه، وما الذي ينبغي مغادرته.

لا تجعلي رضا الناس ميزانًا لسلامك

كلما ربطت المرأة قيمتها بقبول الآخرين، أصبحت شديدة الحساسية تجاه إشاراتهم؛ فتظل منشغلة بالسؤال عما إذا كانوا يحبونها، أو أعجبهم كلامها، أو ما زالوا يريدون قربها، أو تغيرت علاقتهم بها، أو انخفض مقدار مدحهم لها. وهكذا يصبح قلبها معلقًا بمؤشر لا تستطيع التحكم فيه.

والإنسان لا يستطيع أن يضمن رضا الجميع، مهما بذل من جهد. وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ**﴾ [البقرة: 120].

فالعبد يحتاج إلى ميزان أعلى من تقلبات القبول البشري. وهذا لا يعني أن تصبح المرأة غير مبالية بالناس أو بمشاعرهم، وإنما ألا تجعل رضاهم مصدر قيمتها ولا الميزان الذي تقيس به سلامها الداخلي.

في العلاقات الزوجية: لا تفسري كل تغير على أنه فقدان للحب

وقد تظهر الحساسية الزائدة بوضوح في الزواج؛ فقد يعود الزوج متعبًا قليل الكلام، فتشعر الزوجة أنه تغير، أو ينشغل عنها يومًا، فتبدأ بسؤال نفسها: هل لم يعد يحبني؟ وقد يقع خلاف عابر، فتشعر أن العلاقة كلها أصبحت مهددة.

لكن الزوج كذلك بشر؛ تتغير طاقته، ويثقل صدره، ويضيق وقته، ويخطئ في التعبير. وليس كل تغير في المزاج تغيرًا في المحبة، ولا كل صمت عقوبة، ولا كل اختلاف بداية انهيار. ومن أعظم ما تحتاجه الحياة الزوجية أن تتعلم المرأة أن تحتمل المساحات الطبيعية من النقص البشري دون أن تحول كل نقص إلى أزمة في أمان العلاقة.

وفي الوقت نفسه، لا يعني ذلك التغاضي عن الأذى المتكرر أو العنف أو الإهانة؛ فهناك فرق واضح بين نقص بشري عابر يمكن احتماله ومعالجته، وبين سلوك مؤذٍ متكرر يحتاج إلى توضيح حدوده الشرعية وبحث حلول حقيقية.

وماذا عن علاقتك بنفسك؟

قد تكون المرأة قاسية على نفسها أكثر مما يطلبه منها الآخرون؛ فتخطئ فتجلد نفسها، وتتأخر فتشعر أنها فاشلة، وتغضب فتتهم نفسها بأنها سيئة، وتحتاج إلى الراحة فتشعر بالذنب، ثم ترى امرأة أخرى ناجحة فتقارن حياتها بحياتها وتخرج من المقارنة أكثر قسوة على ذاتها.

وهذا النوع من الحساسية يجعل الإنسان يحمل في داخله صوتًا دائمًا يراقبه ويحاكمه. لذلك تعلمي أن تفرقي بين محاسبة النفس وجلد النفس؛ فمحاسبة النفس تقول: «أخطأت، وسأصلح»، أما جلد النفس فيقول: «أنا فاشلة، وأنا دائمًا أفسد كل شيء». الأولى تبني وتدفع إلى التغيير، أما الثانية فتستنزف وتُضعف القدرة على النهوض.

ماذا تفعلين حين تشعرين أنك تأذيت؟

لا تحتاجين دائمًا إلى حل كبير؛ ففي كثير من المواقف يكفي أن تتوقفي قبل الرد، وألا تجيبي وأنت في ذروة الغضب أو البكاء، ثم تحاولي تسمية الشعور الذي يمر بك: هل هو حزن، أم خوف، أم إحراج، أم غيرة، أم شعور بالرفض أو الظلم؟ بعد ذلك افصلي بين ما حدث فعلًا وبين المعنى الذي أضفته أنت إلى الحدث، واسألي نفسك إن كان هناك تفسير آخر لم يخطر لك.

ثم اختبري حجم الموقف: هل يستحق فعلًا أن يسرق منك يومًا كاملًا؟ وإن كان حقك قد انتُهك، فتكلمي بوضوح؛ لأن الهدوء لا يعني السكوت. أما ما لا يمكنك تغييره، فتعلمي أن تتركيه، فليس كل

موقف يحتاج إلى إغلاق كامل، ولا كل كلمة تحتاج إلى جواب، ولا كل سوء فهم يستحق أن يتحول إلى معركة طويلة.

درّبي نفسك على تأخير الاستجابة

من أجمل ما يمكن أن تتعلمه المرأة الحساسة أن تجعل بينها وبين الانفعال مسافة زمنية. فلا تردي على الرسالة فورًا إذا أثارتك، ولا تتخذي قرارًا في ذروة الغضب، ولا ترسلي رسالة طويلة لأنك شعرت لحظةً بأنك مرفوضة. قومي، توضئي، صلي، امشي قليلًا، أو اكتبي ما تشعرين به، ثم عودي إلى الأمر بعد أن يهدأ الجسد والعقل.

قال الله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: 134]. وكظم الغيظ ليس إنكارًا للغضب، وإنما ضبط لما يترتب عليه؛ فليس المطلوب ألا تشعري، وإنما ألا تجعلي كل شعور يأمرك بما تفعلين.

ولا تجعلي سوء فهمك للدين عبئًا على قلبك

قد تقع المرأة الحساسة في فخ آخر، فكلما شعرت بالحزن أو الغضب أو الغيرة أو الخوف اتهمت نفسها بضعف الإيمان، وهذا غير صحيح؛ فوجود المشاعر الإنسانية ليس ذنبًا في ذاته، والأنبياء والصالحون مروا بالحزن والخوف والألم، والإنسان لا يملك أن يمنع قلبه من كل انفعال.

وإنما تظهر العبودية فيما نفعله بهذه المشاعر؛ فقد أحزن لكن لا أظلم، وأغضب لكن لا أعتدي، وأخاف لكن لا أستسلم لكل ظني، وأتألم لكن لا أجعل ألمي مبررًا لإيذاء الآخرين، وقد أبكي لكنني أعود إلى الله. وهذه ليست هشاشة، بل إنسانية تحتاج إلى تهذيب وتزكية وحسن توجيه.

متى تحتاج الحساسية إلى مساعدة متخصصة؟

إذا أصبحت الحساسية شديدة إلى درجة تؤثر بصورة مستمرة في النوم أو الدراسة أو العمل أو العلاقات أو القدرة على أداء المهام اليومية، أو صاحبها قلق شديد أو نوبات هلع أو اكتئاب أو أفكار إيذاء النفس، فهنا لا ينبغي الاكتفاء بالنصائح العامة.

قد تكون هناك مشكلة نفسية أخرى تحتاج إلى تقييم متخصص، وليس من الحكمة أن نشخص أنفسنا من خلال مقطع أو منشور على وسائل التواصل. وطلب المساعدة النفسية الموثوقة لا يعني ضعف الإيمان، كما أن اللجوء إلى الدعاء والعبادة لا يعني ترك الأسباب المتخصصة.

أخيرًا: لا تطفئي رقة قلبك، بل علّميها كيف تقوى

ليس الهدف أن تتحولي إلى امرأة لا تتأثر، فالعالم لا يحتاج إلى مزيد من القلوب القاسية، وإنما تحتاجين إلى قلب رقيق لكنه ليس مستباحًا، رحيم لكنه ليس عاجزًا، حساس لكنه ليس أسيرًا لكل إشارة، يحب الناس دون أن يجعل قيمته معلقة برضاهم، ويتألم من الخطأ دون أن يغرق فيه.

أن تشعري ليس مشكلة، وأن تبكي ليس مشكلة، وأن تتأثري ليس مشكلة، لكن أن يصبح كل شعور حقيقة، وكل ظن يقينًا، وكل موقف جرحًا، وكل رفض انهيارًا، وكل خلاف تهديدًا لعلاقتك بالناس وبنفسك؛ فهنا تحتاجين إلى أن تتعلمي شيئًا جديدًا: ليس كل ما يؤلمك يستحق أن يسكن فيك.

احفظي قلبك من القسوة، نعم، لكن احفظيه أيضًا من الاستنزاف، وتعلمي أن تكوني رقيقة دون هشاشة، قوية دون قسوة، واعية بمشاعرك دون أن تكوني أسيرة لها؛ فالنضج ليس أن تفقدي حساسية قلبك، وإنما أن يمتلك قلبك من القوة ما يجعله يشعر، ثم يفهم، ثم يختار كيف يستجيب. والحمد لله رب العالمين.

التفكير الزائد

النفس البشرية بالعادة تحتاج إلى ترويض شامل للتغيير؛ فالناس حين جُبلوا على عادات معينة أو طباع خاصة، لن يستطيعوا التخلص منها بين ليلة وضحاها، وسنتحدث معًا عن "التفكير الزائد"؛ فالتفكير الزائد يؤدي إلى قلق مستمر، وربما يقود إلى سوء الظن في بعض الأحيان.

فأنت حين تسمح لنفسك أن تشغل تفكيرك بأشياء لم تحدث، أو ربما بأشياء حدثت بالفعل، ولكن دماغك يضخمها إلى أبعاد أكبر من حجمها الحقيقي، فإن هذا الشيء يصبح ضارًا جدًا، ويسبب الحزن في كثير من المرات، وربما يؤدي إلى خلق مشكلات لم تكن موجودة من الأساس، ولم تكن هناك حاجة لاختلاقها.

ولذلك، فإن أول خطوة نبنيها معًا هي "التخلص من التفكير الزائد".

نبدأ ذلك من خلال خطوات بسيطة، ولا أخفيك سرًا أنك ربما لن تنجح في المحاولة الأولى، وإنما تحتاج إلى محاولات متعددة؛ فمرات تضبط ومرات لن تضبط، ولا بأس بذلك أبدًا.

اعلم جيدًا أن المحاولة مرة تلو الأخرى -وكما يقال: قليل دائم خير من كثير منقطع- ستصنع الفارق؛ فربما في المرة الأولى لا يتغير شيء، ولكن في المرة الثانية حين تبدأ بالتفكير الزائد، تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فيشتغل تنبيه الوعي في دماغك ليعلن: (هناك تفكير زائد.. سأتوقف في الحال!).

فتقطع على نفسك أول خيط في التفكير الزائد، في المرة الأخرى ربما الأمر سيسترق منك وقتًا أقل من المرات السابقة، وبكذا تستطيع أن تحذف التفكير الزائد من قاموسك.

خذها قاعدة في حياتك أنَّ النفس البشرية كالطفل، تحتاج إلى المحاولة والتدريب دون يأس، بل امنح نفسك الفرصة للبدء والمحاولة مرات عديدة، واصبر على إصلاحها، ولا ننسَ أيضًا الدعاء؛ فالدعاء هو وسيلة لما لا نستطيع إصلاحه بأنفسنا.

خطوات التخلص أو التقليل من التفكير الزائد:

١- تجديد النية، والصبر على النفس.
٢- المحاولة في إنك تقطع على نفسك التفكير الزائد.
٣- الانشغال؛ فالنفس إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.
٤- الفضفضة مع شخص تثق فيه.

٥- الدعاء وقد تم ذكره سابقًا.
٦- الاستعاذة من الشيطان.

إذا كانت لديك مشكلة في شيء معين عليك أن تقطع طريقها، وأن تخبر من حولك بالحقائق، مثال على ذلك:

إذا ظننت أن شخصًا ما يتحدث عنك بالسوء، أو ربما حدث سوء تفاهم، فعليك أن تذهب إلى ذلك الشخص وتستفهم منه، ولا تجلس مع نفسك وتسمح لدماغك أن يعيد تشكيل الأحداث كيفما يشاء، بل اذهب واستفسر منه، وأغلق على نفسك باب التفكير الزائد، واستعذ من الشيطان الرجيم؛ فالشيطان هو عدو الإنسان الأول، الذي يعمل على إثارة الغضب والحزن في قلب المؤمن، فهو يستمتع حين يراك حزينًا.

وختامًا:

سلامك الداخلي يستحق منك المحاولة مرة بعد مرة دون يأس.



الزينة

الزينة لفظ يحتمل كل ما من شأنه أن يجمل المرأة ويُظهرها بمظهر حسن، وحُب الزينة والمظهر الحسن أمر فطري جُبلت عليه النساء؛ فأتى الشرع وضبط هذه الفطرة بضوابط تهذبها منها: أن تكون بين النساء أو المحارم من الرجال، ولا تظهر بها المرأة أمام الرجال الأجانب عنها، وأن تكون بالقدر المعقول بلا إفراط ولا تفريط.

بقلم / رنا أحمد

مستحضرات العناية بين الإفراط والتفريط

قد لا أُفيدك بأشياء تُحسّن من زينتكِ، بل سأسعى -إن شاء الله- لأن أُرشدكِ يا جميلتي في هذا المقال، أن تُحافظي على زينتك الحقيقة من التكلّف والتبذير.

دعونا نتفق أننا جميعاً نحب التزين وشراء مستحضرات التجميل والعناية، لكن في زمن الماديات واستعراض الجمال أصبح هَمَّ عدد من النساء جمع أكبر عدد ممكن من كريمات التفتيح والترطيب وما إلى ذلك...

لقد ازدادت محلات التجميل والعناية بشكل ضخم ومخيف حتى أضحى الشارع الواحد فيه عددٌ من محلات التجميل ومستحضراته؛ والسبب هو الترويج وزيادة الاستهلاكية، والسؤال هو: كيف يكون الترويج؟! وكيف زادت استهلاكية السلع؟!

وهذا ما سأشرحه إن شاء الله في النقاط القادمة...

• الترويج

هل تساءلتِ يوماً ما للذي دفعك لتشتري كريماً مرطباً قيمته تفوق إمكانيتك؟ أو ما الذي دفعك لتفضيل ماركة معينة على غيرها؟ أو لماذا تشترين عدداً هائلاً من أقنعة الوجه (Masks) بينما تستطيعين تحضيرها طبيعياً؟ كله هذا سببه الترويج... فما هو إذن؟!

هو عرض السلعة بمثالية تشجع المستهلك على شرائها، فمثلاً، الإعلانات التي تظهر لك آلاف المرات عقلك يخزنها، ويترجمها العقل الباطن فيدفعك بمجرد أن تجديه أمامك إلى شرائه، وهذه نقطة يستغلها خبراء التسويق؛ فقد تكونين غير مقتنعة بمنتج لكن تكرار الإعلانات أينما ولّيتِ وجهك يجعل عقلك الباطن لا إرادياً يقتنع بها!

وهناك طريقة أخرى للترويج، وهي عبر النساء من حولك! قد يصادف أن واحدةً منا تجلس مع مجموعة من النساء يتحدثن عن منتجٍ معينٍ للبشرة، وكل واحدة منهن تُبدي رأيها فيه، فتقول الأولى: "لا أدري، لم أشعر بأي فرق في وجهي" وتقول أخرى: "أظن أنكِ أخذتِ التقليد" وتضيف الثالثة: "عليكِ بشرائه من المتاجر التي تتعامل مع الشركة ذاتها".

بينما أنتِ يا عزيزتي كالأطرش في الزفة لا تملكين أي معلومات حول ما يقلنه، وتشعرين لوهلة أنكِ



لست كباقي الإناث تهتمين بنفسك بشراءك ذلك المنتج! ثم تتذكرين سعره الباهظ، فتنبذين نفسك ووضعك المادي والمعنوي (وهذا خطأ)... لكن لو فكرتِ قليلاً لوجدتِ بديلاً طبيعيًّا يغينك عنه تماماً؛ فمثلاً:

- ماء الورد: هو أفضل منظف للبشرة من الشوائب وآثار المكياج.
- ماء الأرز: يعطي نضارة ولمعاناً للبشرة.
- السدر: مرطب وغسول طبيعي للوجه.
- زيت الأرغان: يمنح البشرة فيتامين E.
- النيلة المغربية: مُفَتح جيد للبشرة.

والقائمة تطول... كل ما عليكِ هو البحث عن تلك الأعشاب والنباتات الطبية والطبيعية التي تفيد بشرتك.

• الاستهلاكية

عدد كبير منا ينفق الكثير من الأموال من أجل الاهتمام بزينته ومظهره، لكن لكيلا نقع في فخ الاستهلاكية؛ فلا بد أن نعرف: كيف تكون؟

كأن تشتري منتجاً ويقال لك إن هذا المنتج سيُظهر مفعولاً أقوى إذا اشتريتِ منتجاً آخر من نفس الشركة.

وكأن يقال: كريمات الترطيب لا بد من شراء اثنين كحدٍ أدنى؛ لأن الأول خاص بأشعة الشمس نهاراً والثاني ليلاً... وهذا استهلاك لا شك فيه!

حتى إنهم خصصوا لكِ كريماً خاصًا لترطيب ما تحت العينين، مع أن الكريم يوضع على كامل الوجه بما في ذلك تحت العينين!

كل هذا الإنفاق يعود بفائدة للشركة المنتجة والمحلات.
وبعدما استهلكتِ أموالك في هذه المستحضرات تكتشفين أنها تقليد!

إضافة إلى ذلك الغسولات (شامبو الشعر مثلاً)، غسول الشعر تجدين أنواعاً متعددة فيها أعشاب محدودة ومواد كيميائية، لكن يقسّمون لك



فوائده على حد تعبيرهم... فمثلاً إذا كنتِ تعانين من القشرة فخذي نوعاً معينًا، وإذا كان شعرك جافًا ومتقصفًا فخذي نوعاً آخر، وإذا كان شعركِ ضعيفًا فخذي نوعاً ثالثاً مغايرًا للنوعين السابقين!

الغريب أنه قد تجتمع كل مشاكل الشعر فيك، فتحتارين أيها تأخذين...

هكذا هي سياسة الاستهلاكية، أن جلبوا لك غسولاً واحداً مخصصاً لجميع مشاكل الشعر لن يستفيدوا، هم يريدون الأرباح، لا تَحسُّن شعرك!

أنا لا أمنعك عن شراء المنتجات التي تنتفعين بها بإبداء جمالك وزينتك أمام محارمكِ وأهلكِ، وزوجكِ إن كنتِ متزوجةً، ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، لكن بلا إفراط؛ فإن المُبذرين هم إخوان الشياطين!

قصدي من القول يا جميلتي، أن لا نسرف في شراء عديد من المنتجات التي لا تستفيد منها سوى الشركات الأجنبية، يا عزيزتي تحرّي شراء المنتج المفيد، كالذي تستطيعين خلطه بزيوت طبيعة مثلًا.

مثال:

• جل الألوفيرا (الصبار) يمكن استعماله بصفته:

- قناعاً للشعر قبل غسله (بمزج معلقتين منه وملعقة كبيرة من زيت جوز الهند).
- مرطباً للبشرة (لا يُحبذ أن تضعيه وتُعرضيه لأشعة الشمس؛ تفادياً للتهيج).



- واقياً من شمس (بإضافة الفسيكلين لكن باستشارة صيدلانية).
- منظفًا رائعاً لفروة الشعر بإضافة خل التفاح حسب الرغبة.

وأما عن أقنعة الوجه أو مقشرات الجسم، فجميع خبراء البشرة اتفقوا على أن إعداد قناع وجه أو مقشر بمكونات طبيعية أفضل بكثير من الكيميائية. فالقناع الطبيعي أو المقشر يُغذي البشرة وإن كان المفعول بطيئًا، والكيميائي يعطي نضارة سريعة لكن بآثار جانبية واضحة!

تستطيعين من خلال المقاطع التعليمية الحصول على أكبر قدر ممكن من الأقنعة الطبيعية والمقشرات، سواء للجسم أو للوجه.

أتمنى أنكِ قد استفدتِ من اقتراحاتي التجميلية، وأرجو أني قدمت لكِ ما يخدم ويساعدك على شراء زينتك.

رسالتي الأخيرة لكِ أختي في الله:
الزينة ليست ما يجمل مظهركِ، بل ما يجمّل باطنكِ، زينة قلبكِ.

دمتِ بخيرٍ وبجمال الروحِ قبل الجسد يا جميلتي.



وصفة جمال

كل أنثى جميلة بطريقة ما. أدركي سر جمالك واعتني بها ولا تهمليها. هنا سنساعدك بطرق طبيعية بعيداً عن زيف عمليات التجميل؛ لعلاج مشاكل تواجهك، هنا سنقدم لكِ وصفاتٍ للجمال.

قلم من أسنة الضياء

وصفة الجمال

١) وصفة لبشرة ناعمة.

المكونات

- لبان ذكر.
- نشا.

الطريقة

نحضر لبان ذكر نظيف، ونغسله، ونتركه في الماء ليوم كامل حتى يتغير لونه ونضعه في علبة.
وقبل النوم، أو في الصباح، نضع القليل من منقوع لبان الذكر ونضيف عليه القليل من النشا، ونتركه على الوجه لساعة أو ساعتين، ثم نغسله بالماء العادي، وهكذا تصبح البشرة ناعمة كنعومة الأطفال.



٢) مقشر القهوة الطبيعي للبشرة.

المكونات

- 2 ملعقة كبيرة قهوة مطحونة.
- 1 ملعقة كبيرة سكر.
- 1 ملعقة كبيرة زيت زيتون.
- 1 ملعقة صغيرة نشا.

الطريقة

- تُخلط جميع المكونات حتى تتجانس.
- تُبلل البشرة بالماء الدافئ.
- يُوضع المقشر ويُدلّك بلطف بحركات دائرية لمدة 2 - 3 دقائق.
- يُترك دقيقة إضافية (اختياري).
- يُشطف بالماء الدافئ ويُجفف بلطف.
- تُرطب البشرة بعده مباشرة.

فوائده

- القهوة: تنشّط الدورة الدموية وتمنح إشراقة.
- السكر: يقشر الجلد الميت بلطف.
- زيت الزيتون: يرطب ويغذي البشرة.
- النشا: يساعد على تهدئة وتنعيم البشرة.

ملاحظات مهمة

- لا تستخدميه أكثر من مرتين في الأسبوع.
- لو بشرتك حساسة خففي السكر أو استبدليه بسكر ناعم.
- تجنبي الفرك القوي حتى لا تتهيج البشرة.

٣) مقشر فروة الرأس بالسكر

المكونات

- 4 ملاعق كبيرة سكر.
- 2 ملعقة كبيرة شامبو.
- 1 ملعقة صغيرة خل (ويُفضّل تخفيفه بقليل من الماء).

الطريقة

- يُبلّل الشعر بللًا خفيفًا (ليس غمرًا بالماء).
- تُخلط المكونات جيدًا.
- يُوضع الخليط على فروة الرأس فقط وليس أطراف الشعر.
- يُدلّك بلطف بحركات دائرية لمدة 2–3 دقائق.
- يُترك على الشعر لمدة 5–7 دقائق.
- يُشطف جيدًا بالماء، ثم يُغسل بالشامبو مرة خفيفة إذا لزم.
- يُستخدم بلسم أو قناع (Mask) لترطيب الأطراف.

الفوائد

- إزالة الجلد الميت وتراكمات المنتجات.
- تنشيط الدورة الدموية في فروة الرأس.
- يساعد على تقليل القشرة الخفيفة.

ملاحظات مهمة

- لا يُستخدم أكثر من مرة أسبوعيًّا.
- تجنبه إذا كانت فروة رأسك فيها جروح أو التهاب.
- لا تفركي بقوة حتى لا تُهيّجي الفروة.
- إذا شعرتِ بحرقان من الخل، خففيه أكثر أو استغني عنه.



٤) وصفات غذاء للشعر:

١- وصفة الحناء

المكونات

- حناء
- بصل

الطريقة

اقطع البصل إلى أقسام صغيرة، وأضع عليه الماء واتركه على النار إلى أن يتغير لونه، ثم أتركه إلى أن تخف سخونته، وأخلطه مع الحناء وأضعه على الشعر لمدة ساعة أو ساعة ونصف، ثم أغسله بالماء العادي، ويمكن إضافة الشامبو.

٢- وصفة لنعومة الشعر والتقصف

المكونات

- سدر
- زبادي

الطريقة

نضع السدر في وعاء والزبادي معه ونخلطهم إلى أن يصبح القوام متماسكًا، ونضعه على الشعر لمدة ساعة أو ساعة ونصف، ثم نغسله بالماء.

٣- وصفة ترطيب، وإعطاء لمعة للشعر

المكونات

- حناء
- بيضة
- زيت الزيتون

الطريقة

تخلط المكونات ونضعها على الشعر لمدة ساعة أو ساعة ونصف، ثم نغسله بالشامبو جيدًا.








الصحة
بقلم / تباريح

متلازمة الجلد المُحمَّص

هل لاحظت تصبّغاتٍ أو خرائط غريبةً على الجلد؟
قد تكون متلازمة الجلد المُحمَّص (Toasted Skin Syndrome) واسمها العلمي: (Erythema ab igne).

سببها:
التعرض المتكرر والمزمن للحرارة المعتدلة، ومن أكثر الأسباب شيوعًا:



- وضع الحاسوب المحمول (laptop) مباشرة على الأرجل لفترات طويلة.
- الجلوس قريبًا جدًّا من المدفأة.
- استخدام الوسائد المملوءة بالماء الساخن مباشرة على الجلد (الظهر/ البطن).

فالحرارة المستمرة تؤدي إلى:

- توسع الشعيرات الدموية السطحية.
- تغير لون الجلد بشكل شبكي.
- تصبغات تدريجية مع الوقت.

في المراحل المبكرة:
عند الابتعاد عن مصدر الحرارة قد تختفي العلامات تدريجيًّا.

في حال الإهمال:

- قد تصبح التصبغات مزمنة.
- قد يصعب علاجها لاحقًا.

نصائح للوقاية:

- لا تضع الحاسوب المحمول مباشرة على الجلد.
- حافظ على مسافة آمنة عن المدفأة.
- تجنب وضع الوسائد الساخنة على الجلد مباشرة.
- راقب أي تغير في لون الجلد.

التوعية البسيطة، تحميك بفضل الله من مشكلةٍ جلديةٍ طويلة المدى.

سرطان الثدي

هو مرض تنمو فيه خلايا الثدي غير الطبيعية بشكل خارج عن السيطرة وتُشكّل أورامًا إذا تُركت دون علاج، فقد تنتشر هذه الأورام في جميع أنحاء الجسم وتُصبح قاتلة.
تبدأ خلايا سرطان الثدي داخل قنوات الحليب و/أو فصوص الثدي المنتجة للحليب.
قد تنتشر الخلايا السرطانية إلى أنسجة الثدي المجاورة، مما يُؤدي إلى تكوّن أورام تُسبب كتلًا أوسماكة.



ويمكن أن تنتشر إلى الغدد الليمفاوية المجاورة أو إلى أعضاء أخرى.

لا يُشكل الشكل الأولي (الموضعي) خطراً على الحياة، ويمكن اكتشافه في مراحله المبكرة.

ويعتمد العلاج على حالة المريض ونوع السرطان ومدى انتشاره. ويجمع العلاج بين الجراحة والعلاج الإشعاعي والأدوية.

الأسباب:
السبب الدقيق لمعظم حالات سرطان الثدي غير معروف. ولكن هناك عوامل تزيد خطر الإصابة بسرطان الثدي سنذكرها الآن.

من هم المعرضون إلى خطر الإصابة بسرطان الثدي أكثر من غيرهم؟
يُعدّ الجنس الأنثوي أقوى عامل خطر للإصابة بسرطان الثدي. تحدث حوالي 99% من حالات سرطان الثدي لدى النساء، بينما تحدث 0.5-1% منها لدى الرجال. ويتبع علاج سرطان الثدي لدى الرجال مبادئ العلاج نفسها المتبعة لدى النساء.

تزيد بعض العوامل من خطر الإصابة بسرطان الثدي، بما في ذلك التقدم في السن، والسمنة، والإفراط في تناول الكحول، والتاريخ العائلي للإصابة بسرطان الثدي، والتعرض إلى الإشعاع، وتدخين



التبغ، والعلاج الهرموني بعد انقطاع الطمث، وبدء الدورة الشهرية في سنٍّ مبكرة قبل سن 12 سنة يزيد احتماليةَ الإصابة بسرطان الثدي، كما أن بدء انقطاع الطمث في سن متأخرة بعد سن 55 أيضا يزيد من خطر الإصابة بسرطان الثدي.

ويُصاب قرابة نصف النساء بسرطان الثدي دون وجود أي عامل خطر معروف للإصابة به، سوى الجنس (أنثى) والسن (أكثر من 40 عامًا).

يزيد وجود تاريخ عائلي للإصابة بسرطان الثدي من خطر الإصابة به، لكن معظم النساء المصابات بسرطان الثدي لا يوجد لديهن تاريخ عائلي معروف للمرض.



ومع ذلك، فإن عدم وجود تاريخ عائلي معروف لا يعني بالضرورة أن المرأة أقل عرضة للإصابة به.

كما تزيد بعض الطفرات الجينية الوراثية بشكل كبير من خطر الإصابة بسرطان الثدي.

الأعراض

لن يعاني معظم الناس من أي أعراض عندما يكون السرطان لا يزال في مراحله المبكرة، ومن هنا تأتي أهمية الكشف المبكر.

قد تظهر أعراض سرطان الثدي في صورة مجموعة من الحالات، خاصةً في المراحل المتقدمة.



تشمل أعراض سرطان الثدي ما يلي:

- كتلة أو سماكة في الثدي، غالباً بدون ألم. لذلك ينبغي على الأشخاص الذين يعانون من كتلة غير طبيعية في الثدي طلب الرعاية الطبية، حتى لو لم تكن الكتلة مؤلمة.
- تغير في حجم أو شكل أو مظهر الثدي.
- ظهور نقرات أو احمرار أو حفر أو تغيرات أخرى في الجلد.
- تغير في مظهر الحلمة أو الجلد المحيط بها (الهالة). مثل تفلطُح الحلمة أو انقلابها إلى الداخل.
- سائل غير طبيعي أو دموي يخرج من الحلمة.

من الجدير بالذكر أن معظم كتل الثدي ليست سرطانية. أما كتل الثدي السرطانية، فغالباً ما يكون علاجها ناجحاً عندما تكون صغيرة ولم تنتشر إلى الغدد الليمفاوية المجاورة.
وقد تنتشر الخلايا السرطانية إلى أعضاء أخرى، بما في ذلك الرئتين والكبد والدماغ والعظام. وبمجرد وصولها إلى هذه المواقع، قد تظهر أعراض جديدة مرتبطة بالسرطان، مثل آلام العظام أو الصداع.
ولكن غالبًا ما يكون أول موقع يُمكن اكتشاف انتشاره هو الغدد الليمفاوية تحت الإبط، مع العلم أنه من الممكن وجود غدد ليمفاوية مصابة بالسرطان لا يُمكن تحسسها.

علاج سرطان الثدي

يعتمد علاج سرطان الثدي على نوع السرطان ومدى انتشاره خارج الثدي إلى الغدد الليمفاوية (المرحلتين الثانية والثالثة) أو إلى أجزاء أخرى من الجسم (المرحلة الرابعة).
وقد يجمع الأطباء بين العلاجات لتقليل احتمالية عودة السرطان.

وتشمل هذه العلاجات ما يلي:

- جراحة لإزالة ورم الثدي. قد تقتصر الجراحة على استئصال النسيج السرطاني فقط (وتُسمى استئصال الورم) أو استئصال الثدي بالكامل (استئصال الثدي).
- العلاج الإشعاعي للحد من خطر عودة المرض في الثدي والأنسجة المحيطة به.
- الأدوية المستخدمة لقتل الخلايا السرطانية ومنع انتشارها، بما في ذلك العلاجات الهرمونية أو العلاج الكيميائي أو العلاجات البيولوجية الموجهة.

تكون علاجات سرطان الثدي أكثر فعالية وأفضل تحملاً عند البدء بها مبكراً وإكمالها بالكامل.
وتعتمد فعالية علاجات سرطان الثدي على إكمال دورة العلاج كاملةً، إذ أن العلاج الجزئي أقل احتمالاً لتحقيق نتائج إيجابية.
معدلات النجاة من سرطان الثدي في زيادة. ويستمر تناقص عدد الناس الذين يموتون بسبب الإصابة بسرطان الثدي. ويرجع ذلك إلى الانتشار الواسع لدعم الوعي بسرطان الثدي.
وتتيح الوسائل المتقدمة في فحص سرطان الثدي لاختصاصي الرعاية الصحية تشخيصَ الإصابة بسرطان الثدي في وقت مبكر. لأن اكتشاف السرطان في وقت مبكر يزيد الأمل في علاجه. وحتى إذا لم يكن علاجه ممكنًا، فتوجد علاجات كثيرة لإطالة أمد الحياة.

أهم ما يمكن أن تفعليه هو التعرُّف على حالة الثديين عن طريق إجراء الفحص الذاتي للثدي بين الحين والآخر لمراقبة حالتيهما. وإذا طرأ أي تغيير جديد أو ظهرت كتلة أو شيء غير طبيعي في ثدييكِ، أخبري اختصاصي الرعاية الصحية على الفور.

عافانا الله وإياكن، ومتّعنا بتمام الصحة والعافية.


البيت

حديقة داخلية في منزلك

دليل بسيط بلمسات عصرية.

بعيدًا عن الأثاث الجامد، تأتي النباتات والزهور الداخلية لتكسر رتابة الجدران وتمنح منزلك روحًا متجددة. إليك كيف تنسق حديقتك الداخلية الصغيرة الخاصة بلمسات عصرية تدمج بين الطبيعة وأحدث صيحات الديكور.

"النبات ليس مجرد ديكور... بل جزء من بيئة معيشية صحية".



البداية الذكية: اختاري نباتاتك بعناية
لتحقيق توازن بين جمال النبتة وسهولة العناية بها:
نبات العنكبوت: مناسب لغرف المعيشة
البوتس: مثالي للمكاتب المنزلية
السانسيفيريا: يتحمل قلة العناية
نبات اليشم: لمسة عصرية أنيقة

أما عن الزهور:
البيغونيا
الجيرانيوم
الكلانشو

خيارات جميلة، عملية، ومناسبة للمبتدئين.

"وجود النباتات يغيّر إحساس المكان بالكامل... وليس شكله فقط".

الجمال في التفاصيل:
"اختيار الأصيص عنصر أساسي في إبراز جمال النبات. الأواني المصنوعة من الفخار أو الخرسانة تضيف طابعًا طبيعيًا متناسقًا مع الديكور العصري".



استغلال المساحات العمودية
عند ضيق المساحة، استخدمي الارتفاع:
نباتات متدلية مثل البوتس
تعليق باستخدام مكرامي أو سلاسل
توزيع على مستويات مختلفة

هذا الأسلوب يخلق عمقًا بصريًا ويجعل المكان أكثر اتساعاً.

قواعد تنسيق بسيطة وفعالة:
التنوع في الارتفاعات: نبات طويل على الأرض، متوسط على الطاولة، وآخر متدلٍ

توحيد الألوان: نسّق ألوان الأواني مع الوسائد أو الستائر

الإضاءة: أغلب النباتات تفضل الضوء غير المباشر

مثال: ضعي سانسيفيريا قرب المدخل، وبوتس متدلٍ قرب النافذة، ونبتة صغيرة على الطاولة لخلق توازن بصري فوري.

"جمال النبات في نموه الطبيعي... لا في تقييده".

إضاءات: فوائد حقيقية للنباتات
"بيئة أكثر تركيزًا".
تشير مراجعات علمية إلى أن وجود النباتات في أماكن العمل قد يساعد على تحسين التركيز



والإنتاجية وتقليل الإجهاد الذهني.

"تحسين الإحساس بجودة الهواء".
بعض النباتات تساهم في امتصاص ملوثات داخلية محدودة، لكن تأثيرها في المنازل الحديثة يبقى مساندًا وليس بديلاً للتهوية الجيدة.

"رطوبة أكثر توازنًا".
النباتات تطلق بخار الماء عبر عملية النَّتح (Transpiration)، مما قد يساهم في تحسين رطوبة الهواء بشكل معتدل.

"راحة نفسية ملموسة".
الاحتكاك اليومي بالعناصر الطبيعية داخل المنزل يرتبط بانخفاض التوتر وتحسن المزاج وفق دراسات في علم النفس البيئي.

العناية الذكية بنباتاتك:
وفّري ضوءًا مناسبًا
لا تفرطي في الري
نظّفي الأوراق من الغبار

" أحيانًا، كل ما يحتاجه المنزل... لمسة خضراء ليشعر بالحياة".

خلاصة: تحويل منزلكِ إلى حديقة داخلية لا يحتاج ميزانية كبيرة ولا خبرة طويلة فقط ذوق بسيط واهتمام مستمر. ومع الوقت، ستكتشفي أن هذه النباتات لا تزيّن المكان فقط... بل تغيّر إحساسكِ به.







حلو ومالح

نقدّم لكِ في ركننا هذا وصفتينِ شهيّتينِ؛ إحداهما حلوة الطعم، والأخرى مالحة. شمّري عن ساعديك وجهّزي مطبخك؛ ولتبدأ مغامراتنا الأنثوية الشهية.

بقلم / فريق أسنة الضياء





١) حلا البسكويت.

• المكونات:

- بسكويت الشاي أو أي بسكويت جاف.
- قشطة (العدد حسب الكمية).
- حليب سائل.
- كريمة شانتيه.
- كاكاو.
- جبن (3 أو 5 حسب الرغبة).

• الطريقة:

- نجهز الوعاء الذي سنضع فيه الحلى.
- نُحْضِر وعاءً صغيرًا ونضع فيه قليلًا من الحليب لتغميس البسكويت فيه.

- الطبقة الأولى:

بعد تغميس البسكويت بالحليب نضعه في الوعاء، وندخله الثلاجةَ ليتماسك قليلًا.

- الطبقة الثانية:

في الخلاط نضع: القشطة، والكريمة، والحليب، والجبن، وعددًا من البسكويت. ثم أضع الخليط فوق البسكويت المغمس وندخله الثلاجةَ (أبقِ قليلًا من الخليط، لا تستخدميه كله).

- الطبقة الثالثة:

نضيف على الباقي من خليط الطبقة الثانية كاكاو وبعض قطع الشوكولاتة (أي شوكولاتة تفضلوها) ونسكبها فوق الطبقة الثانية.

- التزيين:

نبرش شوكولاتة وممكن برش بسكويت أيضًا، وبالعافية عليكم.



٢) مخلل الليمون (العشار العدني).

• المكونات:

- عدد كبير من الليمون.
- ملح.
- خل.
- فلفل أحمر مهروس.
- جزر (حسب الرغبة).
- فلفل أخضر (حسب الرغبة).

• طريقة التحضير:

- نحضر وعاءً ونقطع الليمون إلى أربع أنصاف أو نصفين (على حسب حجم الليمون)، ونحشو الليمون بالملح، ونكرر نفس الطريقة مع بقية الليمون.
- نقطع الجزر والفلفل الأخضر إلى شرائح رفيعة ونضعها بين الليمون.
- نغلق الوعاء بإحكامٍ ونضعه في مكان حار لأيام.
- عندما يصبح الليمون رطبًا، نسكب عليه الخل، والفلفل الأحمر مهروس، وحبة البركة، وبالعافية.











٣) بطاطس مقرمشة.

• المكونات:

- بطاطا بعدد كبير.
- دقيق.
- ملح.
- بهارات (المفضلة لديكم).
- زيت.
- بقسماط.

• طريقة التحضير:

- نقطع البطاطا بحجم متوسط عريض.
- في وعاء، نضع الدقيق والبهارات ونخلطها.
- نضع الزيت على النار، وعندما يسخن، نغمس البطاطا في خليط الدقيق والبهارات، ثم نغمسه مرةً أُخرى في البقسماط، ونقليه في الزيت.
- ما إن يصبح لون البطاطا ذهبيًّا نخرجها من الزيت، وبالعافية.







٤) كرات البسكويت.

• المكونات:

- بسكويت.
- حليب مكثف محلى.
- شكولاتة من أي نوع، والأفضل: الداكنة (يمكن استبدالها بجوز الهند).

• طريقة التحضير:

- نطحن البسكويت في الخلاط.
- نضع البسكويت المطحون في وعاء، ونضيف عليه الحليب المكثف المحلى، ونعجنهم حتى تصبح العجينة متماسكة.
- نشكّل العجينة إلى كرات صغيرة الحجم.
- نذوب الشوكولاتة في حمام مائي، ثم نغمس الكرات فيها كرةً كرة، ثم ندخلهم الثلاجة، وبالعافية.







٥) خلية النحل.

• المقادير الأساسية:

- 4 أكواب طحين.
- كوب حليب دافئ أو ماء.
- ½ كوب زيت.
- 2 ملعقة كبيرة خميرة فورية.
- 2 ملعقة كبيرة سكر.
- ملعقة صغيرة ملح.
- ملعقة كبيرة مَسحوق الخَبْز (baking powder) اختياري لزيادة الهشاشة.

(تتغير المقادير حسب الكمية)

• خطوات التحضير:

1. تحضير العجينة:

اخلطي المكونات الجافة جيدًا، ثم أضيفي الزيت والحليب الدافئ تدريجيًّا، واعجني لمدة 10 دقائق حتى تصبح العجينة ناعمة ومرنة. غطيها واتركيها لتتخمر في مكان دافئ لمدة ساعة تقريبًا.

2. التشكيل والحشو:

قسمي العجينة إلى كرات صغيرة متساوية الحجم، واحشي كل كرة بجبن كريمي أو جبن قشقوان، أو شوكولاتة، حسب الرغبة.

3. الترتيب والتخمير الثاني:

رصي الكرات في صينية مدهونة بالزبدة بجانب بعضها مع ترك مسافات بسيطة، وغطيها لتتخمر مرة ثانية 15 - 20 دقيقة.

4. الدهن والإضافات:
ادهني وجه الكرات بصفار بيض مخلوط بملعقة حليب، أو بالحليب فقط، ويمكن رش السمسم أو حبة البركة على الوجه.

5. الخَبْز:
سخني الفرن مسبقًا على درجة حرارة 180 - 200°م، وأدخلي الصينية لمدة 20 - 25 دقيقة حتى يتحول لونها إلى الذهبي.

6. اللمسة النهائية:
عند إخراج الصينية، غطيها بقطعة قماش نظيفة لتظل طرية، ويمكن سقيها بالقطر (الشيرة)، أو الحليب المكثف المحلى، أو العسل، حسب الرغبة، سواء للحلو أو للمالح.



ketaeb.com

سِنَّةُ الضِّيَاءِ

إليكِ أنتِ أيتها المسلمة